AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

...ca de Libros

892.78
T16FA
V.2

كتاب

الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن التنوخي

المتوفي سنة ٣٨٤ هجرية

طبع على نفقة محمود افندي رياض

نجل حضرة السيد ابراهيم بك عبد العزيز

الجزء الثاني

« حقوق الطبع محفوظة »

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع

﴿ من استنقذ من كرب وضيق خناق * باحد ـ ى حالتي عمد او اتفاق ﴾

قال ابو علي حدثنا علي بن الحسين المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه قال حدثني ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني الكاتب قال كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان اذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التي قبلها ففرق في قبائل قريش قسطاً على دعوتهم وفي الانصار وفي الفقهاء واهل القرآن وسائر طبقات الناس حتى يفرغ جميع ما بقي فجلس في سنة من السنين ففرق المال كما كان يفعل فلما فرغ من بني هاشم دعي بسائر بني عبد مناف فقام رجل فقال له من اي عبد مناف انت قال من بني امية قال من ايهم انت فسكت قال لعلك من ولد معاوية قال نعم قال فمن اي ولده فامسك قال لعلك من ولد يزيد قال نعم قال بئس الاختيار اخترت لنفسك في قصدك بلداً ولايته الى ابي طالب وعندك ثارهم في سيدهم واخوته وبني عمه وقد كانت لك مدوحة عندهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك فان كنت جئت على جهل بهذا فما يكون بعد جهلك شيء وان كنت جئت متمرياً فقد خاطرت بنفسك قال فنظر اليه العلويون نظراً شديداً فصاح بهم محمد وقال كفوا كأنكم تظنون ان في قتل هذا دركاً او ثاراً بالحسين بن علي رضي الله عنهما او باحد من اقاربه واي جرم لهذا ان الله تعالى قد حرم ان تطالب نفس بغير ما كسبت والله لا تعرض له احد الا افديته منه واسمعوا حديثاً احدثكم به يكون قدوة لكم فيما تستأنفون حدثني ابي عن ابيه رضوان الله عليهما قال حج المنصور فعرض عليه جوهر فاخر كان لهشام بن عبد الملك فقال هذا بعينه قد بلغني خبره ان عند ابنه محمد وما بقي منهم احد غيره ثم قال للربيع اذا كان غداً وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فاغلق الابواب كلها ووكل بها ثقاتك من الشيعة وافتح للناس باباً واحداً وقف عليه فلا

يخرج احد الا من عرفته فلما كان من الغد فعل الربيع ما امره وتبين محمد بن هشام القصة فعلم انه هو المطلوب وانه مأخوذ فاقبل عليه محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فرآه متحيرًا وهو لا يعرفه فقال ياهذا اراك متحيرًا فمن انت ولك امان الله وانت في ذمتي حتى اخلصك قال انا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال انا محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال فعند الله احتسب دمي اذن قال لا بأس عليك فانك لست قاتل زيد ولا في قتلك ادراك ثار وانا الآن بخلاصك اولى مني بتسليمك وتعذرني في مكروه اتناولك به او قبيح اخاطبك به يكون فيه خلاصك قال انت وذاك قال فطرح رداءه على رأسه ووجهه ولببه به واقبل يجره فلما وقع عين الربيع عليه لطمه لطمات وجاء به الى الربيع وقال يا ابا الفضل ان هذا الخبيث جمّال من الكوفه اكراني جماله ذاهبًا وراجعًا ثم هرب مني واكرى بعض القواد الخراسانية ولي عليه بذلك بينة قال فضم اليه حرسيين وقال لهما امضيا معه فمضيا معه فلما بعدا عن المسجد قال له تؤدي اليّ حقي قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انصرفا فانصرفا واطلقه فقبل محمد بن هشام يده وقال بأبي انت وامي الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم اخرج جوهرًا له قدر فدفعه اليه وقال تشرفني بقبول هذا فقال يا ابن عم انا اهل بيت لانقبل على المعروف مكافأة وقد تركت لك اعظم من هذا تركت لك دم زيد بن علي فانصرف راشدًا ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل فانه نجد في طلبك فمضى وتوارى قال ثم امر محمد بن زيد الداعي بطبرستان للاموي بمثل ما امر به لسائر بني عبد مناف وضم اليه جماعة من مواليه وامرهم ان يخرجوه الى الري ويأتوه بكتاب بسلامته فقام الاموي ومضى ومعه القوم حتى وصل الى ما منه قال ابو مسلم الاصبهاني وكان ابو مسلم محمد بن بحر وزير محمد بن زيد الداعي بطبرستان وخبرني ان هذا الخبر سمعه وشاهده من لفظ الداعي * وحدثني ابو الفرج المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه وانا اسمع قال قرأت في بعض الاخبار للاوائل ان الاسكندر لما انتهى الى بلد الصين ونزل على ملكها اتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فادخله فوقف بين يدي الاسكندر وسلم وقال ان رأى الملك ان يستخلني فامر الاسكندر من بحضرته ان ينصرفوا فانصرفوا وبقي خاصته فقال ان الذي جئت له لا يمكن ان يسمعه غيرك فقال فتشوه ففتش فلم يوجد معه سلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفًا مسلولاً وقال له قف بمكانك وقل ماشئت

واخرج كل من كان عنده فقال الرسول انا ملك الصين لا رسوله وجئت اسألك عما تريده فان كان مما يمكن عمله ولو على اصعب الوجوه عملته واغنيتك عن الحرب فقال له الاسكندر وما امنك مني قال علمي بانك رجل عاقل وليست بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل وانك تعلم انك ان قتلتني لم يكن ذلك سبباً بأن يسلم اليك اهل الصين ملكهم ولا يمنعهم قتلي من ان ينصبوا لانفسهم ملكاً غيري وتنسب الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكراً وعلم انه رجل عاقل فقال الذي اريده منك ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعها في كل سنة قال هل غير ذلك قال لا قال قد اجبتك قال فكيف تكون حالك حينئذٍ قال اكون قتيلاً محارباً قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين فكيف يكون حالك قال يكون اصلح مما كانت وافسح في المدة قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال ذلك يكون مضرًا بي ومذهباً لجميع لذاتي قال فان قنعت منك بارتفاع الثلث كيف يكون حالك قال يكون الثلث موفراً والباقي لجيشي ولاسباب الملك قال فقد اقتصرت منك على ذلك فشكره وانصرف فلما طلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض واحاط بجيش الاسكندر حتى خاف الهلاك وثواثبت اصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك اذ طلع ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر غدرت قال لا قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من قلة ولا ضعف ولا عجز وانت ترى هذا الجيش وما غاب عنك اكثر ولكني رأيت العالم الاكبر مقبلاً عليك ممكناً لك فعلمت ان من حارب العالم الاكبر غلب فأردت طاعته بطاعتك والتذلل له بالتذلل لك فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه شيء فاني لم اجد بيني وبينك من يستحق بالتفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته منك وانا راحل عنك قال ملك الصين اما اذا فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر اتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف باضعاف ما كان فرده عليه الاسكندر * قال اخبرني ابو بكر محمد بن يحيى الصولي فيما اجازه لي قال حدثني الحسين بن يحيى قال كان لاسحق الموصلي غلام يقال له فتح يستقي الماء لاهل داره على بغلين له دائماً فقال اسحاق قلت يوماً له اي شيء خبرك يافتح قال خبري انه ليس في هذا الدار اشقى منك ومني انت تطعم اهل الدار الخبز وانا اسقيهم الماء قال فاستظرفت قوله وضحكت منه وقلت له فاي شيء تحب قال تعتقني وتهب لي البغلين لاستقي عليهما لنفسي ففعلت * واخبرني ابو

الفرج الاصبهاني قال اخبرني حرمي بن ابي العلا قال حدثني الزبير بن بكار عبد الاعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال حملت ديناً وانا بعسكر المهدي فركب المهدي يوماً بين ابي عبيد الله وبين عمر بن ريغ وانا وراءه في موكبه على برذون قطوف فقال المهدي ما انسب بيت قالته العرب فقال ابو عبيد الله قول امرىء القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل

فقال هذا اعرابي قح فقال عمر بن ريغ قول كثير عزة يا امير المؤمنين قال ماهو قال

اريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل ليلي بكل سبيلي

فقال له ما هذا بشيء وماله يريد ان ينسى ذكرها حتى تمثل له فقلت انا عندي حاجتك يا امير المؤمنين فقال الحق بي فقلت ليس بي لحاق لان ليس ذلك في دابتي فقال احملوه على دابة قلت هذا اول الفتح فحملت على دابة فلحقته قال ما عندك قلت قول الاخوص

اذا قلت اني مشتف بلقائها فحم التلاقي بيننا زادني سقم

فقال احسنت حاجتك قلت على دين قال اقضوا دينه فقضوا ديني * قال وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزارا حدث احمد بن محمد بن زياد قال الديان بن الصلت كنت في خدمة الفضل بن سهل على ما كنت عليه من ثقته بي واستنابته فدعاني في وقت من الاوقات اليّ ان يضم الى اربعة آلاف من الجند والساكرية ويقودني عليهم ويجريني مجرى قواده فامتنعت عليه من ذلك واعلمته اني لا اقوم بذلك ولا اصلح له ولا أمن ان اتقلد له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالي عنده ومنزلتي لديه فانكر ذلك عليّ اشد الانكار وعاودني فيه مراراً فلم اجبه اليه فلما رأى اقامتي على الامتناع جفاني واعرض عني وامتدت الايام على هذا السبيل حتى ادى بي ذلك الى الاختلال الشديد الذي اضرني فدخل علي غلامي يوماً فاخبرني انه لا نفقة عنده ولا مقدرة له في احتيالها لامتناع التجار من اعطائه لتاخر مالهم عنهم ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا فاومأت الى عمامة كانت عندي فامرته ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج اليه فباعها بثمانية عشر درهماً وورد عليّ في هذا اليوم كتاب وكيلي علي اعلى بمدينة السلام يعلمني ضيق الامر فيما يحتاج اليه من اقامته للعيال وانه التمس من التجار الفي درهم فلم يجيبوا اليها فعظم علي ما ورد من ذلك وضاقت بي المذاهب فيه فبينا انا قاعد عشية يومي ذلك اذ اتاني رسول

الفضل يامرني بحضور الدار والمقام فيها الى وقت خروجه من عند المأمون فحضرتها بعد صلاة العتمة واقمت الى ان خرج الفضل في وقت السحر فلقيته و بين يديه خرائط محمولة فقال لي صليت صلاة الليل فقلت نعم فقال لكني ماصليت فكن هنا حتى اصلي فصلى ثم انفتل من صلاته فدعاني وقال اتدري ما هذه الخرائط قلت لا قال هذه ثمان وستون خريطة وردت فقراتها واجبت عنها جميعها بخطي فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق ثم قال لي يا ديان ان ابا محمد الحسن ابن سهل قد دفع اليّ واسط وراي امير المؤمنين ان يمده بدينار بن عبدالله ونعيم بن حازم في عشرة آلاف رجل وان ثقلد الانفاق على عسكريهما وان يجري لك في كل شهر عشرة آلاف درهم ولكاتبك ثلاثة آلاف درهم ولقراطيسك الف درهم وان يوظف لك على كل عسكر عشرة احمال تحملك او خمسمائة درهم عوضاً عنها ثم امد في ذلك الوقت ان يحمل لي ارزاق ثلاثة اشهر فما صليت صلاة الصبح حتى حمل لي اثنان واربعون الف درهم واخذ في جهاز العسكرين قال و بعث اليّ الفضل بن سهل بفرس من دوابه وامرني ان ابعث به الى نعيم بن حازم واظهر انه خصه به وأنه من خيله الذي يركبها فوجهت به الى نعيم ابن حازم واظهر السرور والابتهاج بذلك والتعظيم له فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم و بعث اليّ بخمسين الف درهم فكتبت بذلك الى الفضل فوقع علي رقعتي اردد علي نعيم ما امر لك به ووهبه لغلامك واقبض لنفسك عوضاً منه مائة وعشرون الف درهم ثم امر بعد ايام لدينار بسبعمائة الف درهم صلة ومعونة ولنعيم بخمسمائة الف درهم فبعثت بها اليهما فبعث الى كل واحد منهما بخمسين الف درهم فكتبت الى الفضل رقعة اخبره فيها بما فعلاه فوقع على ظهرها اقبل من دينار ما بعث به واردد الى النعيم ما بعث به واقبض لنفسك عوضاً عن ذلك مائة الف درهم قال ونقلنا عن مرو فلما صرنا في الطريق ورد علي كتاب الفضل يامرني فيه ان احمل الي دينار الف الف درهم وخمسمائة الف درهم والى نعيم الف الف درهم فبعث الى دينار الف درهم وخمسين الف درهم و بعث الى نعيم مائة الف درهم فقبلت من دينار ما بعث به اليّ ورددت على نعيم حسب ما كان حد لي في رقعته الاولى والثانية ولم اكتب بالخبر في ذلك الى الفضل لئلا أتوهم بذلك استدعاء العوض فكتب بذلك صاحب سركان علينا فوقع على ظهر كتابه قد علمت انك انما امسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونعيم لئلا يتوهم عليك الاستدعاء للصلاة وقد رأيت ان تقبض لنفسك عوضاً من ذلك مائتي الف درهم قال الريان فلم تمض سبعة وعشرون يوماً حتى حصلت عندي سبعمائة

الف درهم * وذكر محمد بن عبدوس في كتابه عن جبريل بن بختيشوع الطبيب في خبر طويل انه سمع المامون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً واولاني الله فيه باسانه الجميل وذلك لما نوجه طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى بن ما كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة علي وقع في نفوس عسكري جميعاً ان طاهراً ذاهب ولحق اصحابي اضاقة شديدة وظهرت فيهم خلة ونفذ ما كان معي ولم يبق منه قليل ولا كثير وافضيت الى حال كان اصلح ما فيها الهرب فلم ادر الي أين هرب ولا كيف احذ فبقيت حائراً متفكراً وانا والله كذلك نازلاً في دار ابوابها حديد ولي مشرفات اجلس فيها اذا شئت وعدة غلماني ستة عشر غلاماً لا املك غيرهم اذا بالقواد والجيش جميعاً قد شغبوا علي وطلبوا ارزاقهم وولغوا جميعاً يشتمون وتكلموا بكل قبيح وكان الفضل بن سهل بين يدي فامر باغلاق الابواب وقال لي قم فاصعد الى المجلس الذي يتشرف فيه اشفاقاً علي من دخولهم وسرعة اخذهم اياي وتعليلاً لي بالصعود فقلت له ويحك ما يغني الصعود والقوم يدخلون الساعة لياخذوني فلئن اكون بموضعي اصلح فقال اصعد فوالله ما تنزل الا خليفة فجعلت اهزء به واعجب منه واحسب انه ما قال الا ليستجسني واردت الهرب من ابواب الدار فلم يكن الى ذلك سبيل لاحاطة القوم بالدار والابواب كلها فالح علي الى ان صعدت وانا وجل فجلست في المشرفات وانا ارى العسكر فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتمهم وضجيجهم ونادوني بالوعيد والشتم فاغلظت علي الفضل بن سهل وقلت له انك انت جاهل وقد غررتني فلم تدعني اعمل برأيي وليس العجب الا ممن قبل منك وهو في هذا يحلف اني لا انزل الا خليفة وغيظي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حمقه ومواصلته الايمان معا يشاهده من الحال وكان ما اقاسيه منه اشد مما اقاسيه من الجند ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه وادنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب وثلموا فيه جزاء فذهبت نفسي جزعاً وعلمت باني بين ان احترق وبين ان يصلوا الي فيقتلوني فهممت بان القي نفسي اليهم وقدرت انهم اذا رأوني استحيوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني ان لا افعل وحلف اني لا انزل الا خليفة وفي يده الاصطرلاب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت فلما علا الامر واستحكم الياس قال لي ياسيدي والله اتاك الفرج ارى شيئاً في الصحراء قد اقبل ومعه فرجنا فازددت من قوله غيظاً وامرت غلماني بتامل الصحراء فلم يروا شيئاً وجد القوم في الهدم والحريق حتى هممت لما دخلني ان ارمي الفضل اليهم فقال الغلمان يا سيدي انا نرى شيئاً في الصحراء قد اقبل يلوح فنظرت فاذا شيخ وجعل يزيد

تبيانًا الى ان تبينوا رجلاً على بغل يلوح ثم قرب من العسكر فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فاذا هو يقول البشرى هذا رأس علي بن عيسى معي في المخلاة فلما رأوا ذلك امسكوا عنا واقبلوا يالدعاء لي والسرور بالظفر والفتح فقال لي الفضل يا سيدي ائذن لي في ادخال بعضهم فاذنت فشرط عليهم ان لا يدخل الا من يريد فاجابوا الى ذلك وسمى قومًا من القواد يعدهم واحدًا واحدًا ففعلوا ذلك واطفأ الله عز وجل تلك الثائرة ووهب لي السلامة وقلدني الخلافة وظفرت من اموال علي بن عيسى وما في عسكره بما اصلحنا به جنودنا * وذكر ايضًا في كتابه قال حدثنا محمد بن مخلد عن ابيه مخلد بن ازدي المدايني الكاتب قال كان مجلد يلقب لبد لطول عمره فحدثني ان المأمون لما قدم العراق خطر له ان يقلد الاعمال الى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعماله وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت احوال اكثرهم فخرج يومًا بعض مشايخ الشيعة وكان مغفلاً فتأمل مخلدًا فلم يرَ اسن منه فجلس اليه فقال له ان امير المؤمنين قد امرني ان اتخير ناحية من نواحي الخراج صالحة المرتفق ليوقع بتقليدي اياها فاختر لي ناحية من نواحي الخراج فقال لا اعرف لك عملاً اولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش فقال له اكتبه لي فكتبه له فعرض الشيعي الرقعة على المأمون وسأله تقليده العمل فقال له من كتب هذه الرقعة فقال شيخ من الكتاب يحضر الدار في كل يوم فقال هلمه فلما حضر قال له ماهذا يا جاهل تفرغت لاصحابي فقال يا امير المؤمنين اصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في ايديهم من الخزائن والاموال واما شروط الخراج وحكمه وما يجب تعجيل استخراجه وما يجب تأخيره وما يجب اطلاقه وما يجب منعه وما يجب انفاقه وما يجب احتباسه فلا يعرفونه وتقليدهم اياه يعود بذهاب الارتفاع فان كنت يا امير المؤمنين لا تثق بنا فمر اني ان يضم الى كل رجل منهم رجل منا فيكون الشيعي يحفظ المال ونحن نجمعه فاستصاب المامون كلامه وامر بتقليد عمال السواد وكتابه وان يضم الى كل واحد منهم رجلاً من الشيعة وضم مخلد الى ذلك الشيخ فقلده ناحية جليلة * ووجدت في كتاب ابي الفرج الحنطي المخزومي الكاتب ان محمد بن عبد الحميد الحسمي قال حججت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وانا في بعض المنازل راجعًا اذ غشيتنا فقراء المدينة يستميحون فوقفت على جارية تتصدق بوجه كأنه القمر حين استدار ولون الشمس حين انار فرددت طرفي عنها واستعذت بالله من الفتنة بها فلم تزل بين رحال الحاج وتعود الى

رحلي حتى وقفت فقلت لها ما تستحين ان تبدين مثل هذا الوجه في مثل هذا الوقت والموضع بحضرة الخلائق فلطمت وجهها وقالت

لم ابده احتى نقضت حياتي ... أبديته وهو الاعز الاكرم
ويعز ذاك عليَّ الا انه ... دهر يجور كما تراه و يظلم
قد صنته وحجبته حتى اذا ... لم يبق لي طمع ومات الهيثم
أبرزته من حجبه مقهورة ... والله يشهد لي بذاك و يعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة ... قلَّ الصديق بها وعز الدرهم
أصبحت في ارض الحجاز غريبة ... وابو ربيعة اسرتي وتحكم

قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها وادبها وشعرها فبررتها وكتبت الابيات منها وقلت لها ما اسمك قالت المهناة بنت الهيثم الشيباني وكان ابي جار النبي صلى الله عليه وسلم فزاره واعتل ونفد ماله وتوفي وتركني فقيرة فاحتجت الى التكفف قال ورحلنا فلما صرنا الى الدجلة دخلت الى مالك بن طوق مسلماً فسألني عن طريقي وسفري وما رأيته فيه من الاعاجيب فحدثته بحديث الجارية فاعجبه واستظرفه وكتب الابيات مني فدخلت الى منزلي بالشام فلما كان بعد مدة اتاني رسوله يستزيرني فصرت اليه فلما كان بعد ايام من اجتماعنا كنت جالساً بحضرته فاذا خادمان قد جاءا ومعهما اكياس مختومة وتخوت ثياب مشدودة فوضعاها الي جانبي فقلت لمالك ما هذا قال حق دلالتك على المهناة بنت الهيثم الشيباني حتى اظفرني الله تعالى بها وهي ارسلت هذا اليك من مالها ولك من مالي ضعفه قلت فما الخبر قال انك لما انصرفت انفذت رسلا الى البادية ممن اثق بعقولهم وامانتهم فما زالوا يسئلون عنها حتى ظفروا بها وحملوها الي ووليها معها فلما جاءتني رأيت منها زيادة عما كان ذرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها وجعلته احد فوادي وافضت عليها من دنياي حسب تمكنها من قلبي فسألت عن سبب طلبي لها فاخبرتها خبرك وكتبت استزيرك لاعرفك هذا واقضي حقك فلما عرفت حضورك انفذت هذا اليك وقد امرت لك بعشرين الف درهم وعشر تخوت ثياباً قال ابن عبد الحميد فكانت ام عدة من اولاده * حدثني ابو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الاصبهاني قال كان ابو الحسن بن ابي الفضل ينقلد بلدنا فقدم عليه من بغداد شيخ من الكتاب يطلب التصرف واورد عليه كتباً من اخوانه بالحضرة يذكرون طول عطلته وموقعه من الصناعة ويسألونه تصريفه فسلم الرجل وجلس واخرج اضبارة الكتب

فتركها بين يديه وكان في الامير حدة وضجر فاستكثر الكتب وفض واحداً وقرأه واقبل على شغله من غير ان يقرأ باقي الكتب وضجر وتغيظ وقال اليس كلها في معنى واحد قد والله بلينا بكم معاشر المتعطلين كل يوم يصير الينا منكم واحد يريد تصرفاً او براً ولو كانت خزائن الارض لي لكانت قد نفدت يا هذا مالك عندي شيء ولا تصرف ولا لي عمل ساغر فأوده اليك ولا في مالي فضل لبرك فدبّر امرك بمعرفتك كل هذا والرجل ساكت الى ان امسك ابن ابي الفضل فلما سكن قال الرجل احسن الله جزاك وتولى مكافأتك الحسنى وفعل بك وصنع قال واسرف الرجل في شكره والدعاء له ثم ولى منصرفاً فقال ابن ابي الفضل ردوه فرد فقال يا هذا أتسخر بي على اي شيء تشكرني على اياسك من التصرف او قطع رجائك في الصلة وضجري لك او تريد خداعي بهذا الفعل فقال ما اريد خداعك وما كان من قبيح الرد غير منكر لانك حاكم ويلحقك ضجر ولعل الامر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك وقد تعبت بهم ولم اشكرك الا في موضع الشكر لانك صدقتني عما لي عندك في اول مجلس فاعتقت عنقي من ذل الطمع وارحتني من التعب بالغدو والرواح اليك وكشفت لي ما أدبر امري به وكسوتي لم تخلق وبقية نفقتي معي ولعلها يحملاني الى بلد اخر ووجهٍ سواك قال فاطرق الامير ومضى الرجل فرفع راسه وقال ردوه فلحقوه فردوه فاعتذر اليه وامر له بصلة وقال تاخذها الى ان اقلدك عملاً يصلح لك فاني ارى فيك مصطنعاً فلما كان بعد ايام قلده عملاً جليلاً وصلحت حال الرجل معه قال ابو الفرج المعروف بالاصبهاني قال حدثني جحظة وهو ابو الحسن احمد بن جعفر بن موسى ابن يحيى ابن خالدبن برمك قال احلت بي اضاقة انفقت فيها جميع ما املك حتى بقيت وليس في بيتي غير البواري فاصبحت يوماً وانا افلس من طنبور بلا وتر كما قال المثل ففكرت كيف اعمل فوقع لي ان اكتب الى محبرة بن أبي عباد الكاتب وكنت اجاوره وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته وحالفه النقرس فازمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف الا محمولاً على الايدي او المحفة وكان مع ذلك على غاية الظرف وكبر النفس وعظم النعمة ومواصلة الشرب وان اتطايب عليه ليدعوني فاخذ منه ما انفقه مدة فكتبت اليه

ماذا ترى في جدي وسيفي عضبا وبوارد
ومشمع ليس يخطي من نسل يحيى بن خالد
وقهوة ذات لون تحكي خدود الجرائد

قال فما شعرت الا بمحفة تحبرة تحملها غلمانه الى داري وانا جالس على بابي فقلت له لم جئت ومن دعاك قال انت قلت له انما قلت ماترى وعنيت بيتك وما قلت لك انه في بيتي و بيتي والله افرغ من فؤاد ام موسى فقال الآن قد جئت ولا ارجع ولكن ادخل اليك واستدعي من داري من اريد قلت ذاك اليك فدخل بيتي فلم ير الا باربة فقال يا ابا الحسن هذا والله غير مدقع ثم انفذ الى داره فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً وجاء فراشوه ففرشوا ذلك وجاؤا بآلات الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج اليه وجاء طباخه بما كان في معلبخه وهو شيء كثير الآلات وجاء شرابيه بالصوانى والمخروطي والفاكهة وآلة التبخير والبخور والوان الانبذة وجلس يومه ذلك وليلته عندي فشرب على غناء مغنية احضرتها له كنت الفتها فلما كان من غد سلم اليَّ غلامه كيساً فيه الف درهم ورزمة ثياب صحاح مفصلة من فاخر الثياب واستدعى محفته فجلس فيها فشيعته فلما بلغ آخر الصحن قال مكانك يا ابا الحسن احفظ بابك فكل مافي دارك لك فلا تدع احداً يحمل منه شيئاً وقال لغلمانه اخرجوا فخرجوا بين يديه واغلقت الباب على قماش بالوف كثيرة * وحدثني عبدالله بن محمد بن عبدالله العبقسي قال حدثني بعض تجار اهل الكرخ ببغداد عن صديق له قال كنت اعامل رجلاً من الخراسانية ابيع له في كل سنة متاعاً يقدم به فأنتفع من سمسرته بالوف كثيرة فلما كان سنة من السنين تأخر عن الحاج فاثر ذلك في حالي ثم توالت عليَّ محن فاغلقت دكاني وجلست في بيتي مستتراً من دين ركبني ثلاثاً او اربع سنين فلما كان في وقت ورود الحجاج تتبعت نفسي لاعرف خبر الخراساني طمعاً لاصلاح حالي بوروده فمضيت الى سوق يحيى فلم اعط له خبراً ورجعت فنزلت الى الجزيرة وانا تعب مغموم وكان يوماً حاراً ونزلت الى دجلة فسبحت وصعدت وانا رطب فابتل موضع قدمي وخطوت فعلقت برجلي قطعة رمل فانكشف سير فلبست ثيابي وغسلت رجلي وجلست مفكراً اولع بالسير فابحر فلم ازل اجره حتى بان لي همیان من جلد فاخرجته فاذا هو مملوء فاخفيته تحت ثيابي وجئت الى منزلي ففتحته فاذا فيه الف دينار عيناً فقويت نفسي به قوة شديدة وقلت اللهم لك عليَّ اني متى صلحت حالي بهذه الدنانير وعادت ان اتحرى خبر هذا الهميان فمن علمت انه له رددته عليه بقيمة مافيه من الدنانير واحتفظت بالهميان واصلحت امري مع غرمائي وفتحت دكاني وعدت الى رسمي في التجارة والسمسرة فما مضت عليَّ الا ثلاث سنين حتى صار في ملكي عين وورق بالوف دنانير وجاء الحجاج فتبعتهم لاعرف خبر

الهميان فلم يعطيني احد خبره فصرت الى دكاني فأنا جالس واذا برجل قائم حيال دكاني اشعث اغبر وافي السبال في خلقه سوء ال الخراسانية وزيهم فظننته سائلاً فأومأت الى دريهمات لاعطيه فأسرع الانصراف فارتبت به وقمت فلحقته فتأملته فاذا هو صاحبي الذي كنت انتفع من سمسرته في كل سنة فقلت له ما الذي اصابك وبكيت رحمة له فبكا وقال حديثي طويل فقلت البيت البيت فحملته فادخلته الحمام والبسته ثياباً نظافاً واطعمته ثم سألته عن خبره فقال انت تعرف حالي ونعمتي واني اردت الخروج الى الحج بعد آخر سنة جئت الى بغداد فقال لي امير بلدي عندي قطعة ياقوت احمر كالكف لا قيمة لها عظماً وجلالة ولا تصلح الا للخليفة فخذها معك فبعها لي ببغداد واشتري لي بها متاعاً طلبه من عطر وظرف بكذا وكذا واحمل الباقي مالاً فاخذت القطعة وهي كما قال فجعلتها في همیان من صفته كيت وكيت قال ووصف الهميان الذي عندي وجعلت في الهميان الف دينار عيناً من مالي وجعلته على وسطي فلما جئت الى بغداد نزلت اسبح في الجزيرة بسوق يحيى وتركت الهميان وثيابي بحيث الاحظها فلما صعدت من دجلة لبست ثيابي وقد غربت الشمس وانسيت الهميان فلم اذكره الا من غد فغدوت لطلبه وكأن الارض قد ابتلعته فهونت على نفسي المصيبة وقلت لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار اغرمها فخرجت الى الحج وقضيت حجي ورجعت الى بلدي فانفذت اليه ما حملته به واخبرته بخبري وقلت له خذ مني تمام الخمسة آلاف دينار فطمع وقال قيمة الحجر خمسون الف دينار وقبض على جميع ما املكه من مال ومتاع وانزل صنوف المكاره بي وحبسني سبع سنين كنت اتردد فيها في العذاب فلما كان في هذه السنة سألته الناس في امري فاطلقني فلم يمكنني المقام في بلدي وتحمل شماتة الاعداء فخرجت على وجهي اعالج الفقر بحيث لا اعرف وجئت مع الخراسانية امشي اكثر الطريق ولا ادري ما اعمل فجئت لاشاورك في معاش اتعلق به فقلت يا هذا قد رد الله عز وجل عليك ضالتك هذا الهميان الذي وصفته عندي وقد كان فيه الف دينار اخذتها وعاهدت الله عز ذكره اني ضامنها لمن يعطيني صفة الهميان وقد اعطيتني صفته وعلمت انه لك وقمت فجئت بكيس فيه الف دينار فقلت خذها وتعيش بها ببغداد فانك لا تعدم خيراً ان شاء الله تعالى فقال لي ياسيدي الهميان بعينه عندك لم يخرج عن يدك قلت نعم فشهق شهقة ظننت انه قد تلف منها وخر ساجداً فما افاق الا بعد ساعة ثم قال ائتني بالهميان فجئته به فقال سكين فاعطيته فخرق اسفله واستخرج منه حجر

ياقوت احمر كالكف فاشرق البيت منه وكاد ان يأخذ بصري شعاعه واقبل يشكرني ويدعو لي فقلت خذ دنانيرك فحلف بكل يمين انه لا ياخذ منها شيئاً الا ثمن ناقة ومحمل ونفقة تبلغه فاجتهدت به فبعد جهد اخذ ثلثمائة دينار واحلني من الباقي فلما كان في العام المقبل جاءني بقريب مما كان يجيئني به سالفاً فقلت خبرك فقال مضيت وشرحت لاهل البلد خبري واريتهم الحجر فجاء معي وجوههم الى الامير واعلموه القصة وخاطبوه في انصافي فاخذ الحجر ورد عليّ جميع ما كان اخذه مني من مال وعقار وضياع وغير ذلك ووهب لي مالاً من عنده وقال اجعلني في حل مما عذبتك به فأحللته وعادت نعمتي على ما كانت عليه وعدت الى تجارتي ومعاشي وكل هذا بفضل الله عز وجل وبركتك فعل الله بك وصنع قال وكان يجيئني في كل سنة الى ان مات * حدثني عبدالله بن محمد بن الحسن الصروي قال حدثني ابي ان رجلاً حج وفي وسطه هميان فيه دنانير وجواهر قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار وكان الهميان من ديباج اسود فلما كان ببعض الطريق نزل ليبول فانحل الهميان من وسطه فسقط ولم يعلم بذلك الا بعد ان سار عن الموضع فراسخ فاتفق ان جاء رجل في اثره فجلس يبول في مكانه فراى الهميان فاخذه وكان عليه دين فحفظه قال وكان الرجل من اهل بلدنا فاخبرني انه لم يؤثر في قلبي ذهابه لاني استخلفته عند الله تعالى وكان في طريق الله عز وجل وكانت تجارتي عظيمة واموالي كثيرة قال فلما قضيت حجتي وعدت وتتابعت المحن عليّ حتى لم املك شيئاً فهربت على وجهي من بلدي فلما كان بعد سنين من فقري وقد افضيت الى ان اتصدق على الطريق وزوجتي معي وما املك في تلك الليلة الا دانقاً ونصف وكانت الليلة مطيرة وقد اويت في بعض القرى الى خان خراب فضرب زوجتي الطلق فتحيرت وولدت فقالت يا هذا الساعة تخرج روحي فاخرج وخذلي شيئاً اتقوى به فخرجت اخبط في الظلمة والمطر حتى جئت الى بقال قال فدققت عليه فكلمني بعد جهد فشرحت له حالي فرحمني واعطاني بتلك القطع حلبة وزيتاً واغلاها واعارني غضارة جعلت ذلك فيها وجئت اريد الموضع فلما مشيت بعيداً وقربت من الخان زلقت رجلي وانكسرت الغضارة وذهب جميع ما فيها فورد على قلبي امر عظيم ماورد عليّ مثله قط فاقبلت ابكي والطم واصيح فاذا برجل قد اخرج راسه من شباك في داره فقال ويلك مالك تبكي ما تدعنا ان ننام فشرحت له القصة فقال ياهذا البكا كله بسبب دانق ونصف قال فداخلني من الغم اعظم من الغم الاول فقلت ياهذا والله ما عندي

قدر لما ذهب مني ولكن بكائي رحمة لزوجتي ولنفسي مما قد وقعت اليه فان امرأتي تموت الآن وولدي جوعاً ووالله والا عليّ وعليّ وحلف ايماناً غليظة لقد حججت في سنة كذا وكذا وانا املك من المال شيئاً كثيراً فذهب مني همميان فيه دنانير وجواهر تساوي ثلاثة آلاف دينار فما فكرت فيه وهو ذا تراني الساعة ابكي بسبب دانق ونصف فضة فاسأل الله تعالى السلامة ولا تعايرني فتبلى بمثل بلواي قال فقال لي بالله يارجل ما كان صفة همميانك فاقبلت الطم وقلت ما ينفعني ما خاطبتني به وما تراه من جهدي وقيامي في المطر حتى تستهزىء بي ايضاً وما ينفعني و ينفعك من صفة همياني الذي ضاع منذ كذا وكذا سنة قال ومشيت فاذا الرجل قد خرج وهو يصيح بي فقال يارجل خذ هذا فظننته يتصدق عليّ فجئت وقلت له اي شيء تريد فقال لي صف همميانك وقبض عليّ فلم اجد للخلاص سبيل غير وصفه له فوصفته فقال لي ادخل فدخلت فقال اين امرأتك قلت في الخان الفلاني قال فانفذ غلمانه فجاؤا بها فادخلت الى حرمه فاصلحوا شأنها واطعموها كل ما تحتاج اليه وجاؤني بجبة وقميص وعمامة وسراويل وادخلني الحمام سحراً وطرحت ذلك عليّ فاصبحت في عيشة راضية فقال اقم عندي اياماً فاقمت عشرة ايام فكان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير وانا متحير في عظم بره بعد شدة جفائه فلما كان بعد ذلك قال لي في اي شيء تتصرف قلت كنت تاجراً قال فلي غلات وانا اعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركني فقلت افعل فاخرج لي مائتي دينار فقال خذها واتجر فيها هاهنا فقلت هذا معاش قد اغناني الله يجب ان الزمه فلزمته فلما كان بعد شهور ربحنا فجئته واخذت حقي واعطيته حقه فقال لي اجلس فجلست فاخرج اليّ همياني بعينه وقال اتعرف هذا فحين رأيته شهقت واغمي عليّ فما افقت الا بعد ساعة ثم قلت له ياهذا املك انت ام نبي فقال انا ممتحن بحفظه منذ كذا وكذا سنة فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته وطالبتك بالعلامة فاعطيتها أردت ان اعطيك للوقت همميانك فخفت ان تنشق مرارتك فاعطيتك تلك الدنانير التي اوهمتك انها هبة وانما اعطيتكها من همميانك والدنانير المائتان قرض فخذ همميانك واجعلني في حل قال فشكرته ودعوت له واخذت الهميان وارتجع دنانيره ورجعت الى بلدي فبعت الجوهر وضممت ثمنه الى مامعي واتجرت فما مضت الا سنيات حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالي فانا اعيش في فضل الله تعالى وفي فضل تلك الدنانير الى الآن * عن ابي سهل زياد القطان صاحب علي بن عيسى قال كنت مع علي بن عيسى لما نفي الى مكة ودخلنا

في حر شديد وقد كدنا ان نتلف وطاف علي بن عيسى وجاء فالقى نفسه وهو كالميت من الحر والتعب وقلق قلقاً شديداً وقال اشتهي على الله تعالى شربة ماء مثلوج فقلت له يا سيدنا ابدك الله انت تعلم ان هذا مما لا يوجد في هذا المكان فقال هو كما قلت ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول فاستروحت الى المني قال فخرجت من عنده فرجعت الى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشأت سحابة وكثفت وبرقت ورعدت رعداً متصلاً شديداً ثم جاءت بمطر يسير وبرد كثير فبادرت الى الغلمان فقلت اجمعوا فجمعوا منه شيئاً كثيراً وملأنا منه جرارًا كثيرة وجمع منه اهل مكة شيئاً عظيماً قال وكان علي بن عيسى صائماً فلما كان وقت المغرب خرج الى المسجد ليصلي المغرب فقلت له انت والله مقبل والنكبة زائلة وهذه علامات الاقبال فاشرب الثلج كما طلبته قال وجئته في المسجد باقداح مملوءة من اصناف الاسوقة والاشربة مكبوسة بالبرد قال فاقبل يسقي من يقرب منه من الصوفية والمجاورين في المسجد الحرام والضعفاء ويشربونه ونحن ناتيه بما عندنا من ذلك واقول له اشرب فيقول حتى تشرب الناس فخبأت له خمسة ارطال وقلت له لم يبق شيء فقال الحمد لله ليتني كنت تمنيت المغفرة بدلاً من تمني الثلج فلعلي كنت اجاب فلما دخل المبيت حلفت عليه ان يشرب وما زلت اداريه حتى شرب منه بقليل سوبق بقية ليلته

حدثني عبد الله بن محمد بن الحسين بن الحفا العبقسي قال حدثني ابي قال كان مجاورني فتى من اولاد الكتاب ورث عن ابيه مالاً جليلاً اتلفه في القيان واكله اسرافاً وبدارًا حتى لم يبق معه شيء فاحتاج الى بعض داره فلم يبق منها الا بيت يأوي اليه فحدثني بعض من كان يعاشره قال صرت اليه يوماً بعد انقطاعي عنه بنحو سنة لا عرف خبره فدخلت عليه فوجدته نائماً في ذلك البيت في يوم بارد على حصير خلق وقد توطأ وطاً كانه حشو فراش وقد تغطا بقطن كانه حشو لحاف فهو بين ذلك القطن كانه السفرجل فقلت ويحك بلغت الى هذا الحال قال هو الحد ما ترى قلت فهل لك حاجة قال أو تقضيها فظننته يطلب مني شيئاً لنفقة فقلت اي والله قال اشتهي ان تحملني الى بيت فلانة المغنية حتى اراها يعني المغنية التي يعشقها واتلف ماله بسببها قال وبكا فرققت له ومضيت الى منزلي فجئته من ثيابي بما لبسه وادخلته الحمام وحملته الى بيتي فاطعمته وبخرته واخذت بيده وقصدنا دار المغنية فلما رأتنا لم تشك في ان حاله صلحت وانه قد جاءها بدراهم فبشت به وسألته عن خبره فصدقها عن حاله حتى انتهى الى ذكر الثياب وانها لي فقالت له في

الحال قم فقال لم قالت لئلا تجيء سيتي فتراك وليس معك شيء فتجرد عليّ فاخرج الى برا حتى اصعد فاكلمك من فوق فخرج وجعل ينظر ان تخاطبه من روزنة في الدار الى الشارع وهو جالس فقلبت عليه مرقة سكباج فصيرته آية ونكالا وضحكت فبكى وقال يا ابا فلان بلغ امري الى ها هنا اشهد الله واشهدك اني تائب عنها فاخذت اطنزبه وقلت اي شيء تنفعك التوبة الآن ورددته الى بيته ونزعت ثيابي عنه وتركته بين القطن كما كان اولا وحملت ثيابي فغسلتها وايست منه فما عرفت له خبرًا نحو ثلاث سنين فانا ذات يوم في باب الطاق فاذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسي فاذا به على برذون فاره بمركب خفيف مليح وثياب حسنة وكان قديمًا في ايام يساره يركب من الدواب والمراكب افخرها والته وثيابه وقماشه أفخر شيء فحين رآني قال فلان فعلمت ان حاله صلحت وقبلت فخذه وقلت سيدي ابو فلان قال نعم فقلت اي شيء هذا قال صنع الله عز وجل وله الحمد والشكر البيت البيت قال فتبعته حتى انتهيت الى بابه فاذا بالدار الاولى قد رممها وجصصها وطبقها و بنى فيها مجلسين متقابلين وخزائن ومستراحًا وجعل ما كان في الدار من البيوت والمجالس صحنًا كبيرًا وقد صارت طيبة الا انها ليست بذلك السرور الاول وادخلني حجرة كان يخلو فيها قديمًا وقد اعادها كاحسن ما كانت وفيها فرش حسنة ولكن ليس من ذلك الجنس الاول وليس في داره الا ثلاث غلمان وخادم قد كنت اعرفه لابيه قد رده واقامه على حرمه وشيخ بواب ممن كان بصحبهم قديمًا ووكيل يتسوق له فجلس واجلسني وجاؤنا بفاكهة حسنة نظيفة قليلة في آلة مقتصدة مليحة ثم جاؤا بعدها بطعام نظيف كاف غير مسرف ولا مقصر فاكلنا ثم نام ولم تكن تلك عادته ومدت ستار واحضرت مشام ورياحين في صوان وزبدات والجميع متوسط غير مسرف وانتبه فصلى وتبخر بقطعة ند جديد و بخرني بمثلها فقلت يا سيدي ما هذه الترتيبات التي لست اعرفها فقال دع ما مضى وخذ ما نحن فيه واقبل يشرب وغنى من وراء ستاره ثلاث جوار في نهاية طيب الغناء كل واحدة منهن احسن واطيب من التي اتلف عليها ماله فلما طابت نفسي ونفسه قال يا ابا فلان تذكر زماننا الاول قلت نعم قال انا الآن في همة متوسطة وما افدته من العقل والعلم بامر الدنيا ليسليني عما ذهب مني وهوذا ترى فرشي والتي وثيابي ومركبي فلم يكن ذلك بالعظيم المفرط ففيه جمال وبلاغ وتنعم وكفاية وهو مغن عن ذلك الاسراف والتبذير وقد تخلصت من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم عاملتني فلانة المغنية لعنها الله تعالى بما عاملتني به قلت نعم والحمد لله الذي كشف عنك ذلك فمن اين هذه

النعمة قال مات خادم كان مولي لابي وابن عم في يوم واحد فحصل لي من تركتهما اربعون الف دينار وصل اكثرها واناً نابين القطن كما رأيتني فحمدت الله تعالى واعتقدت التوبة من التدبير السيء وانا ادبر ما رزقته فعمرت هذه الدار بالف دينار واشتريت من الآلة والفرش والثياب والجواري ما تراه وغيره بسبعة آلاف دينار وسلمت الى بعض التجار الثقات الفي دينار يتجر لي فيها واودعت بطن الارض عشرة آلاف دينار للشدائد والحوادث وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد على مقدار نفقتي هذه التي شاهدتها فما ابقي احتاج الى الاستزادة وما تقبل غلة الا وعندي بقية من الغلة الأولى وانا اتقلب في نعم الله تعالى كما ترى ومن تمام النعمة ان لا اعاشرك ولا احد ممن كان يحسن لي الاسراف يا غلمان اخرجوه قال فاخرجت ووالله فما اذن لي بعدها في الدخول عليه

*حدثني ابي قال بلغني من غير واحد ان أبا يوسف صحب أبا حنيفة على فقر شديد وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش فيعود الى منزله الى فقر شديد وكانت امه تحتال فيما يقتاته يوماً بيوم فلما طال ذلك عليها خرج الى المجلس يوماً فاقام فيه وعاد ليلاً وطلب ما يأكل فجاءته بغضارة مغطاة فكشفها فاذا فيها دفاتر فقال ماهذا قالت ما أنت مشغول به نهارك أجمع فكل منه ليلا قال فبكي وبات جائعاً وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال فيما اكلوه فلما جاء الى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدقه فقال الا عرفتني فكنت امدك ولا يجب ان تغتم فانه ان طال عمرك فستاكل بالفقه الاوزينج بالفستق المقشر قال ابو يوسف فلما خدمت الرشيد واختصصت به قدم بحضرته يوماً لوزينج بفستق مقشر فدعاني اليها فحين اكلت منها ذكرت أبا حنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى فسألني الرشيد عن السبب فاخبرته * حدثني ابو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي ان شيخاً من التجار كان له عند بعض القواد مال جليل فماطله واستخف به قال فعملت على الظلامة الى المعتضد لاني كنت تحملت عليه واستشفعت وتظلمت الى عبيد الله ابن سليمان فلم ينجع ذلك فقال لي بعض اخواني على ان اخذ لك المال ولا تحتاج الى الطلامة الى المعتضد قم معي الساعة فقمت معه فجاء بي الى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط ويقرأ القرآن في مسجد فقص عليه قصتي فقام معنا فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي انك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك واياي لمكروه عظيم هذا اذا حصل على باب الرجل صفع وصفعنا معه هذا لم يلتفت لفلان وفلان ولم يفكر في الوزير فكيف يفكر في هذا الفقير فضحك الرجل وقال لا عليك امش واسكت فجئنا الى

باب القائد فحين رآه غلمانه أعظموه وأهووا لتقبيل يده فمنعهم من ذلك وقالوا ماحاجتك أيها الشيخ فان صاحبنا راكب فان كان أمراً نعلمه نحن بادرنا اليه والافادخل واجلس الى ان يجيء فقويت نفسي فدخلنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط اعظمه اعظاماً تاماً وقال لست اخلع ثيابي حتى تأمر بامرك فخاطبه في أمري فقال والله ماعندي الا خمسة آلاف درهم فسأله ان يأخذها ورهناً بباقي ماله الى شهر فبادرت بالاجابة فاحضر الدراهم وحليا بقيمة الباقي فقبضت ذلك واشهدت الخياط ورفيقي عليه الى شهر يكون الرهن عندي على البقية فان حان الاجل ولم يسدد فانا وكيل ابيع وأخذ مالي من ثمنه وخرجنا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت ياشيخ ان الله تعالى قد رد هذا المال بك فأحب أن تأخذ ربعه او ثلثه أو نصفه بطيب قلب مني فقال ما أسرع ماكافئتني على الجميل بالقبيح انصرف بمالك بارك الله لك فيه فقلت له قد بقيت لي حاجة فقال قل قلت تخبرني عن سبب طاعة هذا لك بعد تهاونه باكثر اهل المملكة فقال ياهذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي فالححت عليه فقال انا رجل اؤم واقري في هذا المسجد منذ أربعين سنة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركي كان في هذه الدار وامرأة جميلة بجنازة فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره وهي ممتنعة تستغيث وليس احد يغيثها ولا يمنعه منها وتقول في جملة كلامها قد حلف زوجي بطلاقي ان لا أبيت الا عنده فان بتني هذا حرمني مع مايرتكبه مني من المعصية قال فجئت الى التركي ورفقت به وسألته تركها فضرب رأسي بدبوس فشجني وادخل المرأة داره فسرت الى منزلي فغسلت الدم وشددت الشجة وخرجت أصلي عشاء الآخرة فلما فرغت منها قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي ننكر عليه ولا نبرح أو يخرج المرأة فقاموا وجئنا فصحنا على بابه فخرج علينا في عدة من غلمانه واوقع بنا وقصدني من دون الجماعة فضربني ضرباً عظيماً حتى كدت اتلف منه فحملني الحيران كالتالف فعالجني اهلي ونمت نوماً ثقيلاً وفقت نصف الليل فما حملني النوم للالم وفكراً للقصة فقلت هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الاوقات فلو أذنت لوقع له ان الفجر قدطلع فاطلق المرأة فلحقت بيتها قبل الفجر فسلمت من احدى المكروهين فخرجت الى المسجد متحاملاً وصعدت المنارة فاذنت وجعلت اتطلع منها الى الطريق أراقب خروج المرأة فان خرجت والا أقمت الصلاة لكي يشك في الصباح فيخرجها فما

مضت الا ساعة والمرأة عنده الا وقد امتلأ الشارع خيلاً ورجلاً ومشاعل وهم يقولون من هذا الذي اذن الساعة أين هو ففزعت وسكت ثم قلت أخاطبهم لعلي استعين بهم على اخراج المرأة فصحت من المنارة انا أذنت فقالوا اجب امير المؤمنين فقلت دنا الفرج فنزلت فاذا بدرو عدة غلمان معه فحملني وأدخلني على أمير المؤمنين فلما رأيته هبته وارتعدت فسكن مني وقال ماحملك على ان تغرر بالمسلمين باذانك في غير وقته فيخرج ذو الحاجة في غير حينها ويمسك المريد للصوم في وقت قد أبيح له فيه الافطار وينقطع العسس عن الطواف والحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين لاصدق قال انت أمن فقصصت عليه القصة وأريته الضرب فقال يابدر علي بالغلام والمرأة في هذه الساعة وعزلت في موضع ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فاخبرته بمثل ماقلته فقال لبدر بادر بها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها ويأمره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني فوقفت وجعل يخاطب الغلام وانا قائم اسمع الكلام فقال له يافلان كم جرايتك في كل سنة قال كذا وكذا قال وكم عطاؤك قال كذا وكذا قال فما كان لك فيهن وفي هذه النعمة العظيمة العريضة كف عن ارتكاب معاصي الله تعالى وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته بالوثوب على من أمرك بالمعروف قال فاسقط الغلام في يده ولم يدر جواباً فقال هاتوا جوالقاً ومداق الجص وقيدا وغلا فقيده واغله وأدخله الجوالق وأمر الفراشين بدقه بمداق الجص وانا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به فغرق في دجلة وتقدم لبدر بحمل مافي داره ثم قال لي ياشيخ اي شيء رايت من اجناس المكروه ولو على هذا وأومي بيده الى بدر فالعلامة بيننا ان تؤذن في هذا الوقت فاني أسمع صوتك واستدعيك وافعل مثل هذا بمن لايقبل منك او يؤذيك قال فدعوت له وانصرفت وانتشر الخبر عند الاولياء والغلمان فما خاطبت منهم احداً بعدها في انصاف احد او كف عن قبيح الا طاوعني كما رأيت خوفاً من المعتضد وما احتجت ان أذن الى الآن * وجدت في بعض الكتب عن الاصمعي قال كنت بالبصرة اطلب العلم وانا مقل وكان على بابنا بقال اذا خرجت بكرة يقول لي الى أين فأقول الى فلان المحدث واذا عدت المساء يقول لي من أين فاقول من عند فلان الاخباري واللغوي فيقول ياهذا اقبل وصيتي انت شاب فلا تضيع نفسك واطلب معاشاً يعود عليك نفعه واعطني جميع ماعندك من الكتب اطرحها في هذا الدن

وأصب عليها من الماء للعشرة اربعة وانبذه وانظر ما يكون منه والله لو طلبت مني بجميع مالديك من الكتب جوزة ما اعطيتك فيضيق صدري بمداومة الكلام حتى كنت اخرج من بيتي ليلاً وادخله ليلاً وحالي في خلال ذلك يزداد ضيقاً حتى أفضيت الى بيع آجر اساسات داري وبقيت لا اهتدي الى نفقة يوم وطال شعري واخلق ثوبي واتسخ بدني وانا كذلك متحير في أمري اذ جاء لي خادم الامير محمد ابن سليمان قال أجب الامير فقلت مايصنع الامير برجل قد بلغ به الفقر الى ماترى فلما رأى سوء حالي وقبيح منظري رجع فأخبر الامير بخبري وعاد الي ومعه تخوت ثياب ودرج فيه بخور وكيس فيه دنانير وقال قد أمرني الأمير ان ادخلك الحمام والبسك من هذه الثياب وادع باقيها عليك واطعمك من هذا الطعام واذا بخوان كبير فيه صنوف الاطعمة وأبخرك لترجع اليك روحك ثم اطلعك عليه فسررت بذلك سروراً شديداً ودعوت له فقمت وعملت ماقال ومضيت معه حتى دخلت على محمد ابن سليمان فسلمت عليه فقربني ورفعني ثم قال ياعبد الملك قد اخترتك لتأديب ولدي امير المؤمنين فاعمل على الخروج الى بابه وانظر كف يكون تشكرته ودعوت له وقلت سمعاً وطاعة سأخرج شيئاً من كتبي واتوجه فقال ودعني وكن على الطريق فقبلت يده واخذت جميع ما احتجت اليه من كتبي وجعلت باقيها في بيت وسددت بابه واقعدت على الدار عجوزاً من اهلنا تحفظها وباكرني رسول محمد بن سليمان وأخذني الى زلال قد اتخذ لي وفيه ما احتاج اليه وجلس معي يتفق على حتى وصلت الى بغداد ودخلت على امير المؤمنين فسلمت عليه فرد علي السلام وقال انت عبدالملك بن قريب الاصمعي قلت نعم أنا عبد امير المؤمنين بن قريب الاصمعي قال اعلم ان ولد الرجل مهجة قلبه وثمرة فؤاده وهو ذا اسلم اليك ابني محمداً بامانة الله فلا تعلمه مايفسد عليه دينه فلعل ان يكون للمسلمين اماماً قلت السمع والطاعة واخرجه الى وتخولت معه الى دار قد اخليت لنا لتأديبه فيها وبها من أصناف الخدم والفرش مايسر واجرى علي في كل شهر عشرة آلاف درهم وأمر بأن يخرج الي في كل يوم مائدة فلزمته وكنت مع ذلك اقضي حوائج الناس وأخذ عليها للرغائب وأنفذ جميع مايجتمع أولاً فاولا الى البصره فابني داري واشتري ضياعاً وعقاراً فأقمت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين وروي الشعر واللغة وروي أيام الناس وأخبارهم واستعرضه الرشيد فأعجب به وقال ياعبد الملك أريد ان يصلي بالناس اماماً في يوم جمعة فاختر له خطبة وحفظه اياها فحفظته عشراً فخرج

وصلى بالناس وأنا معه فأعجب الرشيد به واخذه نثار الدراهم والدنانير من الخاصة والعامة واثنى الجوائز والصلاة على من كل ناحية فجمعت مالاً عظيماً ثم استدعاني الرشيد فقال ياعبد الملك قد احسنت الخدمة فتمنى فقلت ماعسيت ان اتمنى وقد حزت امالي فأمر لي بمال عظيم وكسوة كثيرة وطيب فاخر وعبيد واماء وظهر وفرش وآلة فقلت ان رأى امير المؤمنين ان يأذن لي بالالمام الى البصرة والكتابة الى عامله بها ان يخاطب الناس الخاصة والعامة بالسلام على ثلاث أيام واكرامي بعد ذلك فكتب لي عنه بما أردت وانحدرت الى البصرة وداري قد عمرت وضيعتي قد كثرت ونعمتي قد فشت فما تأخر عني أحد فلما كان في اليوم الثالث تأملت اصاغر من جاءني فاذا البقال وعليه عمامة وسخه ورداء نظيف وجبة قصيرة وقميص طويل في رجله جرموقان وهو بلا سراويل فقال لي كيف انت ياعبد الملك فاستضحكت من حماقته وخطابه لي بما كان يخاطبني الرشيد فقلت بخير وقد قبلت وصيتك وجمعت ماعندي من كتب العلم وطرحتها في الدن كما أمرت وصببت عليه من الماء للعشرة اربعة فخرج ماترى ثم احسنت اليه بعد ذلك وجعلته وكيلي * اخبرني القاضي ابو علي محسن بن علي قال مسرور الكبير استدعاني المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلاناً وفلاناً وسماهما لي احدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعاً لما اقول لك فانه بلغني ان شيخاً يحضر ليلاً الى آثار دور البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلي ودينار حتى تردوا تلك الخرائب فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد ابياتاً فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرائب فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ... ونادى مناد للخليفة يا يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي ... عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب امير المؤمنين ففزع فزعاً شديداً وقال دعوني حتى أوصي بوصية فاني لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا فلما مثل بين يدي امير المؤمنين قال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم قال

الخادم ونحن نسمع يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادي خضرة عندي افتأذن لي
ان احدثك بحالي معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد
الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع
ما على راسي ورؤوس اهلي و بيتي الذي ولدت فيه اشاروا عليَّ بالخروج الى البرامكة
فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس معنا ما يباع ولا
يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت اعددتها
لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلاً
عن البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ باحسن زي وزينة وعلى الباب
خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين
ايديهم وانا اقدم رجلاً واؤخر اخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا
الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم واذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان
فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحداً و بين يديه عشرة من ولده واذا بامرد نبت العذار في
خديه قد اقبل من بعض المقاصير و بين يديه مائة خادم متمنطقون في وسط كل خادم
منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب في كل
مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهد وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين
يدي الغلام وجلس الى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم وزوج عائشة من ابن اخي هذا
فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق
المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمي ونظرت واذا نحن في المكان
مابين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنى عشر فاذا بمائة واثنى عشر خادماً قد اقبلوا
ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل
منا صينية فرايت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت
اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينية فغمزني
الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت اتلفت
الى ورائي مخافة ان امنع من الذهاب فبينما أنا كذلك وقد وصلت الى صحن الدار ويحيى
يلاحظني فقال للخادم ائتني بهذا الرجل فاتيته فقال مالي اراك تلتفت يميناً وشمالاً
فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتاه به فقال له يابني هذا رجل
غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدي وادخلني

الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في اذ عيش واتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد فلم ازل في ايدي القوم يتداولوني مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم اخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع وقال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها اليّ فاني مامور بقضاء جميع ما تامرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الى مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس امن البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد ما نزل أحجف بي عمرو بن مسعده والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا بقي دخلها به فلما تحامل عليّ الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم اليّ وابكي على احسانهم فقال المامون عليّ بعمرو بن مسعده فلما اتى به قال له أتعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا فقال له رد اليه كل ما اخذته منه في مدته وافرغها له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما راى المامون كثرة بكائه قال له باهذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضاً من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل بي مافعل من اين كنت اصل الى امير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فرايت المامون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر * بلغني انه كان رجل من اهل الكوفة من ذوي الادب والظرف يعاشر الناس ويتأتيه الطافهم فيعيش بها متسعاً ثم انقلب الدهر عليه فامسك الناس عنه وجفوه حتى قعد في

بيته والتجاء الى عياله وشاركهن في فضل مغازلهن فاستتم ذلك عليه وناسيه الناس ولزمه الفقر
قال فبينما انا ذات ليلة في منزلي على اسوء حال واذا بوقع حافر دابة ورجل يدق الباب
فكلمته من ورائه وقلت لهاما حاجتك قال ان اخالك لا اسميه يقرأ عليك السلام و يقول
اني مستتر وليس آنس بكل احد فان رأيت ان تصير اليّ لنتحدث ليلتنا قلت لعل سعدي
يكون قد تحرك ثم لم اجد شيئاً البسه فاشتملت بازار امرأتي وخرجت فقدم اليّ فرساً
مجنوباً كان معه فركبته الى ان ادخلني الى فتى أجمل الناس فقام اليّ وعانقني ودعا بالعشاء
فاكلنا وبالشراب فشربنا واخذنا في الحديث فما خفت في شيء الا وسبقني اليه حتى
اذا صار السحر قال ان رأيت أن لا تسالني عن شيء من امري او تجعل هذه الزيارة بيني
وبينك اذا ارسلت اليك فقال وهنا دراهم تقبلها ولا تردها واخرج اليّ جراباً مملوءا دراهم
ودنانير فدخلتني اريحية الشراب فقلت اخترتني على الناس لسرك فأخذ على ذلك جزاء لا
حاجة لي بالمال فجهد في فلم آخذه وقدم اليّ الفرس فركبت وعدت الى منزلي فدخلته
تخفقاً وعيالي يتطلعن الى ما أجيء به فاخبرتهن بخبري واصبحت نادماً على فعلي وقد ورد
علي وعلى عيالي ما لم يكن في حسابنا فمكثت حيناً لا يأتي رسول الرجل الى ان جاءني
بعد مدة فصرت اليه فعاودني مثل ذلك الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت تخفقاً فاقبلت
امرأتي عليّ باللوم والتوبيخ فقلت لها انت طالق ثلاثاً ان عاودني فلم آخذ ما يعطيني
فمكثت على ذلك مدة اطول من الاولى ثم جاءني رسوله فلما اردت الركوب قالت لي امرأتي
يامشؤوم اذكر يمينك وبكاء بناتي وسوء حالك وصرت الى الرجل فلما مضينا الى الشراب وانا
احادثه الى ان ابلج الفجر واخرج اليّ الجراب فعاودني في الكلام فأخذته فقبل راسي وتنكرني
على قبوله وقدم اليّ الفرس وانصرفت عنه الى منزلي فلقيت الجراب فلما راينه عيالي
سجدن لله شكراً وفتحناه فاذا هو مملوء دنانير فأصلحت من حالي واشتريت مركوباً وثياباً
حسنة واثاثاً وصيغة قدرت ان غلتها تفي بي وبعيالي بعدي واستظهرت على زماني ببقية
الدنانير وانهال الناس عليّ يظهرون الفرح بما تجدد لي وظنوا اني كنت غائباً في التجاع
ملك وعدت مسرياً وانقطع رسل الرجل عني فبينما انا اسير في القرب من منزلي واذا ضوضاء
شديدة وجماعة متجمعة فقلت ما هذا فقالوا رجل من مدينة فلان يقطع الطريق فطلبه
السلطان الى ان عرف خبره هنا فهجم عليه فخرج على الناس بالسيف يمنع عن نفسه
فقربت من الجمع وتأملت الرجل فاذا هو صاحبي بعينه يقاتل الناس والشرط فينكشف
الناس عنه ويكرون عليه و يضايقونه فنزلت عن فرسي واقبلت اقوده حتى دنوت منه وقد

انكشف الناس فقلت له عنه بابي وامي أنت شأنك والفرس واطلب والنجاه فاستوى على ظهره فلم يلحقوه نقبض علي الشرط واقبلوا يتهددوني حتى جاؤوا الى عيسى بن موسى وكان لي عارفاً فقالوا ايها الامير انا كدنا ان ناسر الرجل فجاء هذا فاعطاه فرساً فنجا عليه فاشتد غضب عيسى ابن موسى وكاد ان يوقع بي وانا منكر وشرحت له ما كان افضى بي الحال اليه وما عاملني به الرجل من الجميل واني كافأته فقال لي احسنت لا باس عليك ثم التفت الى الناس وقال ياحمقى هذا مستقتل بسيف قد تكاثرتم عنه باجمعكم فكيف كان هو يدفعه عن فرسه انصرفوا ثم خلا سبيلي فانصرفت الى منزلي وقد قضيت زمام التقي وخلصت النعمة بعد الشدة وامنت عواقب الحال وكان آخر عهدي به والسلام *سرق لجعفر بن سليمان الهاشمي جوهر بالبصرة وهو اميرها فجهد ان يعرف له خبراً فخفي عليه الفاعل فاغاظه فجاء بالشرط وضربهم فجدوا في الطلب فلما كان بعد ذلك بشهور أتاه بعضهم برجل وجده يبيع في سفط درة فاخرة من ذلك الجوهر وقد قبض عليه وضربه ضرباً عظيماً الى ان أقر فاخبر جعفر بخبره فاذن له في دخوله فلما رأى الرجل جعفراً استغاث به وبكى فرحمه جعفر وقال الم تكن طلبت مني هذه الدرة في وقت كذا فوهبتها لك فقال بلى فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الغريم *وروت الفرس قريباً من هذا فذكروا ان بعض ملوكهم سخط له على حاجب سخطاً عظيماً فالزمه بيته وكان فيه كالمحبوس وقطع عنه ارزاقه وجراياته واقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له مال ثم بلغه ان الملك قد اتخذ سماطاً عظيماً يحضره الناس في غد ذلك اليوم فأرسل الى اصدقائه وأعلمهم بان له مال ويجب ان يبعث بعض ولده ليحضره واستعار منهم دابة بسرجها ولجامها وغلاماً ليسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفاً ومنطقة فاعير ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته، حتى جاء دار الملك فلما رآه البوابون لم يشكوا في انه لم يقدم على ذلك الا باذن الملك وتذمموا التقدم وان يحجبوه حتى يستاذنوا فدخل وهو مظهر لقوة الباش ولم يزل حاله مع طائفة طائفة منهم يقوي نفسه الى ان وصل الى الملك وقد أكل وهو جالس يشرب فلما رآه الملك قطب وأنكر حضوره وهم ان يامر به وبالحجاب والبوابين فكره ان ينغص يوماً قد افرده بالسرور على نفسه وأقبل الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه قديماً فازدادت حالته تمويهاً على الحجاب والحاشية الى ان كاد المجلس ينهدم وغفلوا اكثر من كان حاضراً فيه فتقدم الى صينية من ذهب تزن الف مثقال مملوءة مسكاً فاخذها بخفة وجعل المسك في كمه والصينية في حقة وخرج فركب وعاد الى منزله ورد العواري على أهلها وباع المسك وكسر الصينية وجعلها دنانير واتسع

بها وافاق الملك في غد من سكرته وقد سمع الذين يخدمون في الشراب يطلبون الصينية وقهرمان الدار يطالب بها ويضرب قوماً من اجلها فذكر حديث الحاجب وعلم ان ما حمله على الاقدام على مثل ذلك الامر الا من وراء شدة وضر فقال لقهرمانه لا تطلب الصينية فما لأحد في ضياعها ذنب قد أخذها من لا يردها ونظره من لا ينم عليه فلما كان بعد سنة عاد ذلك الحاجب الى شدة الاضاقة لنفاد الدنانير وبلغه خبر سماط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة أخرى حتى دخل على الملك فلما رآه الملك قال يا فلان قد نفدت تلك الدنانير فقبل الارض بين يديه وبكى ومرغ خديه وقال ايها الملك قد احتلت مرتين في ان تقتلني فاستريح مما أنا فيه من عظم الضر الذي اعانيه او تعفوا عني كما يليق بك وتذكر حرمتي فاعيش في ظلك وليس لي بعد هذه الكرة حيلة فرق له الملك وعفا عنه وامر برد أرزاقه ونعمته ورده الى حالته الاولى في خدمته * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال نالت عمرو بن هبيرة اضاقة شديدة فاصبح ذات يوم في نهاية الكسل وضيقة الصدر والضجر مما هو فيه فقال له اهله ومواليه لو ركبت فلقيت امير المؤمنين فلعله اذا رآك ان يجرى لك شيئاً فيه محبة أو يسألك عن حالك فتخبره فركب ودخل على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة يخاطبه ثم نظر يزيد فوجد عمرو قد تغير تغيراً شديداً انكره فقال له أتريد الخلاء قال لا قال ان لك لشأنا قال يا امير المؤمنين اجد بين كتفي اذاً لا ادري ماهو قال يزيد انظروا ما هو فنظروا فاذا بين كتفيه عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب عهده على العراق وجعل يزيد يصفه بالرجولية وسعة الصدر * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثنا ميمون بن موسى قال خرج رجل من المتصرفين من عسكر المعتصم بالله الى مصر قال فحدثني عنه بعض المتصرفين قال نزلت في دار بالقرب منه فحدثني الرجل بما كنت وقفت على بعضه قال أصبحت ذات يوم وقد نفذت نفقتي وتقطعت ثيابي وانا من الهم والغم على مالا يوصف فقال لي غلامي اي شيء نعمل اليوم فقلت له خذ بلجام الدابة فبعه وانه محلى وابتع مكانه لجاماً جديداً واشتر لنا خبزاً سميذاً وجدياً حنيذاً فقد قرمت نفسي الى أكلها وعجل ولا تنس ان تبتاع ايضاً كوز نبيذ لسروري فمضى الغلام وجلست منكراً في امري وما الاقي وكيف اعمل فاذا بباب الدار قد دق دقاً عظيماً حتى كاد أن ينكسر فاذا رهج شديد فقلت لغلامي وكان واقفاً بين يدي اخرج فانظر ماهذا فذهب الغلام وفتح الباب فلم يفتح فكسره وامتلات الدار علي غلماناً من الاتراك وغيرهم واذا باشتاس وهو حاجب المعتصم

ومحمد بن عبد الملك الزيات وقد دخلا وطرحت لهما زولية فجلسا عليها واذا معهما حفارون قال فلما رايت ذلك بادرت فقبلت ايديهما فسألاني عن خبري فخبرتهما به واني خرجت من جملة اهل العسكر طمعاً في التصرف وذكرت حالي وما توالت اليه فوُعدت وعداً جميلاً والحفارون يحفرون فالتفت اشناس الى محمد بن عبد الملك فقال انا والله جائع فقال له محمد وانا والله جائع فقلت عند ذلك ياسيداي عندخادمكما شيء قد اتخذ له فاذا اذنتما في احضاره حضر فقالا هات فقدمت الجدي وما كان ابتيع فاكلا واستوفيا وغسلا ايديهما ثم قال لي اشناس عندك من ذلك الفن شيء فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاث اقداح فجعل احدهما يقول للآخر ظريف وما ينبغي لنا ان نضيع هذا الجميل فبينما الحال على ذلك اذ ارتفع تكسير الحفارين فاذاهم قد كشفوا عن عشرين مرجلاً دنانير واخرجت ليتوجهوا بها الى المعتصم فلما نهضوا قال احدهما للآخر فهذا الشقي الذي اكلنا طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا فقال الآخر ماذا نعمل نحن له حفنة من كل مرجل لا تؤثر فيه فنكون قد أغنيناه ونصدق امير المؤمنين على الحديث ثم قالا حجرك فجعل كل واحد منهما لي حفنة من كل مرجل ثم حملا المال وانصرفا فنظرت فاذا قد حصل لي عشرين الف دينار فانصرفت بها الى العراق فابتعت بها ضياعاً وتركت التصرف * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثني ابي عن ابي قلابة المحدث قال ضقت ضيقة شديدة فاصبحت ذات يوم والمطر يجيء كافواه القرب والاولاد يتضورون جوعاً وما عندي حبة واحدة لقوتها فبقيت متحيراً في امري فخرجت فجلست في دهليزي وفتحت بابي وجعلت افكر في امري ونفسي تكاد تخرج غماً مما انا فيه وليس يسلك الطريق احد لشدة المطر فاذا بامرأة على حمار فاره وخادم اسود آخذ بلجام الحمار والحمار يخوض في الوحل فلما صار بحذائي سلم عليّ وقال اين منزل فلان فقلت هذا منزله وانا هو فسألتني المرأة عن مسالة فافتيتها بها فصادف ذلك ما أحبّت فاخرجت من خفها خريطة ودفعت الي منها ثلاثين ديناراً ثم قالت يا ابا قلابة سبحان خالقك لقد تنوّق في قبح وجهك وانصرفت * وحدثني ابو القاسم التنوخي في المذاكرة باسناد ذهب عن حفظي قال كان احمد بن ابي خالد بغيضاً قبيح التجهم وكان مع ذلك حرًّا وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الاضخم من وجوه الكتاب فحدث قال لما آلت بي العطلة في ايام المأمون والوزير اذ ذاك احمد بن ابي خالد وضاقت حالي حتى خشيت التكشف فبكرت الى احمد بن ابي خالد مغلساً لاكلمه

في امري فرايت بابه قد فتح وخرج وبين يديه بريد المامون فلما نظرني أنكر بكوري وعبس وجهه وقال في الدنيا احد بكر هذا البكور ليشغلنا عن أمرنا فلم تصبر نفسي ان قلت ليس العجب منك اصلحك الله فيما استقبلتني به وانما العجب مني كيف قد اسهرت نفسي ليلتي واسهرت من في داري تاميلاً لك وتوقعاً للصبح لاصير اليك وابثك امري فأستعين بك على اصلاح حالي وحلفت يميناً غليظة ان وقفت ببابك او سألتك حاجه حتى تصير اليّ معتذراً مما كلمتني به وانصرفت مغموماً مكروباً بما لقيني به متذمماً على ما فرط مني غير شاك في العطب اذ كنت لا أقدر على الحنث وكان ابن ابي خالد لا يلتفت الى تبرئة قسمي فاني كذلك وقد طلعت الشمس اذ دخل بعض غلماني وقال احمد بن ابي خالد مقبل في الشارع ثم دخل آخر فقال قد دخل دارنا ثم آخر فقال قد وقف على الباب ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلاً له فلما استقر في مجلسه من داري ابتدأت اشكره على ابراره قسمي فقال ان امير المؤمنين كان امرني بالركوب اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني السهو مما فرط مني اليك حتى انكر ذلك فقصصت عليه قصتي معك فقال اسأت بالرجل قم فامض اليه واعتذر مما قلته له فقلت فأمضي اليه فارغ اليد قال فتريد ماذا قلت له تقضي دينه قال كم هو قلت ثلثمائة الف درهم قال وقع له بذلك قلت يرجع بعد الى الدين قال وقع له بثلثمائة اخرى قلت وولاية يتشرف بها قال وله مصراً او غيرها مما يشتهيها قلت ومعونة على سفره قال وقع له بمائة الف درهم قال واخرج التوقيع من خفه بالولاية و بسبعمائة الف درهم فدفعه اليّ وانصرف * وذكر ابو الحسين القاضي قال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الخياط قال كان في جيراني بالجانب الشرقي من بغداد رجل من الاتراك له رزق في الجند فتأخر رزقه في ايام المكتفي ووزارة العباس بن الحسين فساءت حاله ورثت هيئته حتى لزم الجلوس عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسألهم و يشفعه ايضاً بأن يعطيه في كل يوم خمسة ارطال خبزاً يتقوت بها هو وعياله فاجتمعت عليه للخباز شيء فضاق به صدر الخباز أن يعطيه شيئاً آخر فمنعه فخرج ذات يوم فجلس وهو عظيم الهم ثم كشف لي حديثه وقال لقد علمت ان لابد لي من مسألة الناس وقد عملت على مسالة كل من يشتري من الخباز ان يتصدق عليّ وقد حملني الجوع على هذا كله لكن لما ذكرت مافي ذلك من الذل منعتني نفسي فبينما هو على ذلك اذ جاء رجل بزي نقيب يسال عنه فدل عليه فوجده جالساً عند الخباز فقال له قم فقال الى اين قال الى الديوان

حتى تقبض رزقك فقد خرج لك ولصاحبك رزق شهرين فمضى معه فلما كان بعد ساعة جاء في وقد قبض مائتين واربعون دينارًا فرم منزله واصلح حاله وحال عياله واباع دابة وسلاحًا وخرج مع قائد كان برسمه وحسن حاله * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه باسناده عن الفضل بن عياض قال حدثني رجل ان رجلاً خرج بغزل له فباعه بدرهم ليشتري به دقيقًا فمر على رجلين كل واحد منهما آخذ برأس اخيه قال ماهذا قال يصطخبان في درهم فاعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره فجاء الى امرأته فاخبرها فجمعت له شيئًا من البيت فذهب يبيعه فكسد عليه فمر عليه رجل ومعه سمكة قد اروحت فقال له ان معك شيء قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك ان تبيعني هذا بذاك فبايعه وجاء الرجل بالسمكة الى البيت فقامت المرأة تصلحها واذا بلؤلؤة في جوفها فقالت له اتعرف قدر اللؤلؤة قال لا ولكن اعرف من يعرفه فانطلق بها الى صديق لي وهو في سوق الجوهر وقال بعها لي قال لك بها عليّ اربعون الف وان شئت فاذهب بها الى فلان فهو اثمن لك بها مني فذهبت بها اليه فقال لك بها ثمانون الفًا وان شئت فاذهب الى فلان فهو اثمن لك بها مني فذهبت اليه فقال لك بها مائة وعشرين الفًا ولا ادري احدًا يزيدك قال فحمل لي اثنى عشر بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم فذهب بها الى منزله ليضعها فيه فاذا رجل في الباب يسأل فقال هذه قصتي التي كنت عليها ادخل فدخل فقال له خذ نصف هذا المال فأخذ الرجل الفقير ست بدر ثم تباعد غير بعيد ورجع اليه وقال ما انا بمسكين ولا فقير ولكن ارسلني اليك ربك تعالى الذي اعطاك بالدرهم عشرين قيراطًا فهذا الذي اعطاك قيراط وادخر لك الباقي * وذكر ابو الحسين القاضي في كتابه قال القرطبي كان في جيراني رجل من اهل البيوتات وكانت له نعمة فزالت له وساءت حالته وكانت له زوجة واربع بنات فحملت زوجته واخذها الطلق في الليل قال فلم يكن لي حيلة شيء في الدنيا فخرجت ليلاً هاربًا على وجهي امشي حتى أتيت جسر النهروان فاملت ارالتي عاملها وكان يعرفني فاساله تصريفي في شيء وتعجيل رزقه ببعض الشيء لانفذه الى زوجتي فوصلت الى الموضع وقد ارتفع النهار فجلست استريح بالقرب من بقال فاذا برجل قد جاء ووضع نخلانة وعصاه ثم قال اعطني كذا وكذا من خبز وادم فاعطاه فاكل ووزن له الثمن ثم فتح نخلانة ففضها وميز ما فيها من الكتب فرأيت فيها خطابًا اليّ وعليه وصفة منزلي فقلت هذا اليّ فقال اتدري ما تقول قلت نعم قال افتعرف من كتبه قلت لا قال فان فيه

سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب من دون جميع ما معي استؤجرت وخرجت من الدينور فقلت له قد قلت لك الحقيقة وان مضيت الى بغداد لم تجد صاحب الكتاب غيري فقال اما هنا انسان يعرفك قلت نعم قال قم بنا اليه فجئنا الى العامل فلما دخلت عليه قال لي ما اقدمك يا ابا فلان علينا فقلت له قبل كل شيء من انا اعزك الله واين منزلي ببغداد قال انت ابو فلان بن فلان بن فلان الفلاني ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور في سكة كذا منها فقلت للرجل عرفت صدقي قال نعم فحدثت العامل بحديثي واخذت الكتاب من الرجل واذا هو من بعض المستورين من الدينور يذكر ابن عم كان لي فيها قد توفي بعد ان اوصى اليه اني انا وارثه واسماني له ووصف مسكني ببغداد وان الثلث من ماله يصرف في وجوه البر وباقي التركة لي وانه باع اثاث المنزل وما خاف فساده وصرف الثلث منه وبعض ما كان أوصى به وانفذ اليّ سفتجة بالثلثين من ذلك مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا دينار باجل اربعين يوماً على تاجر في دار القطن بالكرخ وقال والقصد ان تبادر الى الدينور لتبيع العقار والضياع او تبيع الثلث منها لتصرفه في مهم وتمسك بالباقي ان شئت قال فورد عليّ من السرور مالا عهد لي بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للرجل قد وجب حقك وساحسن اليك وشرحت له قصتي وانه لاحبة فضة معي فجاءني الى البقال وقال زن لاستاذي بكذا وكذا خبزاً وادماً وما يريد غيرهما فتغذيت ووزن الرجل ثمن ذلك من عنده واستأجر حمارين فاركبني احدهما وركب هو الآخر ووزن الاجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا الى بغداد وقصدنا دار القطن وفي النهار بقية صالحة فاوصلت السفتجة الى التاجر فقال صحيحة اذا حل الاجل فاحضر للقبض فقلت له خذ حديثي وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له ويرى في مروءتك وقصصت عليه قصتي فقال بالله الذي لا اله الا هو انت صادق فحلفت له فاخرج كيساً كان بقربه فوزن منه مال السفتجة واخذ خطي بذلك وصرت من وقتي الى السوق فاشتريت عسلاً وسكراً وشيرجاً وخبزاً كثيراً وحملاً مشوياً وما يصلح للنساء في النفاس ومهداً وقشوة وعطراً صالحاً وشيئاً من الثياب وصرت الى منزلي وقد قربت عشاء الآخرة فوجدت كل من فيه من النساء يدعوا عليّ ويلعنني فقدمت الحمالين ودخلت منزلي فانقلبت الدار وانقلب الدعاء عليّ فصار دعاء لي وصار الغم سروراً ووجدت زوجتي قد ولدت ابناً وعرفت الصبيان خبر السفتجة والميراث والرجل واعطيت الزوجة والقابلة من الدنانير واقمت الرجل عندي اياماً حتى اصلحت امري وامر عيالي

وخلفت لهم نفقة واعطيت الرجل منها واجزلت واكثرت منها حمار بن لي وله واستصحبته الى الدينور فوجدت فيه ما يخصني مما تركه ابن عمي نحو عشرة آلاف دينار فبعت ذلك كله واخذت بحصتي سفاتج الى بغداد وعدت وقد فرج الله عز وجل عني واصلح حالي فانا اعيش في بقية تلك الحال الى الآن * وذكر ابو الحسين القاضي قال حدثني ابي عن بعض اخوانه واحسبه ابو يوسف ابن يعقوب بن ثابت قال أملق بعض الكتاب في ايام الرشيد حتى افضى الى بيع دابته ونقض داره فلم يبق فيها الا بيت يأوي اليه هو وولده فانقطع عن الناس وانقطعوا عنه دهراً وكان الرشيد يولي اعمال اذربيجان وارمينية في كل سنتين اوثلاثا رجلاً فاضلاً قرة عين رجلاً هاشمياً فاضلاً فطلب كاتباً فارها يصطنعه وشاور فيه صديقاً له من الكتاب فوصف له هذا الرجل المتعطل ووعده باحضاره وصار اليه فطرق الباب عليه فوجده لما دخل اليه على حال من الفقر لا يتهيأ له معها لقاء احد فبعث اليه من منزله بخلعة من ثيابه ودابة وغلام وبخور ودراهم وركب معه الى الهاشمي فلقيه بها فاستجوبه الهاشمي فوجده بارعاً في صناعته فاستكتبه وقرر جرايته وامر له بمال معجل معونة له على سفره وامره بالقدوم على اذربيجان فعاد الرجل الى منزله واصلح من حاله وخلف نفقة لعياله وشخص الى تلك البلد فلما بلغ الوالي المصروف الخبر رحل عن البلد واخذ غير الطريق الذي بلغه ان الكاتب سلكه وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف الناحية خرج اليه كاتب المعزول ولقيه وسأله عن صاحبه فلما اعلمه بشخوصه الى دار السلام انكر ذلك فقال له كاتب المعزول مل بنا الى موضع نجلس فيه نتحدث ونرى رأيك فمالا ونزلا وطرح لهما ما جلسا عليه فقال اعزك الله لا تنكر انصراف صاحبي فانه رجل كبير المقدار وخاف من مهانة تلقاه فشخص الى دار السلام وقد خلف قبلي مائة الف درهم فاقبض ذلك واكتب لنا كتاباً بازاحة علته وانفصال ما بيننا وبينك ونحن ننصب لك من يرفع الحساب رفع من لا يغيب ولا يستعصى عليه فقبل كاتب الوالي ذلك وركبا وقد زال الخلاف بينهما الى تقبيض تلك الاشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه وكتب الكاتب الى الرشيد بازاحة علته وانفصال ما بينهم وبينه وخرج الكاتب لاحقاً لصاحبه وخلف من يسلم الحساب فاتصل ظاهر الخبر بالهاشمي الوالي فكتب الى كاتبه ينكر عليه فكتب اليه اني قد بلغت من الامر مبلغاً مرضياً اذا وقفت عليه فلما صار الى الناحية عرفه ما جرى فحسن موقعه منه وتبرك به وغلب على عقله فكسب مالاً عظيماً فلما مضت عليه ثلاث سنين صرف الهاشمي وخلفه الذي كان قبله والياً وبلغ الهاشمي الخبر فقال لكاتبه ما الرأي فقال نفعل به مثل ما

فعل بنا واقيم انا ومعي مثل ما كان اعطانا فاعطيه اياه وأخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه والحق بك ففعل ووافي الكاتب الذي كان مصروفاً فتلقاه الكاتب في الموضع الذي كانا التقيا فيه في مبدأ الامر فعدلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه صاحبه له وسأله قبول ذلك والكتابة بمثل ما كان كتب له الى الرشيد فامتنع من قبول ذلك وكتب له بانفصال ما بينهما الى الرشيد كتاباً وكيداً وقال اراك رجلاً فاضلاً فطناً وأرى صاحبك عاقلاً وقبول هذا لا يكون مكافأة له بل يكون كانه بيع له وشراء منه ولكن قد تذكرت أمراً أجمع لنا ولكم من هذا قال ماهو قال اعقد بيننا وبين صاحبك مهراً ونكون اخوة واصدقاء قال فعل الله بك وصنع فما في الدنيا اكرم ولاية منك فعقد بينهما المهرين وسارا الى مقصدهما ودخل الكاتب بغداد وقد حصل الهاشمي صاحبه واخبره الخبر فحمد ربه وامضى عقده في المصاهرة فصار الكاتب من ارباب الاحوال وعاد الى افضل ما كان عليه قبل محنته * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثتني جدتي ام ابي قالت كان زوجي يقعوب بن علي قد نهض الى مصر وتصرف بها وعمل وتعطل واقام هناك واضقنا اضاقة شديدة وعرضنا بيع ضيعة لنا فلم نجد لها ثمناً وتأخر كتابه عنا وانقطع خبره حتى توهمنا ان حادثاً حدث عليه وكان اولاده صغاراً فكنت احتال وانفق عليهم حتى لم يبق لي في المنزل شيء وحضر وقت عمارة الضيعة فاحتجنا الى بزر ونفقة فتعذر ذلك علينا حتى كدنا ان نتعطل ويفوت وقت الزراعة فاصبحت يوماً وبي من الغم من اجتماع هذه الاحوال أمر عظيم ووجهت الى بعض من كنت اثق به واتوهم اني لو سألته اسعافنا بالكثير من ماله ان لا يخالفنا لأقترض منه شيئاً لذلك فرد رسولي واعتذر وعرفني الرسول انه قال اذا بعثت لهم ما طلبوا والضيعة لم تعمر ولم يحصل لهم غلة وزوجهم لم يعرف له خبر فمن اين تردون على المال قالت فكدت اموت غماً وامتنعت من الطعام يومي وليلتي فاصبحت فما انتصف النهار حتى ورد عليّ كتاب زوجي بسلامته وذكر السبب في تاخر كتابه وبسفجة انفذها طي كتابه بمائتي دينار وذكر ثياباً انفذها مع آخر من اهل البصرة مبلغها خمسون ديناراً فعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة وحسنت حالي * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه ايضاً قال روى ان سعيد بن العاص قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفان وكان يتعشى عنده من القراء رجل قد ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك قد بلغنا عن اميرنا هذا كرم فاذكر له حالك فلعله ان ينيلنا شيئاً فلم يبق للصبر فينا بقية فقال ويحك لا تخافي وجهي فقالت فاذكر له ما نحن فيه على كل حال فلما كان بالعشاء اكل عنده ولما انصرف الناس

ولم يقم الرجل فقال له سعيد اظن جلوسك لحاجة فاذكرها فخجل الرجل فقال سعيد لغلمانه نحوا ثم قال يرحمك الله أنا وأنت فاذكر حاجتك فخجل فنفخ سعيد المصباح فأطفاه ثم قال رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر حاجتك قال أصلح الله الامير اصابتنا حاجة وأحببت ذكرها لك قال فاذا اصبحت فأت فلانا وكيلي فلما اصبح الرجل لقي الوكيل فقال ان الامير قد أمر لك بشيء فهات من يحمله معك فقال ماعندي من يحمل معي وما أظن الامير الا قد امر لي بقوصرة تمر وقد ذهب ماء وجهي ولو كانت دراهم أو دنانير لاعطانيها بيدا بيد فلما كان بعد ايام قالت له امرأته ياهذا قد بلغ بنا الامر الى ما نرى ومعها اعطاك الامير فخذه ننقوت به أياما فاذهب والق وكيله فلقيه فقال اين أنت لقد اخبرت الامير أن ليس لك من يحمل ما أمر به لك فأمرني ان أوجه معك من يحمل ذلك قال ثم أخرج اليه أناس من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم وقال امضوا معه فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة واخرج منها دراهم فدفعها للسودان وقال انصرفوا فقالوا الى اين نحن عبيدك انه ما حمل مملوك لأمير هدية فرجع المملوك الى مالكه قال فصلحت حال الرجل واستظهر في امر دنياه * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه عن الاصمعي قال لزمت باب الرشيد وكنت أقيم عليه طول نهاري وأبيت بالليل مع الحراس اسامرهم واتوقع طالع سعدي حتى كدت اموت قرًا وهزالا وانا اتصبر واتذكر عاقبة الصبر وما وراءه من الفرج وآمل صلاح حالي باتفاق محمود فبينا انا ذات يوم وقد أثر فيّ السهاد خرج بعض الحجاب فقال هل بالباب احد يحسن الشعر فقلت الله اكبر رُبَّ مضيق فكه اليسر أنا ذاك الرجل فأخذ بيدي وقال ادخل فانه ختم لك بالسعاد ولعلها ليلة تكون فزت فيها بالغني فقلت بشرك الله بالخير ودخلت فواجهت الرشيد في البهو جالسا والخدم وقوفا على راسه وجعفر بن يحيى البرمكي الى جانبه فوقف بي الحاجب حتى يسمع تسليمي فسلمت ثم قال تنح قريبا لتسكن نفسك ان كنت وجدت للردعة حسا فقلت في نفسي ان سكت فهي فرصة تفوتني الى آخر الدهر فلا اعتاض عنها الا كمدا حتى يضيق عليّ الضريح فقلت بصوت اضاءه كرم أمير المؤمنين وبهاء مجده مدبران لمن نظر اليه من آذبة النفس يسالني أيده الله فاجيبه ام ابتدى فأصيب فتبسم الىّ جعفر وقال ما أحسن من استدعى الاحسان واحرى به ان يكون محسنا ثم قال لي أشاعر انت ام راوية للشعر قلت راوية قال لمن قلت لكل ذي جد وهزل بيد ان يكون محسنا قال ﴿ اصف الغارة من راماها ﴾ ما معنى هذه الكلمة قلت لها وجهان زعمت التبابعة انه كان لها رماة لا يقع سهامها في غير

الحدق فكانت تكون في الموكب الذي فيه الملك على الجياد البلق فخرج فارس معلم بعذبات مسمور وقلنسوة فنادى اين رماة الحدق فقالت العرب انصف الفارة من راماها والوجه الآخر المرتفع من الجبل الشاهق فمن ضاهاه بفعاله فقد راماه وما احسب هذا هو المعنى لان المراماه كالمعاطاه فكما ان المعاطاه للنديم هو ان ياخذ كاساً كذلك المراماه ترميها وترميه قال اصبت ارويت للحجاج شيئاً قلت الاكثر قال انشدني قوله (ارقني طارق هم طارق) فمضيت فيها مضى الجواد تهدر اشداقي فلما بلغت مدحه لبنى أمية ثنيت عنان اللسان لامداحه للمنصور قال أعن عمد او عن غير عمد فقلت بل عن عمد قال تركت كذبه الى صدقه بما وصف المنصور من مجده قال جعفر بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف ثم التفت الى الرشيد وقال ارويت لعدي بن الرقاع قلت الاكثر قال انشدني قوله * بانت سعاد فاخلفت ميعادها * فابتدرت بها تهدر اشداقي فقال لي جعفر يا هذا انشد على مهل لن تنصرف الا غانماً فقال الرشيد هل قطعت على لتشركني في الجائزة قال فطابت نفسي وقلت أفلا البس اردية اليه على العرب وانا ارى الخليفة والوزير يتناطران المواهب لي فتبسم ومضيت فيها ثم قال أرويت لذى الرمة شيئاً قلت الكثير قال انشدني قوله * أمن حذر الهجران قلبك يطمح * فقلت هي عروس شعره قال فأية لجهة قلت قوله (مابال عينك منها الماء ينسكب) قال امض فيها فمضيت حتى انتهيت الى وصفه جميلة قال جعفر تغنى علينا ماتسع من مسامرة الشين بجمل اجرب فقال الرشيد اسكت فهي التي سلبتك تاج ملكك وان عجتك عن قرارك ثم جعلت جلودها سياطاً لتضرب بها انت وقومك عند الغضب فقال جعفر الحمد لله عوفيت من غير ذنب قال الرشيد اخطأت في كلامك لو قلت استعين الله قلت صواباً انما يحمد الله عز وجل ويستعان على الشدائد ثم قال اني لاجد مللاً وهذا جعفر ضيف عندنا فسامره في ليلتك فاذا أصبحت فان تابعي يلقاك بثلاثين الف درهم ثم قام وقربت اليه النعل فجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله فقال ارفق ويلك احسبك قد عقرتني فقال جعفر قاتل الله العجم لو كانت سديه ما احتاج امير المؤمنين الى هذه الكلفة فقال هذه نعلي ونعل أبائي ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره فمضى فقال جعفر لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يجوز ان امر فيه بمثل ما أمر لك لأمرت لك

بثلاثين الف درهم ولكن قد أمرت بتسعة وعشرين الف درهم فاذا أصبحت فاقبضها فما صليت ظهر الغد الا في منزلي وقد صرف لي المال فأيسرت ولازمتها وزال ما كنت فيه من الضر واتي الاقبال ٭ وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال بلغني عن عمرو ابن مسعدة انه قال كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقة قال ياعمرو ماترى الرجحي قد احتوى على الاهواز وهي سلة الخير وجميع المال قبله وطمع فيها وكتبه متصلة بحملها وهو يتعلل ويتربص بي الدوائر فقلت أنا اكفي أمير المؤمنين هذا وأنفذ من يضطره الى حمل ماعليه فقال مايقنعني هذا فقلت فيأمر أمير المؤمنين بأمره فقال فاخرج اليه بنفسك حتى تصفده بالحديد فتحمله الى بغداد وتقبض على جميع مافي يده من أموالنا وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً فقلت السمع والطاعة فلما كان في غد دخلت عليه فقال مافعلت فيما أمرتك به قلت انا على ذلك قال أتريد ان تجيء في غد مودعاً قلت السمع والطاعة فلما كان في غد جئته مودعاً فقال اريد ان تحلف لي انك لاتقيم ببغداد الا يوماً واحداً فاضطربت من ذلك الى ان حضني واستحلفني ان لا أقيم فيها اكثر من ثلاثة أيام فخرجت حتى قدمت بغداد فلم اقم بها الا ثلاثة أيام وانحدرت في زلال اريد البصرة وجعل لي في الزلال خيش واستكثرت من الثلج لشدة الحر فلما صرت بين جرجاي وحبل سمعت صوتاً من الشاطىء يصيح ياملاح فرفعت سجف الزلال واذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافي القدمين خلق القميص فقلت للغلام أجبه فأجابه فقال ياغلام انا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى وقد احرقتني الشمس وكادت تتلفني وأريد حبل فاحملوني معكم فان الله يحسن اجر صاحبكم قال فشتمه الملاح وانتهره فادركتني رقة عليه وقلت خذوه معنا فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه فلما صار معنا في الزلال وانحدرنا تقدم فدفعت اليه قميصاً ومنديلاً وغسل وجهه واستراح وكانه كان ميتاً وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغذاء وتقدمت وقلت للغلام هاته يأكل معنا فجاء وقعد على الطعام فأكل اكل اديب نظيف غير ان الجوع اثر فيه فلما رفعت المائدة اردت ان يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل فغسلت يدي وتذممت ان امر بقيامه فقلت قدموا له الطشت فغسل يده واردت بعدها ان يقوم لانام فلم يفعل فقلت ياشيخ اي شيء صناعتك قال حائك اصلحك الله فقلت في نفسي هذه الحياكة علمته سوء الادب فتناومت عليه ومددت رجلي فقال قد سألتني عن صناعتي وانت أعزك الله ماصناعتك

فاكبرت ذلك وقلت انا جنيت على نفسي هذه الجناية ولابد من احتمالها أتراه الاحمق لايرى زلالي وغلماني ونعمتي وان مثلي لايقال له هذا فقلت كاتب فقال كاتب كامل ام كاتب ناقص فان الكتاب خمسة فأيهم انت فورد على من قول الحائك مورداً عظيماً وسمعت كلاماً اكبرته وكنت متكئاً فجلست ثم قلت فصل الخمسة قال نعم كاتب خراج يحتاج ان يكون عالماً بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبثوق والفنون والرتوق وكاتب احكام يحتاج ان يكون عالماً بالحلال والحرام والاحتجاج والاجماع والاصول والفروع وكاتب معونة يحتاج ان يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والموانبات والسياسات وكاتب جيش يحتاج ان يكون عالماً بحلى الرجال وشيات الدواب ومداراة الاوليا وشيئاً من العلم بالنسب والحساب وكاتب رسائل يحتاج ان يكون عالماً بالصدور والفصول والاطالة والايجاز وحسن البلاغة والخط قال فقلت اني كاتب رسائل قال فاسألك عن بعضها قلت قل فقال لي اصلحك الله لو ان رجلاً من اخوانك تزوج امك فأردت ان تكاتبه مهنئاً فكيف كنت تكاتبه ففكرت في الحال فلم يخطر ببالي شيء فقلت ما أرى للتهنئة وجهاً قال فكيف تكتب اليه تعزيه ففكرت فلم يخطر ببالي شيء فقلت اعفني قال قد فعلت ولكنك لست بكاتب رسائل قلت انا كاتب خراج قال لابأس لو ان امير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقضي حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك واحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك فحلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا وحلفت الرعية بالله انهم لقد جاروا وظلموا وقالت الرعية قف معنا على مامسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقفوا على قراح شكله قائل قنا كيف كنت تمسحه قلت كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم اضربه في مثله قال ان شكل قائل قنا ان يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس قلت فأخذ الوسط فاضربه في العرض قال اذا ينتني عليك العمود فأسكتني فقلت ولست كاتب خراج قال فاذاً ما أنت قلت أنا كاتب قاض قال أرأيت لو ان رجلاً توفي وخلف امرأتين حاملتين احداهما حرة والاخرى سرية فولدت السرية غلاماً والحرة جارية فعدت الحرة الى ولد السرية فأخذته وتركت بدله الجارية فاختصما في ذلك فكيف الحكم بينهما قلت لا أدري قال فلست بكاتب قاض قلت فأنا كاتب جيش فقال لابأس أرأيت لو ان رجلين جاءاليك لتحليهما وكل واحد منهما اسمه واسم ابيه كاسم الآخر الا ان احدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق

الشفة السفلى كيف كنت تحليهما قال قلت فلان الاعلم وفلان الاعلم قال ان رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يجيء في دعوة الاخر قلت لا أدري قال فلست بكاتب جيش قلت انا كاتب معونة قال لاتبالي لو ان رجلين رفعا اليك قد شج احدهما الاخر شجة موضحة وشج الاخر شجة مأمونة كيف كنت تفصل بينهما قلت لا أدري قال لست اذاً كاتب معونة اطلب لنفسك ايها الرجل شغلاً غير هذا قال فصغرت الىّ نفسي وغاظني فقلت قد سئلت عن هذه الامور ويجوز ان لايكون عندك جوابها كما لم يكن عندي فان كنت عالماً بالجواب فقل فقال نعم اما الذي تزوج امك فتكتب اليه أما بعد فان الامور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم بل هو تعالى يختار لهم ما احب وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضها وان القبور اكرم الازواج واستر العيوب والسلام واما قراح قائل قنا فتمسح العمود حتى اذا صار عداداً في يدك ضربته في منله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة واما الجارية والعلام فيوزن لبن الانثيين فأيهما كان اخف فالجارية له واما الجنديان المتفقا الاسمين فان كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الاعلم واذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الافلح واما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية ولصاحب المأمونة نصف الدية فلما اجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهراً في جميعها حاذقاً بليغاً فقلت الست زعمت انك حائك فقال انا اصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة وأنشأ يقول شعر

مامر بؤس ولا نعيم الاولي فيهما نصيب
فذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
نوائب الدهر ادبتني وانما يوعظ الاديب

قلت فما الذي بك من سوء الحال قال انا رجل كاتب دامت عطلتي وكثرت عيلتي وتواصلت محنتي وقلت حيلتي فخرجت اطلب تصرفاً فقطع علي الطريق فصرت كما ترى فمشيت على وجهي فلما لاح لي الزلال استغثت بك قلت فاني قد خرجت الى متصرف جليل احتاج فيه الى جماعة مثلك وقد أمرت لك بخلعه حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها امرك وتنفذ منها الى عيالك وتقوي نفسك بباقيها وتصير معي الى عملي فأوليك اجله فقال احسن الله جزاك اذاً تجدني بحيث أسرك ولااقوم مقام معذر اليك ان شاء الله وامرت بتقبيضه مارسمت له قبضه وانحدر الى الاهواز

معي فجعلته المناظر للرجحي والمحاسب له بحضرتي والمستخرج لما عليه فقام بذلك احسن قيام وعظمت حاله معي وعادت نعمته الى احسن ما كانت عليه * قال مؤلف هذا الكتاب بلغني لعمرو ابن مسعده في زلال له خلاف هذا حدثني به عبدالله ابن الحسن العبسي وهو يذكر ان اهل امه اقرباء لبني مازنة الذين كانوا ابناء البصرة واهل النعم بها قال حدثني ابي قال سمعت شيوخاً يتحدثون ان عمرو بن مسعدة كان مصعداً من واسط الى بغداد في حرّ شديد وهو جالس في زلال فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله عليك الا نظرت اليّ قال فكشفت سجف الزلال فاذا شيخ ضعيف حاف حاسر فقال له قد ترى ما انا فيه ولست اجد من يحملني فابتع الاجر فيّ وتقدم الى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم الى ان ابلغ بلداً يطرحوني فيه قال عمرو فرحمته وقلت خذوه فاخذوه فغشي عليه وكاد يموت لما لحقه من الشمس والمشي فلما افاق قلت له يا شيخ ما حالك وقصتك فبكا وقال قصتي طويلة فسليته من بكائه وطرحت عليه قميصاً ومنديلاً وأمرت له بدراهم فاستمسك وشكرني وحمد الله جلت عظمته فقلت له لا بد ان تحدثني بقصتك انا رجل كانت لله علي نعمة وكنت صيرفياً فابتعت جارية بخمسمائة دينار فعشقتها عشقاً عظيماً فكنت لا افارقها الاساعة واحدة فاذا خرجت الى الدكان اخذني الجنون والهيمان حتى اعود اليها فاجلس معها بقية يومي فدام ذلك حتى تعطل دكاني وبطل كسبي واقبلت انفق رأس مالي حتى لم يبق منه قليل ولا كثير وانا مع ذلك الحال لا اطيق ان افارقها بقدر ما اقعد في الدكان لأتعيش وحبلت الجارية واقبلت انقض داري وابيع انفاضها حتى فرغت من ذلك ولم يبق لي حيلة وضربها الطلق فقالت لي ياهذا هو ذا أموت فاحتل فما تبتاع به عسلاً ودقيقاً وشيرجاً والا مت فبكيت وحزنت وخرجت علي وجهي وجئت لاغرق في الدجلة فذكرت حلاوة الروح والنفس وخوف العقاب في الآخرة ثم خرجت على وجهي الى النهروان وما زالت امشي من قرية الى قرية حتى بلغت خراسان فصادفت من عرفني فتصرفت في صناعتي ورزقني الله جلت عظمته فاثريت واتسعت حالي وكتبت ستة وستين كتاباً لاعرف خبر منزلي فلم يعد الي الجواب فلم اشك ان الجارية قد ماتت فقطعت المكاتبة وتراخت السنون حتى حصل معي ما قيمته عشرون الف دينار فقلت قد صارت لي نعمة فلو رجعت الى وطني فابتعت بالمال كله متاعاً من خراسان وأقبلت أريد العراق من طريق فارس والاهواز فلما حصلت بينهما خرج على القافلة اللصوص فاخذوا ماجميع ما فيها

ونجوت بثيابي وعدت فقيراً كما خرجت من بغداد فدخلت الاهواز وبقيت فيها متحيراً حتى كشفت خبري لبعض أهلها ممن لا أعرفه فاعطاني ما تحملت به الى واسط ونفدت نفقتي فمشيت الى هذا الموضع وقد كدت أتلف فاستغثت بك ولي منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة فعجبت من محنته ورفقت به وقلت له اذا صرنا الى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر اليّ فاني آمر بتصريفك فيما يصلح لمثلك مما تعيش به فشكر ودعا ودخلت بغداد ومضت على ذلك مدة نسيته فيها فبينما انا يوماً قد ركبت اريد دار المأمون فاذا بالشيخ على بابي راكباً بغلاً فارهاً بمركب محلى ثقيل وغلامين أسودين بين يديه كانهما مماليكه وثياب حسنة فلما رأيته رحبت به وقلت له ما الخبر فقال طويل فقلت عد اليّ فلما كان من الغد جاءني فقلت له عرفني خبرك فقد سررت بحسن ظاهر حالك فقال اني لما صعدت من زلالك قصدت داري فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلفت غير ان باب الدهليز مجلو نظيف وعليه دكتان وبغال مع شاكرية فقلت انا لله ماتت جاريتي ويملك الدار بعض الجيران فباعها لرجل من اصحاب السلطان فقدمت على رجل بقال كنت اعرفه في المحلة فاذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون من فلان البقال فقال ابنه فقلت ومتى مات ابوك قال منذ عشرين سنة قلت هذه الدار لمن قال لابن داية امير المؤمنين وهو الآن جهبذة وصاحب بيت ماله فقلت بمن يعرف قال بابن فلان الصيرفي فمضيت فقلت هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار ابيه فقلت وهل يعيش ابوه قال لا قلت افتعرف عن حديثهم شيئاً قال نعم حدثت ان هذا الرجل كان صيرفياً جليلاً وافتقر وان ام هذا الفتى ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب لها شيئاً ففقد وهلك نقل ابي فجاءني رسول ام هذا الغلام تستغيث بي فقمت لها بحوائج الولادة ودفعت لها عشرة دراهم فما انفقتها حتى قيل قد ولد لامير المؤمنين الرشيد مولود وقد عرض عليه جميع المراضع فلم يقبل ثديهن وقد طلب له الحرائر فجاؤه بغير واحدة فما أخذ ثدي واحدة منهن وهم في طلب مرضع فأرشدت الذي طلب الداية الى أم هذا فحملت الى دار الرشيد وحين وضع فم الصبي على ثديها قبله فأرضعته وكان الصبي هو المأمون وصارت عندهم في حالة جليلة ووصل اليها منهم خير عظيم ثم خرج المأمون الى خراسان فخرجت هذه المرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف اخبارهم الا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت حاشيته وقد رأينا هذا قد جاء رجلاً وانا لم اكن رأيته قط وقد كان ابي قد مات فقالوا هذا ابن فلان الصيرفي وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها فقلت

له انعندك علم من امه اهي حية ام ميتة فقال هي حية تمضي الى دار الخليفة اياماً وتكون عند ابنها اياماً وهي الان هنا فحمدت الله على هذه الحالة وجيت حتى دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن وفيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم وفي صفاف الدار ومجالسها جهابذه بين ايديهم الاموال والتخوت والشواهين يقبضون ويقبضون وبصرت بالفتى فرأيت شبهي فيه فعلمت انه ابني فجلست في غمار الناس الى ان لم يبق في المجلس غيري فاقبل اليّ فقال يا شيخ هل من حاجة تقولها ولكنها لا يجوز ان يسمعها غيرك ثم اومأ الى غلمان كانوا قياماً حوله فانصرفوا فقال قل اعزك الله قلت انا ابوك فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني بحرف ووثب مسرعاً وتركني في مكاني فلم اشعر الا بخادم قد جاءني وقال قم يا سيدي فقمت معه حتى بلغت ستارة منصوبة في دار لطيفة وكرسي بين يديه والفتى خارج الستارة على كرسي آخر فقال اجلس ايها الشيخ فجلست على الكرسي ودخل الخادم فاذا بحركة خلف الستارة فقلت اظنك تريد ان تختبر صدق قولي من جهة فلانة وذكرت اسم جاريتي امه فاذا انا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت اليّ وجعلت تقبلني وتبكي وتقول مولاي والله قال فرايت الفتى قد بهت وتحير فقلت للجارية ويحك ما خبرك فقال دع خبري فتي مشاهدتك لما تفضل الله جلت عظمته عليّ كفاية عن ان أُخبرك فقل ما كان خبرك انت قال فقصصت عليها خبري منذ خروجي من عندها الى يومي ذلك وقصيت ما كان قصه عليّ ابن البقّال وشرحت ذلك كله بحضرة الفتى ومستمع منه فلما استوفي الحديث خرج وتركني في مكاني فاذا بخادم قال يامولاي يسالك ابنك ان تخرج اليه قال فخرجت فقال لي معذرة الى الله واليك يا ابت من تقصيري في حقك فانه جاء امر لم يظن مثله يكون فالآن هذه النعمة لك وانا ولدك وامير المؤمنين يجتهد بي منذ دهر ان اترك الجوبذة واتوفر على خدمته فما فعلت تمسكاً بصنعتي والآن فاني اساله ان يرد عملي اليك واخدمه انا غيرها عاجلاً واصلح امرك فاخذت الى الحمام وتطيبت وجاؤني بخلعة لبستها وخرجت الى حجرة والدته فجلست فيها ثم انه ادخلني على امير المؤمنين وحدثه حديثي ثم انه امر لي بخلع وهي هذه ورد اليّ العمل الذي كان لابني واجرى لي في كل شهر من الرزق كذا وكذا وقلد ابني اعمالاً هي احل من عمله واضعف لي ارزاقه فجئت لاشكرك على ما عاملتني به من الجميل واعرفك بتجدد النعمة قال عمرو فلما اسماني الفتى

عرفته وعلمت انه ابن داية امير المؤمنين كما قال * وحدثني محمد بن عبدالله بن الحسين السقطي قال حدثني محمد بن زكريا الانصاري قال غلست يوماً الى المربد اريد مسجد الزيادتين بشارع المربد لوعد كان عليَّ فيه وكانت الريح قوية وبين يدي باذرع رجل يمشي فلما بلغنا دار رياح قلعت الرياح ستراً اجر وجصاً على راس حائط فرمت بها عليه فلم اشكك في اتلافه وارتفعت غبرة عظيمة افزعتني فرجعت فلما سكنت عدت اسلك الطريق ولم ار الرجل فعجبت وتممت طريقي حتى دخلت مسجد الزيادتين فرايت اهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رايت في طريقي متوجعاً للرجل وشاكراً لله تعالى سلامتي فقال رجل منهم يا ابا الخطاب انا الذي وقعت عليَّ السترة وذاك اني قصدت هذا المسجد لما وعدت فلما سقطت السترة ولم احس لها بضرر لحقني ووجدت نفسي سالماً قائماً فحمدت الله تعالى وتحيرت ووقفت حتى انجلت الغبرة فتاملت الصورة فاذا في السترة باب كبير وقد اتفق ان وقع راسي وسائر جسدي في موضع الباب فخرجت منه وسقط باقي السترة حوالي فلم يضرني شيء فتخطيت علي المهندم وسبقتك الى هاهنا * وحدثت ان الفتح بن خاقان اجتاز على بعض القناطر وهو متصيد وقد انقطع عن عسكره وانخسفت القنطرة من تحته فغرق فراه اكار وهو لا يعرفه فطرح نفسه عليه وخلصه وقد كاد ان يتلف ولحقه اصحابه فامر للاكار بمال عظيم وتصدق بمثله فدخل عليه البحتري فانشده قصيدته التي اولها (متى لاح برق او بدا طلل قفر) الى ان قال

لقد كان يوم النهروان عظيمة ... اطلّت ونعماً جرى بها الدهر
اجزت عليه عابراً فتشاعبت ... اواديه لما ان طغى فوقه البحر
وزالت اواخي الجسر وانهدمت به ... قواعده الظلماء وما ظلم الجسر
فما كان ذاك الهول الا عناية ... بدا طالعاً من تحت طلعتها البدر
فان ننس نعمى الله فيك فحظنا ... اضعنا وان نشكر فقد وجب الشكر

فقال له الفتح الناس يهنونا بنثر وانت بنظم واجزل صلته * وحدثني ابي بكر محمد بن عبدالله الرازي المعروف بابن حمدون عن الحسن بن محمد الانباري الكاتب قال كان لي ايام مقامي بارجان رجل تاجر يعرف بجعفر بن محمد فكنت آنس به يحدثني قال كنت احج دائماً وانزل بالكوفة على رجل حسيني فقير مستور فالطفه وافتقده فتاخرت عن الحج سنة ثم عدت فوجدته مثرياً فسالته عن سبب غناه فقال كان قد اجتمعت معي دريهمات على وجه الدهر ففكرت عام اول في ان اتزوج فاني كنت عزباً

كما علمت ثم قلت ان فرض الحج قد تعين عليّ فرايت ان اقدم اداء الفروض واتوكل على الله تعالى ان سهل لي بعد ذلك ما اتزوج به فلما حججت طفت طواف الدخول فاودعت رحلي وما كان معي بيتاً من خان وقفلت بابه وخرجت الى منا فلما عدت وجدت الباب مفتوحاً فارغاً فتحيرت ونزلت بي شدة ما رايت مثلها قط فقلت هذا امر عظيم لثوابي فما وجه الغم واستسلمت لامر الله تعالى وجلست في البيت لاحيلة لي ولا تطيب نفسي بالمسالة فاتصل مقامي ثلاثة ايام ما طعمت فيها شيئاً فلما كان في اليوم الرابع بدا بي الضعف سحراً وخفت على نفسي وذكرت قول جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له فخرجت حتى شربت منها وزجعت لاريد الباب باب ابراهيم لاستريح فيه وكان في الطريق بقية من سدفة فعثرت في الطريق بشيء اوجع اصبعي فانكببت عليه لامسكه فوقعت يدي على هميان ادم احمر كبير فاخذته فلما حصل في يدي ندمت وعلمت ان اللقطة حرام وقلت ان تركته الآن كنت المضيع له وقد لزمني ان اعرفه ولعل صاحبه اذا رجع اليه ان يهب لي شيئاً افتاته حلالاً فجئت الى بيتي وحللته في المصباح فاذا هو دنانير صفر تزيد على الف دينار فشددته ورجعت الى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع منه شيء فليأتني بعلامته وياخذه فانقضى يومي انادي ماجاءني احد وانا على حالي في الجوع وبت في بيتي ليلتي كذلك وغدوت الى الصفا والمروة فعرفته عندهما يومي حتى كاد ينقضي فلم يأتني أحد فضعفت ضعفاً شديداً فخشيت على نفسي فرجعت متحاملاً مقبلاً حتى جلست على باب ابراهيم فقلت قبل انصراف الناس قد ضعفت عن الصياح وانا ماض اجلس على باب ابراهيم فمن رأيتموه يطلب شيئاً قد ضاع منه فارشدوه الي فلما قربت المغرب وانا في الموضع اذا بخرساني مجتاز ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف ما ضاع منك فاعطاني صفة الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت ان أرشدتك الى من يعطيك اياه تعطيني مائة دينار قال لا قلت فخمسين قال لا فلم ازل انازل الى ان بلغت الى دينار واحد فقال لا ان اراد من هو عنده ايماناً واحتساباً والا فهو الضر وولى لينصرف فورد عليّ اعظم وارد وهممت بالسكوت ثم خفت الله تعالى واشفقت ان يفوتني الخراساني فصحت به ارجع فرجع فاخرجت الهميان فدفعته اليه فمضى فجلست ومالي قوة على المشي الى بيتي فما غاب عني حيناً حتى عاد فقال لي من اي البلاد انت ومن اي الناس انت فاغتظت منه غيظاً عظيماً فقلت وما عليك هل بقي لك عندي شيء قال

لا ولكني اسألك بالله العظيم من اي الناس والبلاد انت تعرفني ولا تضجر فقلت من أهل الكوفة فقال و من ايهم انت واختصر قلت رجل من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام فقال ما حالك ومالك فقلت ما املك من الدنيا شيئاً الا ما تراه عليَّ وقصصت عليه قصتي وما كنت طمعت فيه من صلاحها بما تعطينيه من الهميان وما انتهيت اليه من الضعف وشدة الجوع فقال اريد أن تعرفني صحة نسبك وحالك حتى اقوم بامرك كله قلت ما اقدر على المشي لشدة الضعف ولكن اعرض الطواف وصح بالكوفيين وقل رجل من بلدكم علوي بباب ابراهيم يريد الحيثة بينكم من ينشط لحال هو فيها فمن جاء معك فهاته فغاب غير بعيد وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق انهم كلهم يعرفون باطن حالي فقالوا ما تريد أيها الشريف فقلت هذا رجل يريد ان يعرف حالي ونسبي لشيء بينه وبيني فعرفوه ماتعرفونه من صحة نسبي فوصفوا له طريقتي وعزمي فمضى وجاء وأخرج الهميان بعينه كما كنت سلمته له فقال ياهذا خذ هذا بأسره لك بارك الله لك فيه فقلت يا هذا ما يكفيك ماعاملتني به حتى تستهزىء بي وانا في حال الموت فقال معاذ الله هو والله لك فقلت فلم يخلت عليَّ بدينار منه ثم وهبت الجميع لي فقال ليس الهميان لي فكان يجوز لي أن اعطيك منه شيئاً قل أم كثر وانما أعطانيه رجل من بلدي وسألني ان اطلب بالعراق أو بالحجاز رجلاً علوياً حسينياً فقيراً مستوراً فاذا علمت هذا من حاله أغنيته بأن أسلم اليه هذا الهميان كله ليصير أصلاً لنعمة تنعقد له فلم تجتمع لي هذه الصفة في أحد فلما اجتمعت فيك لما شاهدته من الامانة والفقر والعفة والصبر وصح عندي نسبك أعطيتك اياه فقلت ان كنت تحب استكمال الأجر فخذ منه ديناراً وابتع لي دراهم واشترلي منها ما اكله وصر به الساعة الى هاهنا فقال لي اليك حاجة فقلت قل فقال أنا رجل موسر والذي أعطيتك ليس لي فيه شيء كما عرفتك وانا أسألك ان تقوم معي الي رحلي فتكون في ضيافتي الى الكوفة وتتوفر دنانيرك عليك فقلت ما بي حركة فاحتل في حملي كيف شئت فغاب وجاء بمركوب فاركبني الى رحله وأطعمني في الحال ما كان عنده وقطع لي من الغد ثياباً وكان يخدمني بنفسه وعادلني في عماريته الى الكوفة فلما بلغنا اعطاني من عنده دنانير أخرى وقال لي ضفها على ما عندك قال وفارقته وانا ادعو اليه وأشكره ولم امس الهميان بل أنفق من الدنانير التي أعطانيها الرجل باقتصاد الى ان انفقت لي ضيعة رخيصة فابتعتها بما في الهميان فأغلت وأثمرت وأنا بعافية

الباب الثامن

﴿ من اشفى على ان يقتل * فكان الخلاص اليه أعجل ﴾

وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي الخطي ان ابراهيم بن المهدي لما طال استتاره عن المامون ضاق صدره فخرج ليلة من موضع كان مستخفياً فيه يريد موضعاً آخر في زي امرأة وكان عطراً فعرض له حارس فلما شم رائحة الطيب ارتاب به فكلمه فلما علم انه رجل ضبطه فقال خذ خاتمي فثمنه ثلاثون الف دينار وخلني فابى وتعلق به فحمله الى صاحب الشرطة فاتى به المامون فلما دخل عليه بالحالة التي هو عليها جلس المامون مجلساً عاماً وقام خطيب بحضرته يخطب بفضله وما رزقه الله جلت عظمته من الظفر بابراهيم ولما دخل ابراهيم بين يديه سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان وليّ الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ومن تناولته يد الاقدار بما مد له من اسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعل الله عفوك فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان تؤاخذ فبحقك وان تعفو فبفضلك ثم قال

ذنبي اليك عظيم وانت اعظم منه
فخذ بحقك اولا فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي من الكرام فكنه

وقال

اتيت ذنباً عظيماً وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن ٍ وان جزيت فعدل

فرق له المامون واقبل على اخيه ابي اسحاق وابنه العباس والقواد وقال ما ترون في امره فقال بعضهم يضرب عنقه وبعضهم قال يقصص لحمه الى ان يتلف وبعضهم قال تقطع اطرافه ويترك الى ان يموت فكل اشار بقتله وانما اختلفوا في الصفة فقال المامون لاحمد ابن ابي خالد ماتقول انت يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيراً وان عفوت لم نجد مثلك عفى عن مثله فايما احب اليك ان تفعل فعلاً تجد لك فيه شريك او تنفرد بالفضل فاطرق المامون ملياً ثم رفع راسه فقال اعد ما قلت يا احمد فاعاد فقال بل منفرد بالفضل ولا راي لنا في الشركة فكشف ابراهيم

المقنعة عن راسه وكبر تكبيرة عالية وقال قد عفى والله امير المؤمنين بصوت كاد الايوان يتزعزع وكان ابراهيم طويلاً ادم جعد الشعر جهير الصوت فقال له المامون لا باس عليك ياعم وامر بحبسه في دار احمد بن ابي خالد فلما كان بعد شهر احضره المامون فقال اعتذر من ذنبك فقال يا امير المؤمنين ذنبي اجل من ان اتفوه فيه بعذر وعفو امير المؤمنين اعظم من ان انطق بشكر ولكني اقول

تفديك نفسي ان تضيق بصالح ... والعفو منك بفضل خلق واسع
ان الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة ... وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم اشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالاً كافراخ القطا ... وحنين والدة بقلب جازع

فقال المامون لا تثريب عليك يا عماه قد عفوت عنك فاستانف الطاعة ورد ماله وضياعه فقال ابراهيم يشكره

رددت مالي ولم تبخل عليّ به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
أمنت منك وقد خولتني نعماً ... نعم الحياتان من موت ومن عدمي
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به ... والمال حتى اسلّ النعل عن قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت ... اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
وقام عملك بي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم

فقال المامون ان من الكلام كلاماً كالدر وهذا منه وأمر له بخلع ومال قيل انه الف الف درهم وقال له ان ابا اسحاق وولدي اشاروا بقتلك فقال ابراهيم فما قلت لهما يا امير المؤمنين قال قلت لهما ان قرابته قوية ورحمه ماسه وقد ابتدأناه بامر فينبغي ان نستتمه فان نكث فالله مغير مابه قال ابراهيم لقد نصحنا لك ولكن ابيت الاّ ما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المامون قد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك واعظم من عفوي عنك اني لم اجرّعك مرارة امتنان الشافعين * ووجدت في بعض الكتب انه لما حصل ابراهيم بن المهدي في قبضة المامون لم يشكك هو وغيره انه مقتول فاطال حبسه في مطمورة باسوإ حال واقبحها قال ابراهيم فآيست من نفسي ووطنتها على القتل وتعزيت عن الحياة حتى صرت اتمنى القتل للراحة من العذاب وما اوّمله في الآخرة من حصول الثواب فبينما انا كذلك اذ دخل عليّ

احمد بن ابي خالد مبادرًا فقال اعهد فقد امرني امير المؤمنين بضرب عنقك فقلت اعطني دواتًا وقرطاسًا فكتبت وصية ذكرت فيها كلما احتجت اليه واسندتها الى المامون ونهضت فتطوعت ركعات ومضى احمد وفرغت من الصلاة وجلست اتوقع القتل فعاد اليَّ احمد بعد ساعتين وقال امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول انا احمد الله جلت عظمته الذي وفقني لصلة رحمك والصلح وقد أمنك ورد عليك نعمتك وجميع ضياعك وملكك فانصرف الى دارك قال فبدأت ادعي للمامون فغلبني البكاء والانتحاب وهو يطالبني بالجواب وانا غير متمكن منه فقال لي احمد لقد رايت منك عجبًا اخبرك اني امرت بضرب رقبتك فلم تجزع ولم تبك ثم اخبرتك بتفضل امير المؤمنين عليك وصفحه عنك فلم تتمالك من البكاء فقلت له اما السكوت عن الخبر الاول فلأني لم اتوهم منذ ظفر بي ان اسلم من القتل فلما ورد عليَّ مالم اشك فيه لم اجزع ولم ابك واما بكائي عند الخبر الثاني فوالله شأنه ماهو لسرور بالحياة ولا لرجوع النعمة ولا بكائي الا لما كان مني في قطيعة رحم مَن بعد استحقاقي منه للقتل يخولني مثل هذا الصلح الذي لم يسمع به في جاهلية ولا اسلام فقد استحق امير المؤمنين الثواب من الله تعالى في صلة رحمه واظهاره احسانه عند اساءتي وحلمه عند جهلي وفضله عند نقضي وجوابي هو ما شهدت وسمعت فرجع الى المامون واخبره ثم عاد اليَّ بالمال والخلع ومركوب فانصرفت به الى داري ونعمتي * وقال علي بن هشام بن قبراط الكاتب ببغداد باسناد ذكره يحدث عن احمد ابن يوسف الكاتب قال كنت اشرب مع المامون وانادمه وانا اتقلب له في ديوان المشرق وديوان الرسائل قبل وزارتي له وكان كثيرا ما انادمه على الانفراد وربما يجمع بيني وبين البريدي فلما رضي عن ابراهيم بن المهدي ونادمه صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيري ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستاير وربما حضر اسحق بن ابراهيم الموصلي فنحن ذات يوم على شرب ومعنا اسحاق اذ غنى ابرهيم بن المهدي فقال

صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم وشمروا انها ايام من غلبا

فاستعاده المامون مرارًا وبان لي في وجهه الغيظ والغضب والهم وزوال الطرب ولم يفطن ابراهيم وترك المامون القدح الذي كان في يده ونهض فظننناه يريد الوضوء ثم عاد فما شعرنا الا وقد استدعانا الى مجلس آخر فاذا هو جالس على سرير الخلافة بقلنسوة وثياب الهيبة وبين يديه اسحاق ابن ابراهيم المصعبي وجلة القواد فاستدعي ابراهيم بزيه فحضر باخس صورة واقبحها وعليه ثياب المنادمة بفضحه بذلك فلما وقف

بين يديه قال يا ابراهيم ماحملك على الخروج عليّ والخطبة لنفسك بالخلافة قال احمد بن يوسف وقد كنت لما ابطا المامون عن مجلس الشرب عرفت الصورة فلما استدعاني جئت وقد لبست ثياب العمل ومحيت ثياب المنادمة فلما سئل ابراهيم ذلك بمثل ذلك المجلس علمت ان الصوت قد ذكره فاقبل عليه ابراهيم بوجه ضيق وقلب ثابت فقال يا امير المؤمنين لست اخلو من ان اكون عندك عاقلاً او جاهلاً فان كنت جاهلاً فقد سقط عني اللوم من الله تعالى ثم منك وان كنت عاقلاً فيحسن ان تعلم اني قد علمت ان محمداً اخاك مع امواله وذخائره واموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والاعمال التي كانت في يده وارتفاعها ومحبة بني هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وانت اميرمن امرائه فكيف اثبت انا لك وانا في قوم اكثر رزق الرجل ثلاثون درهماً في الشهر وقد غلبني على بغداد بن ابي خالد العياد وأصحابه يقطعون ويضربون ويحبسون ويطلقون ووالله جل شأنه وحق رسول الله وحق جدي العباس ما دخلت فيما دخلت فيه الا لا بقي هذا الامر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت الحسن ابن سهل قد حمله البطر والرفض على ان اخرج الخلافة عنك فاردت ضبط الامر الى ان تقدم فتستلمه قال فرأيت المأمون وقد اصفر وجهه فقال على بيناء الخادم فاحضر فقال رقعة سلمتها اليك بمرو قبل رحيلي عنها وأمرتك بحفظها فهاتها فمضى وجاء بسفط ففتحه واخرج منه الرقعة فاذا مكتوب بخط المأمون لئن اظفرني الله عز وجل بابراهيم بن المهدي لأسألنه بحضرة الاولياء والخاصة من أهل بيتي واجنادي عن السبب الذي دعاه الى الخروج علي فان ذكر انه انما أراد بذلك حفظ الامر على أهل بيتي لما جرى في امر علي بن موسى لأخلين سبيله ولاحسنن اليه ولئن ذكر غير ذلك من العذر كائناً ما كان لاضربن عنقه قال احمد بن يوسف ولم يكن بحضرته كاتب غيري فدفعها الي وقال يا احمد ادفعها اليه ثم قال يا عم خذ براءتك من احمد وعد الى مجلسك الذي خلفتك فيه قال فسلمنا الرقعة اليه وعدنا الى مجلسنا وموضعنا فطرح ابراهيم نفسه مغشياً عليه فما شعرنا الا بالمأمون قد رجع بثياب بذلته فقمنا وجلس مجلسنا وقال ارجعوا الى ما كنا فيه واتممنا يومنا ذلك

* وجدت في بعض الكتب ان كسرى ابرويز ركب يوماً فرسه الشبديز فتلكأ عليه فجذب عنانه فانقطع فاحضر صاحب السروج وقال يكون عنان مثلي ضعيفاً ينقطع اضربوا عنقه فقال ايها الملك اسمع وانصف قال قل قال ما بقاء جلدة تنازعها ملكان ملك الناس وملك الدواب قال زه زه اطلقوا عنه واعطوه اثني عشر الف درهم وعفا

عنه ه وذكر محمد بن عبدوس في كتابه قال لما صار الرشيد الى طوس واشتدت علته اتصل خبره بالامين فوجه ببكر بن المعتمر ودفع اليه كتاباً الى الربيع بن الفضل واسماعيل ابن صبيح وغيرهما يأمرهم بالقفول الى بغداد ان حدثت الحادثة بالرشيد والاحتياط على ما في الخزائن وحمله وقد كان الرشيد جدد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره من مال وأثاث وخزن وكراع وغير ذلك فلما ورد بكر بن المعتمر اوصل كتباً ظاهرة كانت معه بعيادة الرشيد وكانت الكتب الباطنة مخفاة فاتصل خبرها بالرشيد فاحضره وطالبه بالكتب الباطنة فجحدها قال فذكر عبيد الله بن عبدالله بن طاهر قال حدثني ابي قال كنت مع الرشيد بطوس لما ثقلت علته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون حينئذ بمرو وقد ظفر الرشيد بأخي رافع بن الليث فاحضر ذلك اليوم ومعه قرابة له فخلع الرشيد على بكر وصرفه الى منزله ثم أمر باحضاره ومطالبته بالكتب فجحدها فأمر بحبسه ثم جلس الرشيد مجلساً عاماً في مضرب خز اسود استدارته اربعمائة زراع قبابه مغشاة بخز أسود وهو جالس في فازة خز أسود في وسط المضرب والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة والاوتاد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وعليه فتك قد استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعلة وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفتك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لمابه وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال للفضل مر بكراً باحضار ما معه من الكتب السرية فانكرها وقال ما كان معي الا الكتب التي أوصلتها فقال للفضل توعده واعلمه ان لم يفعل قتلته فاقام ينكر وقال ما كان معي الا الكتب التي أوصلتها فقال الرشيد بصوت قنبوه فنحى بكر وجيء بالقنب وقنب من قرنه الى قدمه قال بكر فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الاقرار فانا على ذلك حتى أحضر هارون اخي رافع وقرابته الذين كانوا معه وقال ايتوهم رافع انه يغلبني والله لو كان معه عدد نجوم السماء لالتقطهم واحداً بعد واحد حتى اقلتهم عن آخرهم فقال الرجل الله الله يا أمير المؤمنين فان الله تعالى يعلم وأهل خراسان اني بريء من أخي منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق الله تعالى فيّ وفي هذا الرجل فقال له قطع الله لسانك فسكت فقال اخي الثالث انت والله منذ كذا وكذا تدعو الله تعالى بالشهادة فلما رزقتها على يدي اشر خلقه اخذت في الاعتذار فاغتاظ الرشيد وقال علي بخزارين فقال له قرابتي ياهارون افعل ما شئت فانا نرجو ان نكون نحن وانت بين يدي الله تعالى في اقرب

مدة فتعلم كيف يكون حالك فصاح وامر الجزارين بهما فقطعا عضوا عضوا فوالله ما فرغ منهما حتى توفي الرشيد فقال بكر وانا اتوقع القتل بعدهما حتى اتاني غلام لابي العتاهية قد بعث به مولاه وكتب في راحته شيئاً ارانيه فاذا هو

هي الايام والعبر وامر الله ينتظر
اتيأس ان ترى فرجاً فاين الله والقدر

فوثقت بالله وقويت نفسي ثم سمعت واعية لا افهم معناها فاذا الفضل بن الربيع قد اقبل اليَّ فقال حلوا أبا حامد فقلت ليس هذا يكفيني فحملت ودعا لي بخلع فجعلت عليَّ ثم قال اعظم الله اجرك في امير المؤمنين واخذ بيدي وادخلني بيتاً فاذا الرشيد مسجي فيه وكشف عن وجهه فلما رأيته ميتاً سكنت فقال هيه هات الكتب الباطنة التي معك وكنت اتخذت صندوقاً للمطبخ قد ثقبت قوائمه وجعلت الكتب فيها وجعلت الجلد فوقها فشق الجلد وكسرت القوائم وسلمت الكتب الى اصحابها واخذت الاجوبة وانصرفت قال مؤلف هذا الكتاب وقد اتى أبو الحسين القاضي في كتابه بهذين البيتين لابي العتاهية ولم يذكر القصة وزاد بين البيت الأول والبيت الثاني بيتاً وهو هذا

فلا تجزع وان عظم البلاء ومسك الضر

حدثني ابراهيم بن علي النصيبي المتكلم قال جماعة من أهل نصيبين انه كان بها أخوين ورثا عن ابيهما مالاً جليلاً فاقتسماه فاسرع احدهما في انفاق حصته فلم يبق له شيء حتى احتاج الى ما في ايدي الناس وثمر الآخر حصته فزادت وعرض له سفر في تجارته فجاءه أخوه الفقير فقال يا أخي انك تحتاج الي ان تستأجر غلاماً في سفرك وانا احتاج ان أخدم الناس فاجعلني بدل غلام تستأجره فيكون ذلك أصون لي ولك فلم يشك الاخ أن أخاه قد تأدب وان هذا أول اقباله وآثر ان يصون اخاه ورق عليه فاخذه معه فكان للاخ الغني حمار يركبه وقد استاجر بغالاً لأحماله فركب أخوه احدها والمكاري احدها وساروا فلما استتم بهم السفر حصلوا في جبل في الطريق فيه عين ماء فقال الأخ الفقير للاخ الغني لو نزلت ها هنا وأرحنا دوابنا وسقيناها من هذا الماء وأكلنا ثم ركبنا فقال افعل فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل وادخل متاعه اليه وبسط السفرة ليأكل واخذ أخوه الفقير والمكاري الدواب ومضيا ليسقياها وانتظر التاجر اخاه والمكاري فاحتبس طويلاً ثم جاء اخوه وحده وشد الدواب فقال له أين المكاري فقال له قد اقام في الجبل فقال له تعالى حتى نأكل فتركه ومضى ثم عاد يسعى اليه ويده

أحجار يرميه بها ويقول لاخوه استكتف يا ابن الفاعلة فقال ويحك مالك ما تريد فقال أريد قتلك يا ابن الفاعلة اخذت مال ابي وعملته تجارة لك وجعلتني غلامك قال ورفسه فالقاه على ظهره ثم اوثقه كتافاً واثخنه ضرباً بالحجارة وشجا وصاح الرجل فلم يجبه احد فبرك أخوه الفقير على صدره واخرج من وسطه سكيناً عظيماً في قراب لها ليذبحه فرام استخراجها من القراب فتعسرت عليه فقام عن صدر اخيه وعلى يده اليسرى السكين في قرابها وجذبها بيده اليمين وقد صار القراب من خلفه فخرجت السكين بحمية الجبده فذبحته فوقع يخور في دمه وينزف الى ان مات وجفت يده على السكين بعد موته وهي فيها وحصل على تلك الصورة واخوه الغني مشدود لا يقدر على الحركة والسفرة منشورة والطعام عليها والدواب مشدودة فاقام على تلك الصورة بقية يومه وليلته وقطعة من غد فاجتازت قافلة على المحجة وكان بينها وبين الكهف بعد فاحست البغال بالدواب المجتازة ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال ارسانها فقلعت وعادت تطلب الدواب القادمة فلما رأى اهل القافلة دواباً غائرة ظنوا انها لقوم قد أسرهم اللصوص وكانوا في منعة فتسارعوا الى البغال فلما قصدوها رجعت تطلب موضعها وتبعها قوم من اهل القافلة فانتهوا الى التاجر وشاهدوه مكتوفاً والسفرة منشورة والاخ مذبوحاً وبيده السكين فشاهدوا عجباً واستنطقوا الرجل فأومأ اليهم انه لا قدرة لي على الكلام فحلوا كتافه وسقوه ماء واقاموا عنده الى ان افاق وقدر على الكلام واخبرهم الخبر فطلبوا المكاري فوجدوه غريقاً في الماء قد اغرقه الاخ الفقير فحملوا ثقل التاجر على بغاله واركبوه حماره وسيروه معهم الى المنزل * وحدثني ابراهيم ابن علي النصيبي قال حدثني ابراهيم بن علي الصفار شيخ كان جاراً لنا بنصيبين قال خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته عن ابي أقصد به عباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة وهو براس العين لاهديه له واستجديه بذلك فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الأعراب فسالني عن أمري فآنست به فحدثته الحديث وكنا قد قربنا من العين فدخلناها وافترقنا وكان يجيئني ويراعيني ويظهر لي انه مسلم عليّ وأنه يبرني بالقصد ويسالني عن حالي فأخبرته أن الامير قبل هديتي واجاز لي بالف درهم وثياب واني اريد الخروج يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد راكباً حماراً فلما اصحرت اذا بالشيخ على دوبية ضعيفة متقلداً سيفاً فحين رأيته استريبت منه وانكرته ورأيت الشر في عينيه فقلت ما تصنع ها هنا فقال قضيت حوائجي

واريد الرجوع وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك فقلت علي اسم الله تعالى وما زلت متحذرًا منه وهو مجتهد ان ادنو منه فلا افعل وكلما دنى مني بعدت عنه الى ان سرنا شيئًا يسيرًا وليس معنا ثالث فقصر عني واحتث الحمار لافوته فما حسبت الا بركضه فالتفت فاذا هو قد جرد سيفه وقصدني فرميت بنفسي عن الحمار وعدوت فلما خاف ان افوته صاح يا ابا القاسم انما مزحت معك فلم التفت اليه فقرع دابته وزاد في التحريك وبان لي ناووس فطلبته وكاد الاعرابي يلحق بي فدخلت الناووس ووقفت وراء بابه قال ومن صفات تلك النواويس انها مبنية بالحجارة و باب كل ناووس حجر واحد عظيم قد نقر وجفف وملس فلا تستمكن اليد منه وله في وجهه حلقة وليس من داخله شيء تتعلق اليد به وانما يدفع من خارجه فينفتح فيدخل اليه واذا خرج منه وجذبت الحلقة انغلق الباب وتمكن ارداعه من ورائه فلم يمكن فتحه من داخل قال فحين دخلت الناووس وقفت خلف بابه وجاء الاعرابي فشد دابته في حلقة ودخل يريدني مخترطًا سيفه والناووس مظلم فلم يرني ومشى الى صدر الناووس فخرجت انا من خلف الباب وجذبته معي حتى صار الباب مردودًا وحصلت الحلقة في ردة هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الاعرابي الى باب الناووس فراى الموت عيانًا فقال يا ابا القاسم اتق الله في امري فانني اتلف قلت له تتلف انت اهون من ان اتلف انا قال فاخرجني واعطيك امانًا واستوثق مني بالايمان اني لا اتعرض لك بسوء ابدًا واذكر الحرمة التي بيننا قلت لم ترعها انت وايمانك فاجرة لا اثق بها في تلف نفسي فاخذ يكرر الكلام فقلت لا تهذي هوذا اركب دابتك واجنب حماري والوعد بيننا بعد ايام ها هنا فلا يترح حتى اجيء وان احتجت الى طعام فعليك بجيف العلوج فنعم الطعام لك واخذت الهوا به في هذا القول واخذ يبكي و يستغيث و يقول قتلتني والله فقلت الى لعنة الله وركبت دابته وجنبت دابتي ووجدت على دابته خرجا فيه ثياب يسيرة فجئت الى نصيبين فبعت الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها ادهم وبعته لئلا يعرف صاحبه فاطالب بالرجل واتفق انه اشتراه رجل من المحتاجين وكفيت امره وانكتمت القصة فلما كان اكثر من سنة عرض لي خروج الى راس العين فخرجت في ذلك الطريق فلما لاح لي الناووس تذكرت فقلت اعدل الى الناووس وانظر الى ما صار اليه امره فجئت اليه فاذا بابه كما تركته ففتحته ودخلته فاذا انا بالاعرابي وقد صار رمة فلا زلت احمد الله عزوجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث ما خبرك يا فلان فاذا بصوت شيء يتخشخش ففتشته فاذا هميان فاخذته واخذت

سيفه وخرجت ففتحت الهميان فاذا فيه خمسمائة درهم وبعت السيف بعد ذلك بجملة دراهم * حدثني ابو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصري قال حدثني ابو موسى عيسى بن عبدالله البغدادي قال حدثني صديق لي قال كنت قاصداً الرملة وحدي وما كنت دخلتها قط فانتهيت اليها وقد نام الناس ليلاً فعدلت الى المقبرة ودخلت بعض القباب التي على القبور فطرحت درقة كانت معي واتكأت عليها وعلقت سيفي واضطجعت اريد النوم لادخل البلد نهاراً فاستوحشت من الموضع وارقت فلما طال ارقي احسست بحركة فقلت لصوص يجتازون وان تصديت لهم لم آمنهم ولعلهم يكونوا جماعة ولا اطيقهم فانعزلت بمكاني ولم اتحرك واخرجت راسي من بعض ابواب القبة على تخوف مني شديد فرأيت دابة كالذئب تمشي فاخفيت نفسي فاذا بها قد قصدت قبة حيالي فما زالت تتلفت طويلاً وتدور حواليها ثم دخلتها فارتبت وانكرت امرها وتطلعت نفسي الى علم ماهي ثم دخل القبة وخرج غير مطيل ثم جعل ينظر ثم دخل وخرج بسرعة ثم دخل وعيني اليه فضرب بيده الى قبر في القبة ببعثره فقلت نباش لاشك فيه وتأملته يحفر بيده فعلمت ان فيها آلة من حديد يحفر بها فتركته الى ان اطمأن واطال وحفر شيئاً كثيراً ثم اخذت سيفي ودرقتي ومشيت على اطراف انامل ودخلت القبة فاحس بي فقام اليّ بقامة انسان واومى اليّ ليلطمني بكفه فضربت يده بالسيف فابنتها وطارت فقال اواه قتلتني لعنك الله وعدا من بين يدي وعدوت خلفه وكانت ليلة مقمرة حتى دخل البلد وانا اراه ولست الحقه الا انه بحيث يقع بصري عليه الى ان اجتاز بي في طرق كثيرة وانا في خلال ذلك اعلم الطريق لئلا اضل حتى جاء الى باب فدفعه ودخل فاغلقه وانا اسمع فعلمت الباب ورجعت اقفوا اثري والعلامات التي علمتها في طريقي حتى انتهيت الى القبة التي كان فيها النباش وطلبت الكف فوجدتها فاخرجتها الى القمر فبعد جهد انتزعت الكف المقطوعة من آلة حديد مصنوعة على شكل الكف وتأملت الكف فوجدت فيه نقش حنا وخاتمان من الذهب وهي احسن كف في الدنيا نعومة ورطوبة وسمناً وملاحه فاغتممت ومسحت الدم منها ونمت في القبة التي كنت فيها ودخلت البلد من الغد اطلب العلامات حتى انتهيت الى الباب وسألت لمن الدار فقالوا لقاضي البلد فاجتمع اليها خلق كثير وخرج منها رجل بهي فصلى بالناس وجلس في المحراب فازداد عجبي من الامر وقلت لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضي فقال بفلان فأطلت الحديث في معناه حتى عرفت انه له ابنة عاتقاً وزوجة فلم اشك في ان

النباشة ابنته فتقدمت اليه فقلت بيني و بين القاضي اعزه الله حديث لا يصلح الا على خلوة فقام ودخل المسجد وخلاني وقال قل فاخرجت الكف وقلت اتعرف هذه فتأملها طويلاً فقال اما الكف فلا واما الخواتم فخواتم ابنة لي عاتق فما الخبر فقصصت عليه القصة بأسرها فقال قم معي فادخلني بيته واغلق الباب واستدعى طبقاً وطعاماً فاحضر واستدعى امرأته فقال له الخادم نقول لك كيف تخرج ومعك رجل غريب فقال لابد من خروجها تأكل معنا فهذا لاتحتشمه فابت عليه فحلف بالطلاق لتخرجن قال فخرجت وهي باكية فجلست معنا فقال لها اخرجي ابنتك فقالت له يا هذا قد جننت فما الذي حل بك قد فضحتني وانا امرأة كبيرة فكيف تهتك صبية عاتقاً فحلف بالطلاق لتخرجنها فخرجت فقال لها كلي معنا فرأيت صبية كالدنيا مليحة ما لمحت مقلتاي احسن منها الا ان لونها قد اصفر جداً وهي مريضة فقلت ان ذلك لنزف الدم من يدها فاقبلت بيمينها وشمالها مخبأة فقال اخرجي يدك اليسار فقالت قد خرج بها خراج عظيم وهي مشدودة فحلف لتخرجها فقالت امراته يارجل استر على نفسك وابنتك فوالله وحلفت بايمان كثيرة ما اطلعت لهذه الصبية على سوء قط الا البارحة فانها جاءتني بعد نصف الليل فايقظتني فقالت يا امي الحقيني والا تلفت فقلت مابالك فقالت انه قد قطعت يدي وهو ذا نزف الدم والساعة اموت فعالجيني واخرجت يدها مقطوعة فلطمت فقالت لا تفضحيني وتفسك بالصياح عند ابي والجيران وعالجيني فقلت لا ادري بما اعالجك فقالت اغلي زيتاً واكوي يدي به ففعلت ذلك وكويتها وشددتها فقلت الآن خبريني مادها لك فامتنعت فقلت والله لئن لم تحدثيني لاكشفن امرك لابيك فقالت انه قد وقع في نفسي منذ سنين ان انبش الموتى فتقدمت الى هذه الجارية فاشترت لي جلد ماعز بشعره واستعملت كفاً من حديد فكنت اذا نمتم افتح الباب وآمرها ن تنام في الدهليز ولا تغلق الباب فالبس الجلد والكف الحديد وامشي على اربع فلا يشك الذي يراني من فوق سطح او غيره اني كلب ثم اخرج الى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من الجلة والمياسير واين دفن فاقصد قبره فانبشه وآخذ الاكفان وادخلها معي في الجلد وامشي مشيتي واعود والباب غير مغلوق فادخل واغلقه وانزع تلك الآلة فادفعها الى الجارية مع الكفن فتأخذه فتخبيه في بيت لا تعلمون به وقد اجتمع عندي ثلثمائة كفن او ما يقاربها لا ادري ما اصنع بها الا اني كنت اجد لذلك الخروج لذة لا سبب لها اكثر من ان اصابتني هذه المحنة فلما كانت الليلة سلط عليّ رجل احس بي

كأنه كان حارساً لذلك القبر فقمت لاضرب وجهه بالكف الحديد فيشتغل عني واعدوا فداخلني بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالي فاباد كفي فقلت لها اظهري انه قد خرج على كفك خراج وتعالي فان الذي يرى مابك من الصفار يصدق قولك فاذا مضت ايام قلنا لابيك ان لم يقطع يدك خبث جميع جثتك وتلف فيأذن لنا في قطعها فنظهر انا قطعناها و يشيع الخبر حينئذٍ و يستر ابوك فعملنا على هذا بعد ان استبنناها فتابت وحلفت بالله لاعادت وكنت عولت على ان ابيع الجارية هذه واراعي مبيت الصبية وابيتها الى جانبي ففضحتها ونفسك قال فقال لها القاضي فما تقولين قالت صدقت اني ووالله لاعدت ابداً وتبت الى الله فقال لها القاضي هذا صاحبك الذي قطع يدك فكادت تتاف جزعاً ثم قال لي يافتى من اين انت قلت من العراق قال ففيم وردت قلت اطلب الرزق قال قد جاءك حلالاً طيباً نحن قوم مياسير ولله علينا نعمة وستر فلا تنغص النعمة ولا تهتك الستر ازوجك ابنتي هذه واغنيك بمالي عن الناس وتكون معنا في دارنا قال نعم فأمر ثم خرج الى المسجد والناس مجتمعون ينتظرونه فخطب وزوجني واقعدني في الدار ووقعت الصبية في نفسي حتى كدت اموت عشقاً لها فافترعتها واقامت شهوراً معي وهي نافرة مني وانا أؤانسها وابكي حسرة على يدها واعتذر اليها وهي تظهر قبول عذري وان الذي بها غماً على يدها يزيدها حنقاً عليّ الى ان نمت ليلة واستثقلت في نومي على رسمي فاحسست بثقل شديد على صدري فانتبهت جزعاً فاذا هي باركة على صدري وركبتاها على يدي مستوثقة منها وفي يدها موسى وقد اهوت لتذبحني فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر وخشيت ان تبادرني فسكت وقلت لها كليني واعملي ما شئتي فقالت قل قلت ما يدعوكي الى هذا قالت اظننت انك تقطع يدي وتهتكني ويتزوجني مثلك وتنجو سالماً والله لا كان هذا فقلت اما الذبح فقد فاتك ولكنك تتمكنين من جراحات توقعيها فيّ ولا تأمنين ان افلت فاذبحك واهرب او اكشف هذا عليك ثم اسلمك الى السلطان فتنكشف جنيتك الاولى والثانية و يتبرأ منك ابوك واهلك وتقتلين فقالت افعل ما شئت لابد من ذبحك وقد استوحش الآن كل منا من صاحبه فنظرت فاذا الخلاص منها بعيد ولا بد من ان تجرح الموضع فيكون فيه تلفي فقلت الحيلة اعمل فيها فقلت لك غير هذا فقالت قل قلت اطلقيني وانا اطلقك الساعة وتخرجين عني فاخرج غداً عن البلد فلا اراك ولا تريني ولا ينكشف لك حديث في بلدك ولا تفتضحين وتتزوجين من شئت فقد شاع ان يدك قطعت بخراج خبيثة

وتربحين الستر قالت لا افعل حتى تحلف لي انك لا تقيم في البلد ولا تفضحني ابدًا وتعجل لي بالطلاق فطلقتها وحلفت اني اخرج ولا افضحها بالايمان المغلظة فقامت عن صدري تعدو خوفًا من اقبض عليها حتى رمت الموسى حيث لا ادري وعادت واخذت تظهر ان الذي فعلته مزاح وتلاعبني فقلت اليك عني فقد حرمت علي ولا يحل لي ملامستك وفي غد اخرج عنك فقالت الآن علمت صدقك ووالله لئن لم تفعل لا نجوت من يدي فقمت فجأتني بصرة وقالت هذه مائة دينار خذها نفقة لك واكتب رقعة طلاقي واخرج غدا فأخذت الدنانير وخرجت سحرة ذلك اليوم بعد ان كتبت الى ابيها اني طلقتها واني خرجت حياءً منه ولم التق معهم ابدًا * وحكى محمد بن بديع العقيلي قال رأيت رجلا من بني عقيل في ظهره كله شرط كشرط الحجام الا انها اكبر فسألته عن سبب ذلك فقال اني كنت هويت ابنة عم لي وخطبتها فقالوا لي لا نزوجك الا ان تجعل الشبكة صداقها وهي فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب فتزوجتها على ذلك وخرجت أحتال في ان أسل الفرس لأتمكن من الدخول بابنة عمي فاتيت الحي الذي فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر الى أن عرفت مربط الفرس من الخبا ورأيت لهم مهرة فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره وحصلت خلف النضد تحت عين لهم كانوا نفشوه ليغزل فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد أصلحت له المرأة عشاءً فجعلا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم وكنت ساغبًا فاخرجت يدي وأهويت الى القصعة وأكلت معهم فأحس الرجل بيدي وأنكرها وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدي الاخرى فقالت له المرأة مالك ويدي فظن انه قابض على يد المرأة فخلى يدي فخليت يد المرأة واكلنا ثم انكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها مالك فخلت عن يدي وخليت عن يده وانقضى الطعام واستلقى الرجل ونام فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة فوافي عبد له اسود قنبذ حصاة وأنتبهت المرأة وقامت اليه وتركت المفتاح في مكانها وخرجت من الخبا الى ظهر البيت ورمقتها بعيني فاذا هو قد علاها فلما حصلا في شأنهما دببت فأخذت المفتاح وفتحت القفل وكان معي لجام شعر فأوجرته الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخبا فقامت المرأة من تحت الاسود فدخلت الخبا ثم صاحت وذعر الحي فصاحوا واحسوا بي فركبوا في طلبي وانا اكد الفرس وخلفي خلق منهم فأصبحت

ولست ارى الا فارساً واحدا يرمح فلحقني وقد طلعت الشمس فاخذ يطعنني فلم يصل طعنه الى اكثر مما تراه في جلدي لا فرسه تلحق بي فيتمكن طعنه مني ولا فرسي يبعث بي الى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا الى نهر جرار نضحت بالفرس فوثبتها وصاح الفارس بفرسه فلم يشب فلما رايت عجزها عن العبور نزلت عن فرسي لاستريح واريحها فصاح بي الرجل وقال يا هذا انا صاحب الفرس الذي تحتك وهذه ابنتها فاذ قد اخذتها فلا تحد عنها فانها تساوي عشر ديات وعشر دبات وما طلبت عليها شيئاً قط الا لحقته ولا طلبني احد عليها الا نتة وانما سميت الشبكة لانها لم تر شيئا الا ادركته فكانت كالشبكة في التعلق به فقلت اما اذا نصحتني فوالله لانصحنك ولا اكذبك انه كان من صورتي البارحة كيت وكيت حتى قصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس فاطرق راسه ساعة ثم قال لا جزاك الله من طارق خيرًا اخذت فرسي وقتلت عبدي وطلقت ابنة عمي * وحكي رجل من الجند قال خرجت من بعض بلدان الشام وانا على دابتي وخرج لي فيه ثياب ودنانير فلما سرت عدة فراسخ لحقني المساء فاذا بدير عظيم فيه راهب في صومعة فنزل واستقبلني وسالني المبيت عنده وان يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم اجد فيه غيري فاخذ دابتي وطرح لها شعيرًا وعزل رحلي في بيت وجاءني بما جاد وكان الزمان شديد البرد واوقد بين يدي نارًا وجاءني بطعام طيب من اطعمة الرهبان فاكلت ونبيذ فشربت ومضت قطعة من الليل فاردت النوم وقلت ادخل المستراح فسالته عنه فدلني على طريقه وكنا في غرفة فمشيت فلما سرنا على باب المستراح فاذا بادية مطروحة فلما صارت رجلاي عليها خلت ونزلت فاذا انا في الصحراء واذا البادية كانت مطروحة على غير سقف وكان الثلج سقط تلك الليلة سقوطاً عظيماً فصحت وقدرت ان ذلك تم عليّ من غير قصد فما كلمني فقمت وقد جرح بدني الا اني سالم فجئت وتظللت بطارق باب الدير من الثلج فما وقفت فيه حيناً حتى رأيت فيه برابخ من فوق راسي قد جاءتني منها حجارة لو تمكنت من دماغي لطحنته فخرجت اعدو وصحت به فشتمني فعلمت ان ذلك من حيلته طمعاً في رحلي فلما خرجت وقع الثلج عليّ فعلمت اني تالف ان دام ذلك فولد لي الفكر ان طلبت حجرًا فيه ثلاثون رطلاً فوضعته على عاتقي واقبلت اعدوا في الصحراء وهو على عاتقي شوطاً حتى اذا تعبت وحميت وجريت عرقاً طرحت الحجر وجلست استريح فاذا نالني البرد اخذت الحجر وعدوت حتى ابلغ خلف الحصن فاجلس من

حيث يقع لي ان الراهب لايراني فاذا احسست بان البرد قد بدا باخذني تناولت الحجر وسعيت من الدير الى ذلك الحصن وانا على هذا الى الغداة فلما كان قبل طلوع الفجر وانا خلف الدير سمعت بحركة بابه فتخفيت فاذا بالراهب قد خرج فجاء الى موضع سقوطي فلما لم يرني قال وانا اسمعه يا قوم ما فعل المشؤم اظنه قد رأى بقربه قرية فقام يمشي اليها كيف اعمل فاتني سلبه واقبل يمشي يطلب اثري فخالفته انا الى باب الدير وكان في وسطي سكين فوقفت خلف الباب فطاف ولم يبعد فلما لم يرَ لي اثرًا عاد ودخل فحين بدأ يرد الباب ثرت به فقبضت عليه ووجأته بالسكين وصرعته فذبحته واغلقت باب الحصن وصعدت الغرفة فاصطليت بنار كانت موقدة ودفيت وطرحت عني تلك الثياب وفتحت خرجي فلبست منه ثيابًا واخذت كساء الراهب ونمت فيه الى العصر ثم انتبهت وانا سالم غير منكر شيئًا من نفسي فطفت بالدير حتى رأيت طعامًا فاكلت وسكنت نفسي وظفرت بمفاتيح بيوت الحصن في يدي فاقبلت افتح بيتًا بيتًا فاذا انا بمال من عين وثياب وآلات ورحالات اقوام واخراجهم واذا عادته كانت هكذا مع كل من يجتاز به منفردًا فلم ادر كيف اعمل في ثقل المال وما وجدته فلبست ثياب الراهب واقمت في موضعه اياما اترائى لمن يجتاز بي من بعد فلا يشكون في انني هو واذا قربوا لم ابرز لهم وجهي الى ان خفي لهم خبري ثم نزعت تلك الثياب واخذت جواليقًا فملأتها مالاً وجعلتها على الدابة ومشيت وسقت الى اقرب قرية واكتريت فيها منزلاً ولم ازل انقل اليه كلما وجدته حتى لم ادع شيئًا له قدر الا حصلته في القرية ثم اقمت الى ان اتفقت لي قافلة وحملت من تلك الامتعة كل ماقدرت عليه ورفعته الى المحمل وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة حتى قدمت بلدي وقد حصلت لي عشرات الوف دراهم ودنانير وسلمت من الموت * حدثني ابو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين العبقسي الشاعر قال كان لابي مملوك يسمى مقبل فابق منه ولم يعرف له خبرًا سنين كثيرة ومات ابي وتغربت عن بلدي ووقعت الى نصيبين وانا حدث فبينما انا مجتاز يومًا في سوقها وعليَّ لباس فاخر وفي كمي منديل فيه دراهم كثيرة رأيت غلامًا مقبلاً فحين رآني انكب عليّ يدي فقبلها واظهر سرورًا شديدًا بي واقبل يسألني عن ابي واهلنا فاعرفه موت من مات وخبر من بقي ثم قال لي ياسيدي متى دخلت الى هاهنا وفي اي شيء فعرفته فاخذ يعتذر من هربه منا ثم قال انا مستوطن هاهنا وانت مجتاز فلو انعمت عليَّ وجئت في دعوتي فاني احضر لك نبيذًا طيبًا وغناء حسنًا فاغتررت به وبالصبا ومضيت

معه حتى بلغ بي الى آخر البلد والى دور خراب ثم انتهى الى دار عامرة مغلقة الباب فدقه ففتح له ودخل فدخلت وحين حصلت الدهليز اغلق الباب بسرعة واستوثق منه فتنكرت لذلك ودخلت الدار فاذا انا بثلاثين رجلاً بالسلاح وهم جلوس على بادية فلم اشكك في انهم لصوص وايقنت بالشر وبادرني احدهم يلطمني وقال انزع ثيابك فطرحت كل ما كان عليَّ حتى بقيت بالسراويل فحلوا الدراهم التي كانت معي واعطوا مقبلاً شيئاً منها وقالوا امض فهات بهذا ما نأكله فانا جياع فطارت روحي فقال لهم الغلام ما امض او تقتلوه فقلت لهم ياقوم ماذنبي حتى تقتلوني قد اخذتم ما معي ولستم ترثوني اذا قتلتموني ولا لي حال غير ما اخذتموه فالله الله فيَّ ثم اقبلت استعطف مقبلاً وهو لا يجيبني ويقول لهم انكم ان لم تقتلوه ويفلت دل السلطان عليكم فقتلتم كلكم قال فوثب اليَّ احدهم بسيف مسلول وسحبني من الموضع الذي كنت فيه الى البالوعة ليذبحني وكان بقربي غلام امرد فعلقت به وقلت يافتى ارحمني واجرني فان سنك قريب من سني واستدفع البلاء من الله بخلاصي فوثب الغلام وطرح نفسه عليَّ وقال والله لا يقتل وانا حي وجرد سيفه وقام فقام استاذه لقيامه وقال لا يقتل من اجاره غلامي واختلفوا وصار مع غلامه جماعة فانتزعوني وجعلوني في زاوية من البيت الذي كانوا فيه ووقفوا بيني وبين اصحابهم وقال لهم رئيسهم كفوا عن الرجل الى ان ننظر في امره وشتم مقبلاً وقال امض فهات ما نأكله فانا جياع وليس يفوتنا قتله فمضى مقبل وجاءهم بمأكول كثير وجلسوا ياكلون وترك جماعة منهم الاكل حراسة لي لئلا يغتالني احدهم اذا تشاغلوا بالاكل فلما اكلوا انفرد بعض من كان يتعصب لي بحراستي واكل من لم يكن اكل منهم ثم افضوا الى الشرب فقال لهم الآن قد اكلتم فترك هذا يؤدي الى قتلكم فدعوا الخلاف في امره واقتلوه فوثب من يريد قتلي ووثب الغلام ومن معه للمنع عني وطال الكلام بينهم وانا في الزاوية وقد اجتمع اليَّ من يمنع قتلي فصرت بينهم وبين الحائط الى ان جرد بعضهم السيوف على بعض فقال لهم رئيسهم هذا الذي انتم فيه يؤدي الى قتلكم والله رأيت رأياً فلا تخالفوه فقالوا ماذا تامرنا فقال اغمدوا السلاح واصطلحوا ونشرب الى وقت نريد ان نخرج عن هذه الدار ثم نكتفه ونسد فاه وندعه في الدار وننصرف فانه لا يتمكن من الخروج وراءنا والصياح علينا الى ان نصبح من غد فنمر على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضاً ولا تنصرف كلمتكم فقالوا هذا صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرب معهم فقلت له الله الله فيَّ فتمم ما قد عملت ولا

تشرب معهم وتحرسني لئلاً يثب عليّ احد منهم على غفلة فيضربني ضربة يكون فيها تلف نفسي ثم لا تمكن انت من ردها ولا تنفعني ان تقتل قاتلي فرحمني وقال افعل ثم قال لاستاذه احب ان تترك شربك اليوم وتفعل كما افعل فجاءا فجلسا قدامي وانا في الزاوية اتوقع الموت ساعة فساعة الى ان حلت العتمة وقام القوم فتحزموا ولبسوا ثيابهم وخرجوا وبقي الغلام واستاذه فقالا لي يافتى قد علمت انا خلصنا دمك فلا تكافئنا بقبح وهو ذا نخرج ولا يحسن ان نكتفك واحذر ان تصيح فاخذت اقبل اياديهما وارجلهما واقول انتما احييتماني فكيف اكافئكما بالقبيح فقالا قم معنا فقمت ففتشا الدار حتى علما انه لم يختف فيها من يريد قتلي ثم قالا لي يا هذا قد امنت فاذا خرجنا فاستوثق من الباب ونم وراءه فلا يكون الا خيراً ثم خرجا فاستوثقت من غلق الباب ثم جزعت جزعاً ولم اشكك في انه يخرج من تحت الارض منهم من يقتلني وزاد عليّ الجزع واقبلت امشي في الدار وادعوا واسبح الى ان كدت اتلف وآنست باستمرار الوقت على السلامة فحملتني عيني ونمت فلم احس الا بالشمس وحرارتها على الباب فقمت وخرجت امشي عرياناً بسراويل الى ان حصلت في الموضع الذي كنت اسكنه وما حدثت احداً بهذا الحديث مدة لبقية الفزع ثم بعد انقضاء سنة او قريب منها كنت يوماً عند صاحب الشرطة بنصيبين لصداقة كانت بينه وبين ابي فلم البث ان حضر من عرّفه عن عثور الطوف على جماعة من اللصوص بقرية مماها من قرى نصيبين وقبضه على سبعة نفر منهم وفوت الباقين فامر باحضارهم فوقع بصري منهم على ذلك الغلام الذي اجار في ذلك اليوم وعلى استاذه ثم على مقبل فاخذتني رعدة تبينت فيّ واخذ مقبل من بينهم مثل ما اخذني فقال لي صاحب الشرطة مالك فقلت له ان حديثي لطويل ولعل الله اراد بحضوري هذا المجلس سعادة نفر وشقاوة نفر فقال هات فقصصت عليه قصتي مع القوم الى آخرها فتعجب وقال هلا شرحتها لي فيما قبل حتى كنت اطلبهم وانتصف لك منهم فقلت ان الفزع الذي كان في قلبي منهم لم يبسط لساني به فقال فمن الذي كان معك من هؤلاء قلت الغلام واستاذه وواحد من الباقين فامر بحل كتافهم وتمييزهم من بين اصحابهم ودعا مقبل فقال ما حملك على ما فعلت بابن استاذك قال سوء الاصل وخبث العرق فقال لاجرم لتقابل بفعلك وامر به فضرب عنقه واصحابه الباقين ودعا بالغلام واستاذه وصاحبها وقال لهما لقد احسنتما في دفعكما عن هذا الفتى والله يجزيكما عن فعلكما الخير فتوبا الى الله من

فعلكما وانصرفا في صحة الله مع صاحبكما ولا تعوداً لما كنتما عليه من التلصص فقد منذت عليكما لحسن صنعكما مع هذا الفتى فان ظهرت منكما ثانياً الحقتكم بأصحابكم فشكروه ودعوا له وانصرفوا وشكرته على ما فعل والحمد لله على توفيقي لقضاء حق من اجارني والانتقام ممن ظلمني ثم صار ذلك الغلام واستاذه من اصدقائي وكان يختلفان الي

*وحكي ابراهيم بن عبد السلام الهاشمي البصري قال كان عندنا بالمربد رجل من خول محمد ابن سليمان الهاشمي وكان مؤنثاً يسمى عياد وكان يحمل السلاح فاجتمع يوماً مع قوم من الخول على شراب لهم فتجاروا حديث الشجاعة فعابوه بما فيه من التأنيث فخاطرهم في شيء يعمله مما يعرضون عليه يبين به عن شجاعة فقالوا له يخرج الساعة بغير سلاح الى صهاريج الحجاج فيدخل منها الصهريج الفلاني ويسمر في أرضه هذا الوتد ويعود وهذه الصهاريج على أكثر من فرسخ من البصرة في البرية وهي موحشة المكان خالية يجتمع فيها الماء وكان الحجاج قد عملها لشرب أهل الموسم والقوافل قال فأخبرني عياد قال خرجت وليس معي الا وتد ومطرقة حتى بلغت الصهريج الذي خاطرت عليه وكان أعظمها واوحشها فدخلت وكان جافاً وجلست وضربت الوتد بالمطرقة في أرضه فطن الصهريج فسمعت صلصلة شديدة وصوت سلسلة فقطعت الدق وانقطع الصوت وأعدت الدق فعاد الصوت وظهرت حركة وانا ثابت القلب أتأمل ولا أدري شيئاً من الظلمة الى ان احسست بالحركة والصوت قد قربا مني وتأملت فاذا بشخص لطيف لا يشبه قدر خلقة الانسان فاستوحشت وثبت نفسي وأنا ادق والشخص يقرب مني فوثبت والقيت نفسي عليه واستوثقت منه فاذا هو قرد في عنقه سلسلة فظننت انه قد أفلت من قراد أو قافلة فسحبته فلان في يدي وآنس بي فأخذته على يدي وساعدي وجئت أريد باب الصهريج فلما بلغته سمعت كلاماً فخشيت ان يكون بعض من يطلبني من العصبة هناك فوقفت اتسمع فاذا كلام امرأة مع رجل وهي تقول له يا فلان ويحك اتقتلني اتذبحني اتبلغ بي الموت اتق الله وهو يقول الذنب كله لك وأنت اذنت لهم في ان يزوجوك ولو أبيت ما قدر ابوك ان يزوجك وانما فعلتيه مللاً بي وانا تالف عشقاً وانت تتمنعين والله لأذبحنك استكتني يا ابنة الفاعلة قال فنظرت فاذا ظهره الى باب الصهريج فصحت عليه صيحة عظيمة وضربت قفاه بالقرد ففزع القرد وقبض على عنق الرجل وتمكن من ظهره فورد على الرجل ما حيره وأفزعه وذهب بعقله فخر مغشياً عليه ووقع السيف من يده فأخذته ورأيت الحجفة هناك فأخذتها وقصدت

الرجل وكان عقله ثاب اليه ورمي القرد عن ظهره وسعى هارباً فقصدت المرأة وحللت كتافها وقلت لها ما قصتك فقالت انا بنت فلان وذكرت رجلاً من اهل المربد وهذا ابن عمي وكان يعشقني فخطبني من ابي فامتنع من تزويجه بي وزوجني من رجل غريب ودخل بي منذ شهور فلما كان امس خرجت انا وجماعة من نساء الحيران ننظر الى الصحراء وقت العصر وبلغه خبرنا فكبسنا في الصحراء ومعه عدة رجال بالسلاح فاخذ كل رجل امرأة وانفرد بها وحملني هذا الى هذا الصهريج ففجر بي طول الليل ولما كان الآن عزم على قتلي فأغاثني الله بك وما اعرف للنسوة خبراً قلت لا بأس عليك امشي فمشيت بين يدي حتى دخلت البصرة فدقت باب والدها وفتح لها فدخلته وعدت الى اصحابي فحدثتهم الحديث وأريتهم القرد وخرجنا من الغد فراؤا الوتد وذهبنا الى باب المرأة فأريتهم اياه واخذت خطري * قال وحكي ابي قال كان في جواري رجل يعرف بأبي عبيدة حسن الادب كثير الرواية للاخبار وكان قديماً ينادم اسحاق ابن ابراهيم المصعبي فحدثني ان اسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل قال فهالني ذلك وانزعني واوحشني لما كنت اعرفه من زعارة الاخلاق وشدة الاسراع الى القتل وخفت ان يكون قد بلغه عني امر باطل فيسرع الى قتلي قبل كشف حالي فخرجت طائر العقل حتى اتيت داره فادخلت الى بعض دور الحرم فاشتد جزعي وذهب على امري فانتهى بي اليه وهو في حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ودخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده سيف مسلول وهو مطرق فأيقنت بالقتل وسلمت ووقفت فرفع رأسه وقال اجلس يا ابا عبيدة فسكن روعي وجلست فرمى اليّ رقاعاً كانت بين يديه وقال اقرأ هذه فقرأتها جميعاً فاذا هي رقع اصحاب الشرط يخبره كل واحد منهم بخبر يومه وما جرى في عمله وفي جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والامراء والاجلاء الذين بادوا وذهبت مراتبهم ويسألوه عما يعملون في امرهن فقلت قال قد وقفت اعز الله الامير على هذه الرقاع فما يأمرني الامير قال ويحك يا ابا عبيدة ان هؤلاء الناس الذين ذكروا حال بناتهم كلهم كانوا اجل مني وامثل وقد افضى بهم الدهر في حرمهم الى ما قد سمعت وقد وقع لي ان بناتي بعدي سيبلغن الى هذا المبلغ وقد جمعتهن وهن خمس وجلتهن في هذه الحجرة لاقتلهن الساعة واستريح ثم ادركتني رأفة البشرية والخوف من الله تعالى فاردت ان اشاورك في امضاء الرأي او شيء تشير به علي فيهن فقلت ايها الامير ان اباء هؤلاء النساء اللواتي

قرأت رقاع اصحاب الاخبار بما جرى عليهن اخطأوا في تدبيرهن لانهم خلفوا عليهن الذ
ولم يحفظوهن بالزواج فخلون بانفسهن ونعمهن ففسدن ولو كانوا جعلوهن في اعتا
الاكفاء ما جرى منهن هذا والذي ارى ان استدعي فلان العابد وله خمس بنين كل
جميل الوجه حسن اللبسة والتشوف تزوج كل واحدة من بناتك واحداً منهم فتكتفي العا
والثار فتكون قد اخذت بامر الله عز وجل وبالحزم ويراك الله قد اردت طاعته في
حفظهن فيحفظك فيهن فقال امض الساعة اليه واف غ لي معه من هذا قال فمضيت الى
الرجل وقررت الامر معه واخذت الفتيان واباهم وجئت الى دار اسحاق ابن ابراهيم
فما طلع الفجر حتى عقدت للخمس فتيان على الخمس بنات في خطبة واحدة وحمل
اسحاق بين يدي كل واحد منهم خمسة آلاف دينار عيناً وشيئاً كثيراً من الطيب والثياب
وحمل كلاً منهم على فرس بمركب ذهب واعطاني كل واحد من الازواج مالاً مما دفع
اليه كثيراً وامر لي اسحاق بخمسمائة ديناراً وخلعة وطيباً وانفذ الى امهات البنات هدايا
واموالاً جليلة وشكرني على تخليص بناتهن من الفتل وقلبي تلك الغمة فرحاً فعدت
الى داري ومعي ما قيمته ثلاثة آلاف دينار * ودعا الرشيد صالحاً صاحب الموصل حين
تنكر للبرامكة فقال له اخرج الى المنصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشرة آلاف
الف درهم فاحملها الي في هذا اليوم وانطلق معه فان دفعها اليك كاملة قبل مغيب
الشمس فاقبلها والا فاحمل الي رأسه واياك ومراجعتي في شيء من امره قال صالح
فخرجت الى منصور بن زياد وعرفته الخبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله
نفسي ثم حلف انه لا يعرف موضع ثلاثمائة الف فكيف بعشرة آلاف الف درهم
فقال له خذ في عملك فقال له امض بي الى منزلي حتى اوصي فما هو الا ان دخله
حتى ارتفع الصياح من منازله وحجر نسائه فأوصى وخرج وما فيه دم فقال لصالح
امض بنا الى ابي علي يحيى بن خالد لعل الله ان يأتينا بفرج من عنده فمضى معه الى
يحيى وهو يبكي فقال له ما وراءك فقص عليه القصة فاقلق يحيى امره واطرق مفكراً ثم
دعى بخازنه فقال له كم عندك من المال قال خمسة آلاف الف درهم فقال احضرينها
فأحضرها ثم وجه للفضل ابنه انك قد اعلمتني فداك ابوك ان عندك الفي الف درهم
تريد ان تشتري بها ضيعة وقد اصبت ضيعة يبقى لك ذكرها وتحصد ثمرتها فوجه الي
بالمال فوجه به ثم قال للرسول امض الى جعفر وقل له ابعث فداك ابوك الف الف
درهم لحقي لزمني فوجه بها اليه ثم قال لصالح هذه ثمانية آلاف درهم ثم اطرق اطراقه

لانه لم يكن عنده شيء ثم رفع رأسه الى خادم له فقال له امض الى دنانير فقل لها وجهي اليّ بالعقد الذي كان امير المؤمنين وهبه لك فجاءه به فاذا بعقد كعظم الذراع ثم التفت الى صالح وقال له قد اشتريت هذا العقد لامير المؤمنين بثمانية وعشرين الف دينار وقد حسبته عليك الآن بالف الف درهم وهذا تمام حقك فانصرف وخل عن صاحبنا فلا سبيل لك عليه قال صالح فاخذت ذلك ورددت منصوراً معي فلما صرت بالباب انشأ منصور متمثلاً بقول

فما بقي عليّ تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

فقال صالح ماعلى وجه الارض رجلاً انبل من هذا الذي خرجنا من عنده ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ولا على وجه الارض اخبث سريرة ولا اكفر نعمة ولا ادنى طمعاً من هذا النبطي لم يشكر من اعطاه ووزن عنه هذا المال العظيم قال وصرت الى الرشيد فقصصت عليه القصة وطويت عنه ماتمثل به منصور خوف ان يقتله اذا سمع ذلك فقال الرشيد قد علمت انه ان نجا انما ينجوا باهل هذا البيت اطلق الرجل واقبض المال واردد العقد فاني لم أكن لاهب هبة وترجع الى مالي قال صالح فلم اطب نفساً الا بتعريف يحيى ماقاله منصور عند خروجنا من المنزل من عنده فرجعت اليه واثنيت في شكره والدعاء له ووصف ما كان منه وقلت ولكن انعمت على غير شاكر قابل اكرم فعل بالام قول قال وكيف فاخبرته بما كان فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول يا ابا علي ان المنحوت القلب ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره وكان الرجل في حال عظيمة قال صالح فقلت له والله ما ادري من اي امر بك اعجب من اوله ام من آخره ولكني اعلم ان الدهر لا يخلف مثلك ابداً قال وكان علي بن عيسى القمي ضامناً بعمل الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه اربعون الف دينار ولح المأمون في طلابته حتى قال لعلي بن صالح حاجبه طالبه بالمال وانظره ثلاثة ايام فان احضر المال قبل انقضائها والا فاضربه بالسياط حتى يؤديها او يتلف وكان بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة فانصرف من دار المامون آيساً من نفسه لا يقدر على شيء من المال فقال له كاتبه لو عرجت على غسان واخبرته بخبرك لرجوت ان يعينك عليه قال فحملته على قبول ذلك فدخل على غسان فتلقاه بجميل ووفاه حقه فقص عليه كاتبه قصته فقال له ارجو ان يكفيه الله ونهض علي بن عيسى آيساً من نفسه كاسف البال نادماً على قصده وقال لكاتبه لما انصرف ما افدتني بقصد غسان الا لتجعل المهانة والذل لي وتشاغل في طريقه

بلقاء بعض اخوانه وعاد الى داره فوجد على داره بغالاً عليها اربعون الف ديناراً مع رسول غسان بن عباد فبلغه سلامه وعرفه عنه بما دفع اليه وسلم اليه المال وتقدم بحضور دار المامون من غد ذلك اليوم فبكر علي بن عيسى فلما وصل الناس الى المامون مثل غسان بن عباد بين الصفوف وقال يا امير المؤمنين ان لعلي بن عيسى حرمة وخدمة وسالف اصل ولامير المؤمنين عليه سالف احسان وقد لحقه من الخسران في ضمانه ماقد تعارفه الناس وجرى عليه من حدة المطالبة وشدتها والوعيد بضرب السياط ما حيره وقطعه عن احتيال ماعليه فان رأى امير المؤمنين ان يسعفني ببعض ماعليه ويضعه عنه فعل قال فلم يزل به الى ان حطه النصف واقتصر منه على عشرين الف دينار قال غسان على ان تجدد عليه الضمان وتشرفه بخلع فاجابه المامون الى ذلك قال فيأذن لي امير المؤمنين ان احمل الدواة اليه ليوقع بذلك فيبقى شرف حملها عليّ وعلى عقبي قال افعل ففعل وخرج علي بن عيسى والتوقيع معه بذلك وعليه الخلع فلما وصل الى منزله رد العشرين الف دينار الى غسان وشكره فردها غسان وقال اني لم استحطتها لنفسي وانما احببت توفيرها عليك واستحطتها لك وليس والله يعود شيء من المال الى ملكي * وحكي احمد بن ابي داود قال ما صحب السلطان اجلد من عمر بن فرج الرجحي ولا ازجل واخبث منه غضب عليه المعتصم يوماً وهمّ بقتله وامر بحضوره فجاء وقد نزف دمه فقال المعتصم السيف يا غلام فجعلت ركبتا عمر تصطكان فقلت ان رأى امير المؤمنين ان يساله عن ذنبه فلعله ان يخرج منه بعد لعذر فقال له يا ابن الفاعلة امرتك في ولد ابي طالب ان تعرف خبر منازلهم قال لا قال فلم فعلت فقال عمر انما فعلت ذلك لانه بلغني عن واحد منهم ان اصل قوم يكاتبونه فاردت ان اعرف مافي الكتب الواردة عليه وجعل عمر في خلال ذلك يلتمس البساط الذي كان تحت المعتصم فزاد ذلك في غضبه وقال يا ابن الفاعلة ماشغلك ما انت فيه عن لمس البساط كأنك غير مكترث بما أريده منك فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن العبد يعني من امر سيده بكل شيء على جميع الاحوال واني ما استحسنت هذا البساط لانه ليس من بسط الخلافة فقال له ويلك هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك انه قام علينا بخمسين الف درهم فقال يا سيدي عندي خير منه بسبعمائة دينار قال فذهب عن المعتصم والله ذلك الفور الذي كان به وسكن غضبه وقال وجه الساعة من يحضره فجاء البساط وما كان قد قام عليه فيما اظن باكثر من ثلاثة آلاف دينار فبسط واستحسنه المعتصم واستلافه

وقال هذا والله احسن من بساطنا وارخص وقد اخذناه منك بما اقام عليك ووالله ما برح ذلك اليوم حتى نادمه وخلع عليه * قال واخذ مصعب ابن الزبير رجلاً من اصحاب المختار فامر بضرب عنقه فقال ايها الامير ما اقبح بك ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الجميل الذي يستضاء به فأتعلق بك ثم اقول يارب سل هذا فيم قتلني قال قد عفوت عنك قال ايها الامير اجعل ما وهبت لي في حياتي في خفض فانه لاعيش لفقير فقال ردوا عليه عطاءه واعطوه مائة الف درهم فقال اشهد الله اني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات قال ولم قال لقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقي الله في الامور وقد اف لمح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب وقال ارى فيك للصنيعة موضعاً وجعله في ندمائه واحسن صلته * وقيل للفضل بن يحيى قد افسدت جودك بكبرك فقال والله مالي حيلة في النزوع عنه وما كان طبعي هكذا الا انني حملت نفسي عليه لما رأيت من عمارة بن حمزة فتشبهت به فصار طبعاً لا اقدر على الاقلاع عنه وذلك ان ابي كان يضمن فارس من المهدي فحمل عليه الف الف درهم وكان المهدي قد ساء رأيه فيه فحرك ذلك ما كان في نفسه وامر اباعون ان يأخذه فيطالبه بالمال فان غربت الشمس عن يومه ذلك ولم يسلم جميعه او يبق درهم منه اتاه براسه من غير ان يستاذنه او يراجعه قال فاخذه ابو عون فاستدعاني اليه وقال يابني قد ترى مانحن فيه فلا تدعوا في منازلكم شيئاً الا احضرتموه فجمعنا كل مافي منازلنا من صامت وحلي فلم يبلغ عشر المال فقال لي يابني ان كانت لنا حيلة في الحياة فهي من قبل عمارة بن حمزة والا فانا مقتول العشية فالقه واذكر له الصورة فمضيت الى بابه فاستأذن لي عليه فدخلت عليه وهو مضطجع قد غاص في فرش له ما كاد يبين غير وجهه فوالله فوالله ماتحرك وسلمت فاومأ اليّ بالجلوس فجلست بعيداً منه فلم يعرني الطرف فانكسرت نفسي وقلت اي خير عند من هذا لقاؤه وعنوان امره فامسكت لا اتكلم منكراً في الكلام والقيام فقال اذكر حاجتك ان كنت اتيت بها قال فقصصت عليه القصة وعرفته بما جئت بقصده وما نحن فيه من المضايقة والتشديد قال فوالله ما اجابني باكثر من ان قال امض فان الله تعالى يكفيك فقمت متحيراً اجر رجلي لا اشك في انه قد آيسني من حاجتي وقلت ان عدت الى ابي بهذا

الجواب مات غماً قبل ضرب العنق فتوقفت ساعة لا ادري ما اصنع ثم قلت على كل حال لابد من ان امضي اليه واؤانسه فان كان له حيلة اخرى شرعنا فيها قبل ان ينصرم النهار قال فجئته فوجدت على الباب بغالاً محملة فقلت لمن معها من انتم ومن بعث بكم فقالوا انفذنا عمارة اليكم بمال على هذه البغال فدخلت واخبرت ابي بما جرى واخذنا المال فصححناه وما صليت العصر الا وسلمنا المال ولما عرف المهدي الصورة فاستحيا وافرج عن ابي وكان ذلك سبب رضاه عنه وصلاح نيته له فلما كان بعد شهرين ورد لنا من فارس مال كثير فقال لي ابي خذ المال وامض به الى عمارة واشكره ورده عليه فحملت المال وجئت به الى بابه حتى استؤذن لي فدخلت عليه وهو على فرشه فما زادني على ماعاملني به اولاً ولا نقصني فشكرته عن ابي ودعوت له وعرفته احضاري المال وسالته الامر بقبضه فقال لي اكنت قسطاراً لابيك اقرضه وارتجع منه فقلت لا ياسيدي بل احييته وحقنت دمه ومننت عليه وما احب ان ينقمك فلما حصل له المال انفذه فقال له اما اذا رده ابوك فقد وهبته لك خذه وانصرف فقمت وقد اعطاني مالم يعطه احداً فجئت الى ابي فعرفته ماجرى فقال لا والله يابني ما تطيب لك نفسي به كله ولكن تأخذ منه مائتي الف درهم فاعطانيها فهي اول مالي واصل نعمتي فتعلمت من عمارة الكرم والكبر معاً فصارا لي طبعاً * وحكي المعروف بالهايم الراوية فيما حدثني به قال كنت اسير من الشام اريد العراق فلما انتهيت الى قرية في بعض الطريق لقيني خراساني معه مخلاة فقال اين تريد قلت بغداد فقال انا رفيقك فسرنا الى قرية خراب على شاطيء الفرات في برية الشام فراينا على باب القرية رجلاً اسود منكر الخلق عريانا لا يتوارى بشيء البتة فعدا مجفلاً عنا فدخلنا القرية فجلسنا في دار خراب على شاطيء الفرات واخرجنا زاداً كان معنا فجعلنا ناكل فاذا الحجارة تجيئنا متداركة حتى خفنا ان نهلك منها وما تمالكنا ان نقوم الاَّ بجهد وتاملنا امره فراينا الاسود يرجمنا فطلبناه وطلبنا فلما دخلنا وام الاسود ان يقبض عليّ ففزعت منه فقبض على الخراساني وقبض عليه الآخر وجعلا يتعاركان فانكب الاسود على كتف الخراساني فعضه فصاح الخراساني يا بغدادي ادركني فقد قتلني فدنوت من خلف الاسود وتعلقت بخصيتيه ولكمتها لكمات شديدة فخرّ مغشياً عليه وقام الخراساني فجلس على صدره وخنقه بيده حتى تلف وسرنا والخراساني يصيح من الم العضة فانتهينا الى حيال قرية عامرة فصحنا بملاح فقدم زورقه لنعبر الى القرية فطرح الخراساني نفسه على الشط كالتالف فشجعته وقلت مالك

واي شيء قدر عضة فقال ويحك انظر اليها فرايتها فاذا هي قد اخذت كتفه كله واسودت واحمر بدنه كله فحملته انا والملاح حتى حصلنا في الزورق وعبرنا فلما صرنا بالقرب من الشط تلف فاخرجناه ميتاً فاجتمع اهل القرية وسألوا عن شانه فحدثتهم الحديث فقالوا قد فتحتم فتحاً هذا عبد فلان اصابه داء الكلب وتغرب في تلك الخرابات وقد قتل خلقاً كثيراً بالعض وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر الى الاسود وسرت انا في طريقي وحمدت الله على سلامتي من الاسود * قال وقرأت في كتب الفرس ان ابرويز الملك كان معجباً بالقلهيذ لطيب غنائه فنشأ للقلهيذ غلام احسن غناء منه فاهداه الى ابرويز متقرباً به اليه واستطابه ابرويز وغلب على قلبه حتى قدمه على القلهيذ فحسده القلهيذ فقتله وبلغ ذلك ابرويز فغضب غضباً شديداً واستدعا القلهيذ وامر فاحضروا له السيف والنطع وعزم على ضرب عنقه وقال له يا كلب علمت ان شطر لذتي بالغناء كان فيك وشطرها في غلامك فقتلته لتذهب بشطر لذتي والله لاقتلنك وامر به فجر ليقتل فقال ايها الملك اسمع مني كلمة ثم اعمل ماشئت قال قل قال اذا كانت لذتك شطرين وقد ابطلت انا بالجهل والخطإ احدهما فهل تبطل انت على نفسك الشطر الآخر بطاعة الغضب فان جنايتك على نفسك اعظم من جنايتي عليك فقال ابرويز ما نطقت بهذا الكلام في مثل هذا المقام الا لما في اجلك من التاخير ولما يريد الله اسعادي به من الالتذاذ بالغناء وقد عفوت عنك فاطلقه * وقال ابو اسحاق اخبرنا احمد بن ابي داود قال دخلت على المعتصم يوماً فقال لي يا ابا عبدالله لم يدعني اليوم ابو الحسن الاقشين حتى اطلقت يده على القاسم بن عيسى فقمت من بين يديه ولم ابصر شيئاً جزعاً على ابي دلف ودخلني امر عظيم وخرجت فركبت دابتي وسرت اشد سير من الجوسق الى باب الاقشين بقرب المطيرة اوّمل ان ادرك ابا دلف من قبل ان يحدث عليه حادثة فلما بلغت بابه كرهت ان استاذن فيعلم اني قد حضرت بسبب ابي دلف فيعجل عليه فدخلت على دابتي الى الموضع الذي كنت انزل فيه واوهمت حاجبه اني قد جئت برسالة من المعتصم ثم نزلت فرفع الستر فدخلت فوجدت الاقشين في مجلسه وابا دلف مصفداً بالحديد بين يديه على نطع وهو يقرعه ويخاطبه باشد غضب واغلظ مخاطبة فحين قربت منه امسك فسلمت واخذت مجلسي ثم قلت للاقشين قد عرفت حرمتي بامير المؤمنين وخدمتي اياه وموضعي عنده وموقعي من رايه وتفرده بالصنيعة عندي والاحسان اليّ وعلمت مع ذلك ميلي اليك ومحبتي لك وقد رغبت اليك فيما

يرغب اليه مثلي الى مثلك ممن رفع الله قدره واجلّ خاطره واعلى همته فقال كلما قلت وكلما اردته مني فهو مبذول لك خلا هذا الجالس فاني لا اشفعك فيه فقلت ما جئتك الا في امره ولا التمس منك غيره ولولا شدة غضبك وما تتوعده به من القتل لكان في جميل عفوك ما اغنى عن كلامك ولكني لما عرفت غضبك وما تنقمه عليه احتجت مع موقعه مني الى كلامك في امره واستيهاب عظيم جرمه اذ كان مثلك في جلالتك انما يسئل جلائل الامور فقال يا ابا عبدالله هذا رجل طلب دمي ولم يقتصر على ازالة نعمتي ولا سبيل الى تشفيعك فيه ولكن هذا بيت مالي وهذه ضياعي وكل ما املك فخذ من ذلك ما اردت فقلت بارك الله لك في مالك وثمرها لك لم آت لهذا وانما اتيت في مكرمة يبقى فضلها وتحسن احدوثتها وتعتقد بها منة في عنقي لا ازال مرتهناً بشكرها فقال ما عندي في هذا شيء البتة فقلت له القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها فاستبقه وانعم عليه فان لم تره لهذا اهلاً فهبه للعرب كلها وانت تعلم ان ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ومن ذلك ما كان من كسرى الى النعمان حتى ملكه وانت اليوم بقية العجم فانعم على شريف من العرب بالعفو عنه فقال ما عندي في هذا الا ما سمعته وتنكر وتبينت الشر في وجهه فقلت في نفسي انصرف وادع هذا يقتل ابا دلف لا والله ولكن امثل بين يديه قائماً واسأله فلعله يستحي فقمت وتوهمني اريد الانصراف فتحضرلي فقلت لست اريد الانصراف وانما مثلت بين يديك طالباً راغباً ضارعاً سائلاً مستوهباً هذا الرجل منك فكان جوابه اغلظ فتحيرت فقلت اكب على راسه فاقبله فدخلني من ذلك انفة شديدة وقلت اقبل راس هذا النذل لا يكون هذا ابداً ثم راجعتني الشفقة على ابي دلف فقبلت راسه وتضرعت فلم يجبني فاخذ في ما قدم وما حدث وعدت فجلست وقلت يا ابا الحسن قد طلبت اليك وتضرعت ووضعت خدي لك ومثلت بين يديك وقبلت راسك فشفعني واصرفني شاكرًا فهو اجمل بك قال لا والله ما عندي غير ما قلته لك قلت فأنا رسول امير المؤمنين اليك وهو يقول لك لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً فانك ان قتلته قتلت به قال يقول امير المؤمنين هذا لي بعد ان اطلق يدي عليه قلت نعم انا رسوله اليك بما قلته لك فان كنت في الطاعة فاسمع واطع وان كنت قلت لا طاعة فافعل ونفضت يدي في وجهه ونهضت فاضطرب حتى لم يقدر ان يدعو لي بدابتي وركبت فاعددت السير الى المعتصم لاخبره الخبر وبما اضطررت اليه من تأدية رسالة باطلة عنه لاني علمت انه لم يقل لي ما قاله الا وهو يحب استبقاء

ابي دلف فانتهيت الى الجوسق في وقت حار والحجاب جميعاً نيام والدار خالية فانتهيت الى ستر الدار التي فيها المعتصم وجلست وقلت ان جاء الافشين دخلت معه وتكلمت وان سأل الوصول اخبرت امير المؤمنين الخبر كله فبينما انا كذلك اذ خرج خادم صغير من وراء الستر ثم دخل وخرج فقال ادخل فدخلت وقلت يا أمير المؤمنين امالي حرمة أمالي زمام أمالي حق أما في فضل أمير المؤمنين ونعمته عليّ ما يجب رعايته فقال مالك يا أباعبدالله ما قصتك اجلس اجلس فقلت يا أمير المؤمنين قلت لي اليوم في القاسم بن عيسى قولاً علمت انك تريد استنقاذه وحقن دمه فمضيت من فوري الى أبي الحسن الافشين وقصصت عليه القصة وكلما دخلت معه في الكلام يتغيظ ويفتل سباله حتى اذا أردت ان أعرفه الرسالة التي أديتها عنه قطع كلامي وقال يمضي قاضبي وصنيعتي احمد بن أبي داود الى جندي فيخضع له ويقف بين يديه ويقبل رأسه فلا يشفعه قتلني الله ان لم أقتله بكررها فما استوفى كلامه حتى رفع الستر ودخل الافشين فلقيه بالاكبر البر والاكرام وأجلسه بقربه وقال في هذا الوقت الحار يا أبا الحسن فقال يا أمير المؤمنين رجل عرفت ما نالني منه وانه طلب دمي وقد اطلقت يدي عليه ويجيئني هذا ويقول انك بعثت به اليّ تأمرني ان لا أحدث فيه حدثاً واني ان قتلته قتلت به قال فاظهر الغضب وقال نعم أنا ارسلته اليك فلا تحدث على القاسم بن علي حدثاً فنهض الافشين مغضباً يدمدم واتبعته لاتلافه فصاح بي المعتصم ارجع يا أبا عبدالله فرجعت وقلت يا أمير المؤمنين انه باق مما جرى كلاماً قد قطعتني بكلامك عن تكملته وهي بمعنى الرسالة قال قد فهمتها والقاسم بن عيسى يوافيك العشية فاحذر ان تنفوه بشيء مما جرى ومضى الافشين فاطلق القاسم وخلع عليه فجاءني القاسم من عشيته وما اخبرت بالحديث أحد حتى قتل الافشين ومات المعتصم * قال قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة الى العربية ان ملكاً من ملوكهم قدم اليه صاحب مائدته عضادة اسفيدباج فسقطت منها نقطة على ذراع الملك فأمر بقتل الرجل فقال الرجل اعيذ الملك بالله من أن يقتلني ظلماً لغير ذنب قصدته فقال الملك قتلك واجب ليتعظ بك غيرك فلا يهمل الخدمة فأخذ الرجل العضادة فصبها بأسرها على الملك وقال أيها الملك تكرهت ان ان يشيع عنك انك قتلتني ظلماً ففعلت هذا لأستحق القتل ويزول عنك قبح الاحدوثة بظلم الخدم فشأنك الآن وما تريد فقال الملك ما احصن الاجل قد عفوت عنك * قال احمد بن أبي داود ما رأيت رجلاً عاين الموت فما اكترث به ولا شغله عما اراده حتى

بلغه وخلصه الله من القتل الا تميم بن جميل فاني رأيته بين يد المعتصم بالله وقد بسط له النطع وانتضى السيف وكان رجلاً جسيماً وسيماً فأحب المعتصم ان يستنطقه لينظر اين منظره من مخبره فقال له تكلم فقال اما اذا اذن أمير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين ان الذنوب تخرس الالسنة وتخلع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك او انتقامك وانشد

ارى الموت بين النطع والسيف كامناً ... يلاحظني من حيث لا اتلفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي ... واي امرئ مما قضى الله يفلت
واي امرئ يدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وماجزعي من ان أموت وانني ... لأعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي بلية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرتي تتفتت
كاني اراهم حين انعي اليهم ... وقد لطموا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة ... اذود الردى عنهم وان متّ موّتوا

فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم قد عفوت عنك من الهفوة ووهبتك للصبية وامر بفك قيوده وخلع عليه وعقد له على سقي الفرات * وقال أُوتي معن بن زائدة بثلاثمائة اسير فأمر بضرب اعناقهم فأحضر سيف ماض وسياف ونطع وقدم واحد منهم فقتل ثم قدم غلام كان فيهم فقال يا معن لا تقتل اسراك وهم عطاش فقال اسقوهم ماء فشربوا فقام الغلام فقال ايها الامير لقد اطعتنا في السؤال وان لكل كبد حراء أجراً ونحن والله جياع فان رأيت ان تشبعنا قبل قتلنا فافعل فأمر لهم بطعام فاكلوا فلما شبعوا قام الغلام فقال ايها الامير كنا اسراك والآن سرنا اضيافك فقال خلوا عنهم فاطلقوهم جميعاً * وقرأت في بعض الكتب كان موسى الهادي قد طالب اخاه هارون ان يخلع نفسه من العهد لصبيه لابنه من بعده ويخرج هارون من الامر فلم يجب الى ذلك فاحضر يحيى بن خالد البرمكي ولطف به وداراه ووعده ومناه وسأله ان يشير على هارون بالخلع فلم يجب يحيى الى ذلك ودافعه عنه وهدده الهادي وتوعده وجرت بينهما في ذلك خطوب واشفى يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعته عن صاحبه الى ان اعتل الهادي علته التي مات فيها واشتدت به فدعا يحيى وقال له ليس ينفعني معك

شيء وقد افسدت اخي وقويت نفسه حتى امتنع مما اريده ووالله لاقتلنك فدعا بالسيف والنطع وابركه ليضرب عنقه فقال له ابراهيم بن ذكوان الحراني يا امير المؤمنين ان ليحيى عندي يداً اريد ان اكافئه عنها فأحب ان تهبه لي الليلة وانت في غد اعلا عيناً وما تراه في امره فقال وما فائدة ليلة فقال اما ان يعود صاحبه الى رضاء امير المؤمنين او يعهدك في امر نفسه وولده فأجابه قال يحيى فافقت من النطع وقد ايقنت بالموت وعلمت انه لم يبق من اجلي الا بقية الليلة فما اكتحلت غمضاً الى السحر سمعت صوت القفل ففتح عني فلم اشكك ان الهادي استدعاني للقتل لما انصرف ابراهيم كاتبه وانقضت الليلة فاذا بخادم قد اقبل وقال اجب السيدة فقلت مالي وللسيدة فقال قم قال فقمت فاتيت الخيزران فقالت لي ان امير المؤمنين قد مات ونحن نساء فادخل واصلح امره وانفذ الى هارون فجيء به فدخلت فاذا هو ميت على فراشه وامه العزيز تبكي على راسه فغمضته وشددت لحيته وحمدت الله على لطيف صنعه وتفريجه ما كنت فيه وبادرت الى هارون فوجدته نائماً فايقظته فلما رآني عجب وقال ويحك ما الخبر فقلت يا امير المؤمنين قم الى دار الخلافة فقال مات موسى قلت نعم فقال الحمد لله هاتوا ثيابي فقبل ان يلبسها جاءني من عرفني سراً انه قد ولد له ابن من مراجل ولم يكن عرف الخبر فقلت اقرّ الله عينك يا امير المؤمنين بابن مراجل فحمد الله كثيراً وسماه عبدالله المأمون وركب وانا معه الى دار الخلافة * ووجدت في بعض الكتب ان الحجاج كان يستعرض قوماً من اصحاب ابن الاشعث فقتل منهم جماعة ثم جيء برجل فامر بضرب عنقه فقال ايها الامير ان لي عليك حقاً فقال وما حقك قال انه سبك عبدالرحمن يوماً فرددت عليه قال ومن يعلم هذا فصاح الرجل انشد الله رجلاً سمع ذلك الا شهد به فقام من الاسرى رجل وقال قد كان ذلك قال خلوا عنه ثم قال للشاهد ما منعك ان تنكر سبي كما انكر هو قال قديم بغضي لك فقال خلوا عنهما هذا ليده وهذا لصدقة * وذكر المدايني في كتابه يرفعه الى رجل كان من امراء الحجاج من اصحاب بن الاشعث قال جعل الحجاج يقتل عامة يومه الاسراء وبقيت منا جماعة قليلة واتي برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج والله لان كنا اسأنا الفعل فما احسنت في العقوبة ولئن كنا لزمنا الجناية فما كرمت في العفو فقال ردوه يا حرسي كيف قلت فاعاده فقال الحجاج صدقت والله اف لهذه الجيف والجثث اما كان فيها احد ينبهنا كما نبهتنا اطلقوا عنه * وذكر المدائني في كتابه عن معمر بن المسني قال اتى الحجاج بقوم ممن

كانوا خرجوا عليه امر بهم فقالوا واقيمت الصلاة وقد بقي منهم رجل واحد فقال الحجاج لعنبسة انصرف بهذا معك واغد عليّ غداً قال عنبسة فخرجت به فلما سرنا في الطريق قال هل فيك خير قلت وما ذاك قال اني والله ما خرجت على المسلمين ولم استحل منالهم وعندي ودائع واموال فتخلى عني حتى آتى اهلي وارد على كل ذي حق حقه واجعل الله لك على اني اتصبح عندك في غد فتعجبت منه وتضاحكت ومضينا ساعة فاعاد عليّ القول فقلت له اذهب فذهب فلما توارى عني شخصه سقط في يدي فاتيت اهلي فاخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج وبتنا باطول ليلة فلما طلع الفجر اذا به قد جاءني فقلت ارجعت فقال سبحان الله جعلت الله عز وجل شاهدي ثم لم ارجع قال فانطلقت الى الحجاج فقال اين اسيرنا قلت اصلح الله الامير هو بالباب وقد كانت لي وله قصة قال وما هي فاخبرته الخبر وادخلته عليه فقال لي اتحب اني اهبه لك قلت نعم قال هو لك فقلت للرجل خذ اي طريق شئت فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله وانصرف وما كلمني بكلمة فقلت في نفسي هذا مجنون فلما كان في غد اتاني فقال يا هذا جزاك الله خيراً اني ما جهلت قدر ما صنعت ولكن كرهت ان اشرك في حمد الله احدا * وذكر محمد بن عمر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حبس رجل وقد وجب عليه حد فلما رفع خبره امر بضرب عنقه فقال المخبر فدخلت بعدها الحبس الى رجل بيني وبينه سبب اتفقد خبره فرايت الذي امر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت للذي دخلت اليه انا اعلم بضرب عنق ذلك الانسان فما افرغ قلبه يلعب بالنرد وهو محبوس قال صاحبي اظرف من هذا انه قد امر بضرب عنقه وقد علم بذلك وهو ذا ترى حاله قال فازددت تعجباً فغطن الرجل لما نحن فيه فاخذ بيده فصاً من فصوص النرد فرفعه وقال الى ان يسقط هذا من يدي الى الارض تكون قد حدثت امور فخرجت وانا متعجب منه مفتكر في قوله فما امسينا ذلك اليوم حتى سمعت الجند وفتحت السجون وخرج من كان فيها والرجل فيهم وسلم من القتل

الباب التاسع

﴿من شارف الموت بحيوان مهلك رآه * فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه﴾

عن ابراهيم الخواص قال ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا الى مكان لا ندري اي مكان هو فاقمنا فيه اياماً لانجد ما نقتاته فاحسسنا بالموت فقال بعضنا لبعض تعالوا حتى نجعل الله على انفسنا ان ندع له شيئاً فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضنا لا افطر الدهر وقال بعضنا اصلي كل يوم كذا وكذا ركعة وقال بعضنا ادع اللذات الى ان قال كل منا شيئاً وانا ساكت فقالوا لي قل شيئاً فلم يجيء على لساني الا ان قلت لا آكل لحم فيل ابداً فقالوا الهزل في مثل هذا الحال فقلت والله ما تعمدت الهزل ولكني منذ بدأتم وانا اعرض على نفسي شيئاً ادعه لله عزوجل فلا تطاوعني ولا يخطر على قلبي غير الذي لفظت به وما اجرى هذا على لساني ولا الهمه قلبي الا لامر فلما كان بعد ساعة قال بعضنا لِمَ لا نطوف في هذه الارض متفرقين فنطلب قوتاً فمن وجد شيئاً انذر به الباقين والموعد هذه الشجرة قال فتفرقنا في الطرق فرجع احدنا بولد فيل صغير فلوح بعضنا لبعض فاجتمعنا فاخذه اصحابنا واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا ياكلون وقالوا لتقدم فقلت انتم تعلمون انني منذ ساعة تركته لله عزوجل وما كنت لارجع في شيء تركته له لعله جرى ذلك على لساني لاجل موتي من بينكم لاني ما اكلت شيئاً منذ ايام وما اطمع في شيء آخر وما يراني الله انقض عهده ولو مت واعتزلتهم واكل اصحابي واقبل الليل وتفرقنا الى مواضعنا التي كنا فيها نبيت وآويت الى اصل شجرة كنت ابيت عندها فلم يكن الا لحظة فاذا بفيل عظيم قد اقبل وهو ينعر والصحراء تتدكدك بنعيره وشدة شغبه وهو يطلبنا فقال بعضهم قد حضر الاجل فاستسلموا وتشهدوا واخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم على وجوههم فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً فيشمه من اول جسده الى آخره فاذا لم يبق فيه موضع الا شمه شال احدى قوائمه فوضعها عليه وفسخه فاذا علم انه قد اتلفه قصد آخر ففعل به مثل فعله في الاول الى ان لم يبق غيري وانا جالس منتصب اشاهد ماجرى واستغفره واسبحه فقصدني الفيل فحين قرب مني رميت نفسي على ظهري ففعل بي من

الشم كما فعل باصحابي ثم اعاد شمي مرتين او ثلاثاً ولم يكن فعل باحد منهم ذلك وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعاً ثم لف خرطومه عليّ فشالني في الهوا فظننته يريد قتلي بقتلة اخرى فجهرت بالاستغفار فما نحى خرطومه حتى جعلني فوق ظهره فانتصبت جالساً واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى اخرى وانا تارة احمد الله عزوجل على تاخير الفيل واطمع في الحياة وتارة اتوقع ان يثور بي فيقتلني فاعاود الاستغفار وانا اقاسي في ذلك واتجرع من الالم الشديد لسرعة سير الفيل امراً عظيماً فلم ازل على ذلك الى ان طلع الفجر واشتد ضوءه فاذا به قد لف خرطومه عليّ فقلت قد حضر الاجل فاستكثرت من الاستغفار فاذا به قد انزلني من ظهره وتركني على الارض ورجع الى الطريق التي جاء منها وانا لا اصدق فلما غاب عن عيني ولم اسمع له حساً خررت ساجداً لله سبحانه فما رفعت راسي حتى احسست بالشمس فاذا انا على ظهر محجة عظيمة فمشيت عليها نحواً من فرسخين فانتهيت الى بلد كبير فدخلته فعجب اهله مني وسألوني عن حالي فاخبرتهم بالقصة فزعموا ان الفيل سار في هذه الليلة مسيرة ايام واستظرفوا سلامتي واقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدائد التي قاسيتها وتندّى بدني ثم سرت مع التجار الى بلد على شاطيء البحر فركبته ورزقني الله السلامة الى ان عدت الى بلدي * قال حدثني ابو بكر البسطامي صاحب ابن دريد وكان زوج ابنته وكان شيخاً من اهل الادب والحديث وقد استوطن الاهواز سنين وكان ملازماً لابي رحمه الله يتفقده ويبرّه قال كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة طويلة منقطعة وآيست منه فجلست يوماً تاكل فخين كسرت لقمة واومت بها الى فيها وقف بالباب سائل مستطعم فامتنعت من اكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يومها وليلتها فما مضت الا ايام يسيرة بعد ذلك حتى عاد ابنها فاخبرها بشدائد عظيمة مرت به وقال اعظم شيء جرى لي كنت منذ ايام اسلك اجمة عظيمة في الموضع الفلاني اذ خرج عليّ اسد فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه وعاد الحمار وتشبكت مخالب الاسد في ثياب كانت عليّ فما وصل الى بدني كثير شيء من مخالبه وذهب اكثر ثيابي فادخلني الاسد الاجمة وبرك ليفترسني فرأيت رجلاً عظيم الخلقة ابيض الوجه والثياب قد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح على قفا الاسد وشاله وخبط به الارض وقال قم يا كلب لقمة بلقمه فقام الاسد هارباً يهرول وثاب الى عقلي وطلبت الرجل فلم اجده وجلست ساعات الى ان ثابت اليّ قوتي

ثم نظرت الى نفسي فلم اجد بها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها فتعجبوا لما راوني فحدثتهم حديثي ولم ادر معنى القول من الرجل لقمة بلقمة فنظرت المرأة فاذا هو وقت ان اخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها * وجدت في دفتر عتيق عن بعضهم قال خرجت الى الحائر في ايام الحنبلية انا وجماعة مختفين فلما صرنا في اجمة بر قال لي رفيق منهم يا فلان ان نفسي تحدثني ان السبع يخرج فيفترسني من بين الجماعة فان كان ذلك فخذ حماري وما عليه فاده الى عيالي في منزلي فقلت له هذا استشعار يجب ان تتعوذ بالله منه وتضرب عن الذكر فيه قال فما مضى على هذا الامر الا يسير حتى خرج الاسد فحين رآه الرجل سقط عن حماره يتشهد وقصده الاسد من بين الجماعة فاخذه ودخل به الاجمة وسقت الحمار واسرعت مع القافلة و بلغت الحائر وزرنا ورجعنا الى بغداد واسترحت في بيتي يوماً او يومين ثم اخذت الحمار وجئت به الى منزله لاسلمه الى عياله فدققت الباب فخرج اليّ الرجل بعينه فعانقني وبكا وبكيت وقلت حديثك فقال ان السبع ساعة اخذني وجرّني الى الاجمة وانا لا اعقل امري سمعت صوت شيء ورأيت السبع قد خلاني ومضى ففتحت عيني فاذا الذي سمعته صوت خنزير واذا السبع لما رآه عنّي له ان يتركني ومضى فصاده وبرك عليه يفترسه وانا اشاهده الى ان فرغ منه ثم رجع السبع من الاجمة وغاب عن عيني فسكنت وتأملت حالي فوجدت مخالبه قد وصلت الى فخذي قليلاً وقوتي قد عادت فقلت لاي شيء جلوسي فقمت انسحب في الاجمة اطلب الطريق فاذا بجيف ناس و بقر وعظام بالية واثر من افترسهم الاسد فما زلت اتخطاها حتى انتهيت الى رجل قد اكل الاسد بعض جسده وبقي اكثره وهو طري وفي وسطه همیان قد تخرق بعضه وظهرت منه دنانير فتقدمت فجمعتها وقطعت الهميان واخذت جميع الدنانير وتتبعتها حتى لم يفتني منها شيء وقويت فضل قوة فاسرعت في المشي وطلبت الجادة فوقفت عليها واقمت امشي الى بعض القرى واستاجرت حماراً وعدت الى بغداد ولم امض الى الزيارة لاني خشيت ان يسبقوني و يذكروا خبري فيصير عند عيالي مأتم فسبقتكم وانا اعالج فخذي واذا منّ الله عزّ وجلّ بالعافية عدت الى الزيارة وحدثني بهذا الحديث غير واحد من اهل بغداد * حدثني ابو جعفر اصبع ابن احمد بن شبح وكان يحجب ابا محمد المهلبي رحمة الله عليه قبل وزارته فلما ولي الوزارة كان يصرفه في الاستخلاف على العمال وفي الاعمال التي يتصرف فيها العمال الصغار قال كنت بشيراز مع ابي الحسن علي بن خلف بن طيبات وهو يتولى عمالتها يومئذٍ فجاء

مستحثاً من الوزير يطالبه بحمل الاموال وكان احد الغلمان الاكابر قد كوتب باكرامه فاحضره اول يوم طعامه وشرابه فامتنع من موًا كلته وذكر ان له عذرًا فقال لابد ان تاكل فاكل باطراف اصابعه ولم يخرج يده من كمه وكاد كمه يدخل في الغضائر وبناله الغمر فلما كان من غد قال علي بن خلف ليدعه كل يوم واحد منكم فكانوا يدعونه ويدعون بعضهم بعضاً فتكون صورته في الاكل واحدة فنقول لعل به برصاً او جذاماً الى ان بلغت النوبة اليّ فدعوته ودعوت الحاشية وجلسنا ناكل وهو ياكل معنا على هذه الصورة فسألته اخراج يده والانبساط في الاكل فامتنع من اخراج يده فقلت له يلحقك تنغيص بالاكل هكذا فاخرجها على اي شيء كان بها فانا نرضى به قال فكشفها فاذا فيها وفي ذراعة ضربات بعضها فيه بقية ادوية يابسة وهي على اقبح ما يكون من المنظر فاكل معنا غير محتشم وقدم الشراب فشربنا فلما اخذ منا الشراب سألته عن سبب تلك الضربات فقال هو امر ظريف اخاف ان لا اصدق فيه ولا يحمل بي الحديث به فقلت لابد ان تتفضل قال كنت عام اول بقريب من هذا الوقت قائماً بحضرة الوزير فسلم اليّ كتاباً الى عامل دمشق ومنشوراً وامرني بالتوجه اليه وازهاقه بالمطالبة بحمل المال ورسم ان اخرج على طريق السماوه لأتعجل وكتب الى عامل هيت بانفاذي مع خفارة فلما حصلت هيت استدعا العامل جماعة من احياء العرب وضمني اليهم واعطاهم مالاً على ذلك واشهد عليهم بتسلمي واحتاط في امري وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة وتتوقى البرية فآنسوا بي وسألوني ان آخذ لنفسي مالاً وللاعراب مالاً واوصلهم في الخفارة ويسيرون معي ففعلت ذلك فصرنا قافلة عظيمة وكان معي من غلماني من يحمل السلاح وهم يقربون من العشرين غلاماً وفي حمالي القافلة والتجار جماعة يحملون السلاح ايضاً فرحلنا عن هيت ودخلنا في البرية ثلاثة ايام بلياليها فبينما نحن نسير اذ لاحت لنا خيل فقلنا للاعراب ما هذه الخيل فتسرع منهم قوم ثم عادوا كالمنهزمين وقالوا قوم من بني فلان بيننا وبينهم دم ونحن طلبتهم ولا ثبات لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم وركضوا متفرقين وبقينا نحن متحيرين ولم نشك انهم كانوا بعض اهلهم وان ذلك فعل على مواطأة فجمعت القافلة وطفت بها انا وغلماني ومن كان منهم يحمل السلاح متساندين كالدائرة وقلت لمن كان معي لو كان هؤلاء ياخذون اموالنا ويدعون جمالنا لنتجو عليها كان هذا اسهل ولكن الجمال والدواب اول ما تؤخذ وتتلف في البرية ضعفاً وعطشاً فاعملوا على ان نقاتل فان هزمناهم سلمنا وان قتلناهم كان اسهل فقالوا نفعل وقدم القوم فقتلنا

لهم عدة خيل وجرحنا منهم غير جريح وما ظفروا منا بعود فباتوا قريباً منا حنقين علينا وتفرق الناس للاكل والصلاة واجتهدت بهم ان يجتمعوا ويبيتوا تحت السلاح فخالفوني وكانوا قد آمنوا ونام بعضهم فغشينا الخيل فلم يكن عندنا ممانعة فوضعوا فينا السيوف وكنت انا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأيي وعلموه من اني رئيس القافلة فقطعوني بالسيوف ولحقني هذه الجروحات وفي بدني اضعاف اضعافها قال وكشف لنا عن اكثر جسده فاذا به امر عظيم لم يرَ مثله في بشر قط قال وكان في اجلي تاخير فرميت نفسي بين القتلى لا يشك في تلفي قال فلما كان بعد ساعة افقت فوجدت في نفسي قوة والعطش بي شديد فلم ازل اتحايل حتى قمت اطلب من القافلة قدح ماء لاشرب منها فلم اجد احداً ورايت من القتلى والمجروحين الذين هم في آخر رمق وسمعت من انينهم ما اضعف نفسي وايقنت بالتلف وقلت غاية ما اعيش الى ان تطلع الشمس فملت اطلب شجرة او محلا لاجعله ظلا لي من الشمس اذا طلعت فاذا بي قد عثرت بشيء عظيم لا ادري ما هو من الظلمة واذا انا منبطح عليه بطولي وطوله فثار من تحتي فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الاعراب فاذا هو اسد فحين علمت ذلك طار عقلي وقلت ان استرخيت افترسني فعانقت رقبته بيدي ونمت على ظهره والقيت بطني بظهره وجعلت رجلاي تحت مخصاه وكانت دمائي تجري فحين دخلني ذلك الفزع الشديد رقي دمي وعلق شعر الاسد بافواه الجروحات فصار سداداً لها وعوناً على ان امسك نفسي فوقه وورد على الاسد مني اظرف ما ورد علي منه فاقبل يجري كما تجري الفرس على طريق واحد وانا احس بروحي وأعضائي تتقصف من شدة جريه فلم أشك في انه يقصد اجمته فيلقيني الى لبوته فتفترسني الا انى ضبطت نفسي وانا أؤمل الفرج وادافع الموت وكلما هم الاسد ان يربض ضربت مخصاه برجلي فيطير وانا أعجب من نفسي ومطيتي وادعوا الله عز وجل وارجوه وما زلت على ذلك الى ان ضربني نسيم السحر فقويت نفسي وأقبل الفجر يضيء فتذكرت طلوع الشمس فجزعت ودعوت الله عز وجل فما كان اسرع من ان سمعت صوتاً ضعيفاً لا ادري ما هو ثم قوى فشبهته بناعورة قال والاسد يجري وقوي الصوت فلم اشك في انه ناعورة ثم صعد بي الاسد الى تل فرأيت منه بياض ماء الفرات وهو جار وناعورة تدور والاسد يمشي على شاطيء الفرات برفق الى ان وجد شريعة فنزل منها الى الماء واقبل يسبح ليعبر فقلت في نفسي ما قعودي لئن لم أتخلص هنا ما تخلصت ابداً فمازلت ارفق حتى

خلصت شعره من افواه جراحاتي وسقطت وسبحت منحدراً واقبل الاسد يشق الماء عرضاً فبينما انا اسبح نظرت جزيرة فقصدتها وحصلت فيها وقد بطلت قوتي وذهب عقلي وطرحت نفسي عليها كالتالف فلم احس الا بحرارة الشمس قد نبهتني فرجعت اطلب شجرة رأيتها في الجزيرة لاستظل بها فرأيت السبع مقعياً على ذنبه بشاطئ الفرات فقل فزعي منه واقمت مستظلاً بالشجرة اشرب من ذلك الماء الى العصر فاذ انا بزورق منحدر فصحت به وحلفت لهم ان ما بالجزيرة احد سواي واومأت لهم الى الاسد وقلت لهم قصتي طريفة طويلة وان تجاوزتموني كنتم انتم قد قتلتموني فالله الله فيّ فرقوا لي ودخلوا اليّ يحملوني فلما صرت في الزورق ذهب عقلي فما افقت الا في اليوم الثاني فاذا على ثياب نظاف وقد غسلت جراحاتي وجعل فيها الزيت وادوية وانا بصورة الاحياء فسألني اهل الزورق عن حالي فحدثتهم وبلغنا الى هيت فانفذت الى العامل من عرفه خبري فبعث لي من يحملني اليه فتوجع لي وقال ما اظن أنك افلتّ فالحمد لله فحدثته كيف نجيت فعجب وقال بين الموضع الذي قطع عليكم وبين الموضع الذي حملك أهل الزورق منه مشاق أربعين فرسخاً على غير محجة فاقمت عنده أياماً ثم اعطاني نفقة وثياباً وزورقاً فجئت الى بغداد فكنت اتعالج عشرة اشهر حتى صرت هكذا ثم خرجت وقد افتقرت وانفقت جميع ما كان في بيتي فلما اقمت بين يدي الوزير رق لي واطلق لي مالاً واخرجني اليكم * حدثني علي ابن تضيف المعروف بشهدابخه وسعيد بن عبدالله السمرقندي الفقيه عن شخص حدثهما انه بات في سطح خان في بعض الاسفار ومعه رجل وزوجته وقرد له فنام الناس واخذني الارق فلما هدأت العيون رأيت القرد قد قلع المسمار الذي فيه السلسلة ومشى نحو المرأة ولم اعلم مايريد فقمت فرآني القرد فرجع الى مكانه ثم فعل ذلك دفعات وانا اقوم فلما طال الامر جاء اليّ وفتح خرجاً واخرج منه صرة دراهم ظننت ان فيها اكثر من مائة درهم ورمى بها الى فعجبت من ذلك وقلت في نفسي امسك لانظر ما يفعل فجاء الى المرأة فمكنته من نفسها فواقعها فاغتممت بتمكيني اياه من ذلك وحفظت الصرة فلما كان في الغد صاح صاحب القرد يطلب ما ذهب منه وقال لصاحب الخان ان قردي يعرفني من اخذ هذه الصرة فتقفل باب الخان واقعد انا وانت ويخرج الناس فمن علق به القرد فهو خصمي ففعل ذلك واقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فما تعرض لي فوقفت خارج الخان انظر ما يجري فلما لم يبق أحد خرج رجل يهودي فتعلق به

القرد فقال القراد هو خصمي وجذبه ليحمله الى صاحب الشرطة فلم استحل حينئذ السكوت فقلت يا قوم ليس اليهودي صاحبكم وانما انا صاحبكم والصرة معي ولي قصة طريفة في اخذها واخرجتها وقصصت عليهم القصة فحملنا الى صاحب الشرطة وحضرت الصرة فعرفوا صاحب الشرطة محلي ومنزلي ويساري واقبل القراد يحيد عن القرد فما برحت حتى امر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت المرأة فهربت وسلم اليهودي * حدثني الحسن بن صافي مولى محمد ابن المتوكل القاضي قال حدثني غلام كان ابق مني قال اني كنت اسير ماشياً في وسط بغداد فلما صرت بين دير العاقول والسيب وانا وحدي في يوم صائف له ريح شديد رأيت بالبعد مني غيطة عظيمة قد خرج منها سبع فحين رآني وحدي اقبل يهرول اليَّ فذهب على امري وايقنت بالهلاك وتحذر بدني كله والهمت ان آخذ مندبلي واحمله في رأس قصبه كانت معي ظنا اني اقرعه بذلك وبينا انا في تلك الحال من الاياس وبقي بيني وبينه نحو المائتي ذراعاً اذ قلع الريح اصل حشيش يقال له بارق عينه وصار يلتف بالشوك حتى بقي كالكارة العظيمة والريح تدحرجه نحو السبع وبالقضاء تمكنت منه وصار خفيف شديد فحين رآني السبع وسمع الصوت رجع منصرفاً وقد فزع فزعاً شديداً وبقي يحول وجهه في كل عشر خطوات فاذا رآني وذلك الاصل في اثره يتدحرج يزيد في الجري الى ان بعد عني بعداً شاسعاً ودخل الغيطة وعادت الى نفسي ومضيت في طريقي * حدثني القاضي ابو بكر احمد بن سيار قال حدثني شيخ من اهل النير ومكران رأيته بعمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته بالبحر وانه دخل الهند والصين قال كنت ببعض البلدان بالهند وقد خرج على ملكها خارج فانفذ اليه الجيوش فطلب منه الامان فأمنه فسار ليدخل الى بلد الملك فلما قرب اخرج الملك جيشاً لتلقيه وكذا الآلات وخرجت العامة تنظر دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس ينتظرون طلوع الرجل فطلع وهو راجل في عدة رجال من اصحابه وعليه ثوب حرير ومئزر وفي وسطه جري على زي القوم والجري مدية معووجة الرأس من سلاح الهند فتلقوه بالاكرام ومشوا معه حتى انتهوا الى فيلة عظيمة قد اخرجت للزينة وعليها الفيالون ومنها فيل يخص الملك نفسه وركبه في بعض الاوقات فلما قرب منه قال له الفيال تنح عن طريق الفيل فسكت عنه فاعاد عليه الفيال القول فسكت فقال يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له الخارجي قل لفيل الملك يتنحى عن طريقي

فغضب الفيال واغرى الفيل به بكلام كلمه به فغضب الفيل وعمد الي الخارجي فلف خرطومه عليه فقبض الخارجي بيده على الخرطوم وشاله الفيل اشالة عظيمة والناس يرون وانا فيهم وخبط به الارض فاذا هو قد انتصب قائماً على قدميه فوق الارض ولم ينح يده عن الخرطوم فزاد غضب الفيل فاشاله اعظم من تلك وعدا ثم رمى به الارض فاذا هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه منتصباً قابضاً على الخرطوم فسقط الفيل ميتاً لان قبضه الخرطوم تلك المدة كانت على النفس فقتله قال فوكل به وحمل الى الملك وحدث بالصورة فامر بقتله قال فاجمعت القحاب (بهذا اللفظ وهن النساء الفواجر يفعلن ذلك بالهند ظاهراً عند البر تقرباً اليه بذلك عندهم قال وهن العدول يشهدن في الحقوق ويقمن الشهادة فيقطع بها حاكمهم في سائر الامور ريعترض في الآراء لان عندهم انهن بذلن انفسهم عند البر بغير اجر وقد صرن في حكم العباد الزهاد) فقال القحاب للملك نحب ان تستبقي مثل هذا فان فيه جمالاً للملك ويقال ان للملك خادماً قتل فيلاً بقوته وحيلته من غير سلاح فعفى عنه * عن ابي بكر محمد سهل الشاهد الواسطي القاضي قال اخبرني وكيلان ثقتان كانا في صنبعتين بنواحي الحامدة ونهر جعفر قالا خرجنا مع صناع عندنا الي اجمة نقطع قصباً فرأينا شبلاً كالسنور فقتله اخذ قطاعي القصب نقالوا قتلنا الشبل والساعة يجيء السبع واللبوة فاذ لم يرياه طلبانا ونحن نبيت في الصحراء بين القصب فيفترسانا قال فما كان باسرع من ان سمعنا صوت السبع فطرنا على وجوهنا واجتمعنا الى دار خراب خارج الاكمة وعلونا على سطحها وكان فيها غرفة عليها باب كنا نأوي اليها ليلاً فلما راى السبع ولده قتيلاً قصدنا فصار معنا في صحن الدار الخراب وكان بين يدي الغرفة صحنين فاخذ السبع يظفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولى وعلا فكه في الصحراء وصاح فجاءته اللبوة فظفرت مثله فما وصلت نفرجا وصاحا فاتاهما عدة سباع اخرى من السباع فظفروا فما قدروا على الوصول فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضع عشرة سبعاً وكلما جاء واحد منهم ظفر الينا فلم يبلغنا ونحن كالموتي خوفاً من ان يصل الينا واحد منهم فبينما نحن كذلك اذ اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجعلت افواهها في الارض وصاحت صيحة واحدة فرأينا حفرة قد احتفرت في التراب من انفاسها فما كان الا ساعة حتى جاء سبع اسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع كلها و بصبصت بين يديه وحوله فجاء يقدمها وهي خلفه حتى رآنا في الغرفة وكنا قد اغلقنا الباب واجتمعنا كالحلقة

لتدفعه عن الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض الواحه وادخل حجره الينا فعمد احدنا الى ذنبه وقطعه بمنجل كان معنا فصاح صيحة عظيمة منكرة وهرب فرمى بنفسه الى الارض فلم يزل يخمش السباع الباقين من بين يديه وهام في الصحراء وتبعه الباقون ونزلنا نحن لما لم يبق منها شيء فلحقنا القرية واخبرناهم خبرنا فقال لنا شيخ منهم هذا السبع مثل الجرذ العتيق اذ قطع ذنبه ياكل الفار * حدثنا قاضي القضاة ابو السايب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمدان قال كان رجل من اهل اذربيجان له على رجل دين فهرب منه وطالت غيبته فلقي الدائن المدين بعد مدة في الصحراء منفرداً فقبض عليه وطالبه فحلف بالله انه معسر وسأله الانتظار وقال لو اني ايسر الناس لما تمكنت هنا من دفع شيء اليك فابى عليه واخرج قيداً كان معه ليقيده حتى لا يهرب فتضرع اليه وسأله ان لا يفعل وبكى فلم ينفعه ذلك فقيده بالقيد ومشى الى القرية بقرب الموضع الذي التقيا فيه فجاءها مساء وقد اغلق اهلها سورها واجتهدا في فتحها لهما فابى اهل القرية ذلك عليهما فباتا في مسجد خراب على باب القرية وادخل صاحب الدين رجله في حلقة من حلقتي القيد حتى لا يهرب فجاء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجرّه فانجرّ المدين معه بسبب الحلقة التي في احدى رجليه فلم يزل ذلك حاله الى ان فرغ السبع من اكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركبة صاحب الدين في القيد فحملها الرجل مع قيده الى اهل القرية واخبرهم الخبر فحلوا قيده وسار لحال سبيله * حدثني ابو جعفر ابن مسعود بن عبدالله الضبيّ ان شيخاً من التنّا البصريين كان قد انتقل عنها الى قرية له وضيعة بقرب نهر الدين فاستوطنها قال كان في هذا البستان واشار الى بستان بجانب داره كثيرة الاشجار افعى تسمى الجراب لانها كانت بقدر الجراب الكبير طولاً وسعة وانتفاخاً فكثرت خيانتها حتى اخربت عليّ هذه الضيعة فانتقلت عنها الى الجانب الآخر من النهر وبطلت ضيعتي وصار هذا البستان كالاجمة لا يجسر احد على دخوله فطلبت حوّاء من البصرة ليصيده وبذلت له على ذلك بذلاً فجاء الحوّاء فتبخر بدخنة معه فظهرت الافعى فحين رآها هاله امرها وقصدته الافعى فنهشته فتلف في الحال فصار لي حديث بذلك وشاع الخبر فامتنع الحواؤن من المجيء وتغربت عن الضيعة وبطلت معيشتي فيها وذات يوم كنت جالساً في النهر الآخر اذ جاءني رجل فسلم عليّ وقال بلغني خبر افعى عندك قد قتل فلان الحوّاء واخرب عليك ضيعتك فجئت لاتدلى عليك

حتى آخذه فقلت ما احب تعرضك لهذا وقد صار لي بتلف ذاك الحواء ذكر فقال ان ذلك الحواء كان اخي وانا اريد اخذ ثاره او اللحوق به قلت تُشهد على نفسك اهل الانهار المجاورة ان هذا باختيارك لا بمسألة لي في ذلك قال نعم ففعل واريته البستان قال اريد شيئاً آكل فجئناه بطعام فاكل ثم اخرج دهناً كان معه فطلى به جميع بدنه وقال لغلام كان معه انظر هل بقي موضع من غير ما اطليه فقال له الصبي لا فجلست انا فوق السطح الذي كان في داري انظر فاخرج الحواء دهنه فتبخر بها فما كان بأسرع من ان ظهر الافعى كانه دن فحين قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فلحقه وقبض عليه فالتفت الافعى وعضت يده فتركه الحواء وذهب عليه امره فجئناه وحملناه فمات في الليل وانقلبت الناحية بحديث الافعى ومضى على هذا مدة فجاءني رجل يشبه الرجل وسألني عما سألني عنه الاخوان فاخبرته بالخبر فقال الرجلان اخواي ولا بد لي ان آخذ بثارهما او اكون اللاحق بهما فاشهدت عليه واريته الموضع وصعدت الى السطح فشرب هذا اقداحاً كثيرة واخرج دهناً كان معه وطلى به دفعات وكل مرة يسأل غلامه فيقول هل بقي موضع لم يبلغه الطلا فيقول له الغلام اعد الطلا فيعيده حتى طلا نفسه ثلاث دفعات وصار الدهن يسقط عن بدنه ويخر فخرج الافعى فطلبه الحواء فاخذ الافعى يحاربه ومكن الحاوي يده من قفاه فانثنى عليه فعض ابهامه فبادر الحواء فخرم فاه وجعله في سله واخرج سكيناً وقطع ابهام نفسه وغلا زيتاً وكواها به وخر كالتالف فحملناه الى القرية فاذا بصبي من غلماني اتاني بليمونة وكان اذ ذاك قليلاً بالبصرة جداً وعندي شجرة واحدة فحين رأى الليمون قال يا سيدي هذا موجود عندكم قلت نعم قال اغثني بكل ما تقدر عليه فانا نعرفه في بلدنا انه يقوم مقام الترياق فقلت واين بلدك قال عمان فأتيته بكل ما كان عندي فاقبل يقصمه ويسرع في اكله وعمد الى بعضه فاستخرج منه ماء واقبل يتحسى منه ويطلي به الموضع فاصبح في غد معافى سالماً فسألته عن خبره قال ما خلصني بعد الله عز وجل الا ماء الليمون واظن ان اخواي لو اتفق لهما ذلك ما تلفا فقلت له ذلك الدهن الذي طليت به نفسك ماهو قال الطلق الذي لو طرح على الجسم لا يكون فيه خلل وما ضرت النار الجسم وانما تلف اخواي لان بعض ابدانهما خلا من الطلا وجف بعض الدهن فقلت وكيف تمكن منك الحية قال لطول الوقت جف بعض الدهن فتمكن مني ولولا الليمون لتلف فتعلمت منه استخراج ماء الليمون وكنت اول من استخرجه بالبصرة ونبه الناس على منافعه وجربته

في الطبخ فوجدته طيباً وتداولته الناس قال ثم اخرج الافعى فقطع راسه وذنبه وغلاه في طنجير واستخرج دهنه وجعله في قوارير وانصرف * حدثني عبد الوهاب بن محمد مهدي المعروف باحمد بن ابي سلمة الشاهد الفقيه المتكلم العسكري في سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة بعسكر مكرم انه شاهد رجلاً مفلوجاً حمل من اصفهان الى عسكر مكرم ليعالج قال فطرح على باب خان في الجانب الشرقي منها قد هجر وفرغ منه اكثر العقارات لكثرة العقارب والجرارات فيه وفي خانين بجواره وطلب له موضع ليسكنه فلم يوجد الا في هذا الخان فانزله غلمانه فيه وهم لا يعلمون حالته وانه اخلي لكثرة الجرارات فيه وصعد اصحاب الرجل الى السطح وتركوه في اسفله لما وصف لهم ان المفلوج لا يبيت على السطح قال فلما كان في الغد دخلوا عليه فوجدوه جالساً وكان طريحاً لا يمكنه ان ينقلب من جنب الى جنب ووجدوا له لساناً فصيحاً وكان متكسراً بالعلة حتى ان الرجل مشى من يومه ذلك فاحضر بعض الاطباء وسأل عن حاله ففتشه فوجد اثر لسع الجرارة في ابهام رجله اليسرى فقال له انتقل الساعة من هذا الخان فانه مشهور بكثرة الجرارات وقد لسعتك واحدة منهن فابرأتك وعشت بشيء ما عاش به احد قط وقامت حرارتها ببرد الفالج فازالته ولم تتجاوزه فتقتلك وسيعقب ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى اعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع اليك رطوبة الفالج وانتقل لئلا تلسعك اخرى فتتلف فانتقل الرجل وتعاهده الطبيب فحمّ المفلوج من غد فلطف به في علاجه حتى برأ * حدثني عبيدالله بن محمد بن الصروي قال كنت اتصرف مع المختار ابن الغيث بن حمران احد قواد بني عقيل فسار وانا في جملته مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع يطلب ناصر الدولة وصار العسكر منتشراً سائراً بعجلة وكان تحتي حجرة فصرت في اخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي ثم وردت الدابة ماء كان في الطريق وحمر ولم يمكنه ان يسير خطوة واحدة فخفت ان يدركني من يأسرني فنزلت عنها امشي وفي عنقي سيف بحمائل والمقرعة في يدي فسرت فراسخ حتى صعدت جبل سنجار وكنت احتاج ان امشي فيه نحو الفرسخ ثم انزل الى سنجار فاحتبسني الليل واستنفذ المشي جلدي فخفت الوحوش في الجبل فطلبت موضعاً اسكن فيه ليلتي فلم اجد ورأيت جباباً منقورة في الجبل فطلبت اقربها قعراً ورميت فيه بحجر فظننت ان قعره قامة او نحوها فرميت بنفسي فيه وكان البرد شديداً فنمت ليلتي لا اعقل من التعب والجوع فلما كان من الغد انتبهت وعندي ان الجب

محفور كالآبار واني اضع رجلاي في جوانبه فاتسلق واطلع فتأملت فاذا هو محفور كالتنور راسه ضيق واسفله شديد السعة وجوانبه منقوشة فقمت في وسط الجب فاذا هو اعلى من قامتي فتحيرت في امري ولم ادر كيف السبيل الى الصعود وطلعت الشمس واضاء الجب واذا فيه افعى مدور كالطبق بين حجرين وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر ولم يتحرك من مكانه وهممت ان اجرد السيف واقطعه به ثم قلت اتعجل شرًّا لا ادري عاقبته ولا منفعة لي في قتله لاني سأتلف في هذه البئر وهي قبري فما معنى قتل الافعى اعله فلعله ان يبتدىء بالنهش فاتعجل التلف ولا ارى نفسي تخرج بالجوع والعطش فاقمت يومي كله على ذلك والافعى لم تتحرك وانا ابكي وانوح على نفسي وقد يئست من الحياة فلما كان من الغد اصبحت وقد ضعفت فحملني حب الحياة على الفكر في الخلاص فقمت وجمعت من الحجارة الرقيقة شيئًا كثيرًا ووضعتها في وسط الجب وعلوتها لتنال يدي طرف البئر فاحمل نفسي الى راسها فحين وضعت رجلي على الحجارة انهالت لرقتها وملاستها فلم اعد عملها وامضيت يومي كله وانا مشتغل البال وجاء الليل فلم يمكني ان اقوم من الجوع والضعف ثم حملني النوم فلما كان من الغد فكرت في حيلة اخرى ووقع لي ان شددت المقرعة التي معي بعلاقتها في حمائل السيف ودليت المقرعة الى داخل البئر وقد امسكت باحدى يدي فحصل جفن السيف فوق الجب معترضًا لرأسه وهي مدلاة اليّ ثم سللت السيف ولم ازل اقلع من ارض البئر ما يمكن تحته وقلعه من تراب قليل ثم غيبت ذلك الرضراض وتعلقت على السيف المعترض وطفرت وصار السيف معترضًا في جفنه تحت صدي وظهرت يداي في البئر فحصل جوانبها تحت ابطي واستللت نفسي فاذا انا قد خرجت منها بعد ان اعوج السيف وكاد يندق ويدخل في بطني لثقلي عليه فوقفت خارج البئر مغشياً عليّ من هول ما نالني ووجدت اسناني قد اصطكت وقوتي قد بطلت عن المشي فما زلت احبو واطلب المحجة حتى وقفت عليها ورآني قوم مجتازون فأخذوا بيدي وقوى قلبي فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار وقد بلغت روحي الى حد التلف فدخلت مسجداً فطرحت نفسي فيه وانا لا أشك في الموت وحضرت صلاة المغرب واجتمع اهل المسجد فيه وسألوني عن خبري فلم يكن فيّ مقدرة على الكلام فحملوني الى بيت أحدهم ولم يزالوا يصبون على حلقي الماء ثم المرق والثريد الى ان فتحت عيني بعد العتمة فتكلمت وبت ليلتي بحال عظيم من الالم فلما كان من الغد دخلت الحمام وأقمت عندهم اياماً حتى برأت واخرجت

نفقة كانت في وسطي فاستأجرت منها مركوباً ولحقت بصاحبي وسلم الله عزوجل
* عن ديسم بن ابراهيم بن شاذلويه المتغلب كان باذربيجان لما ورد حضرة سيف
الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر السلاد لما هربه عنها قال ان بناحية
اذربيجان وادياً يقال له الرأس شديد جرية الماء جدًا وفي أرضه حجارة كثيرة بعضها
ظاهر من الماء وبعضها مغطى بالماء وليس للسفن فيه مسلك وله اجراف هائلة وبه
قنطرة يجتاز عليها المارة قال كنت مجتازاً عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة
رأيت امرأة تمشي وتحمل ولداً طفلاً في القماط فزاحمها بغل محمل فطرحت نفسها
على القنطرة فزعاً فسقط الطفل من يدها الى النهر فوصل الى الماء بعد ساعة لبعد
مابين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم رأينا الصبي قد
طفا على وجه الماء وقد سلم من تلك الحجارة وكان الموضع كثير العقبان ولها اوكار في
اجواف ذلك النهر ومنها يصاد افراخها قال فحين ظهر الطفل في قماطه صادف ذلك
عقاباً طائراً فرآه فظنه طعمة وانقض عليه وشبك مخالبه في القماط وطار به وخرج
الى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة ان يركضوا وراء العقاب ففعلوا
وتبعتهم بنفسي لمشاهدة الحال فاذا العقاب قد نزل الى الارض وابتدأ يمزق قماط الصبي
ليفترسه فحين رأوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبي فطار وتركه على
الارض فلحقنا الصبي فاذا هو سالم ماوصل اليه جرح وهو يبكي فقايأناه حتى خرج
الماء من جوفه وحملناه سالماً الى امه * حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر
الكاتب المعروف بالحاتمي قال رأيت بمصر رجلاً يعرف بابن التمساح فسألت جماعة من
اهل مصر عن ذلك فقالوا هذا وطيء التمساح أمه فولدته فكذبت ذلك وبحثت عن
الخبر فأخبرني جماعة من عقلاء اهل مصر ان التمساح بها يأخذ الناس في الماء من
الشطوط القريبة فيفترسهم وربما أخذهم الى جباله وهي جبال حجارة فيها مفازات
الى النيل لايصل اليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيتسلق التمساح الى
بعض المغارات فيودع بها الانسان الذي أخذه حياً او ميتاً بحسب الاتفاق ويتركه
ويذهب فاذا جاع ولم يظفر بشيء عاد اليه فيفترسه فمرة واحد منهم قبض على امرأة
وجعلها في المغار فذكرت المرأة انها حين استقرت في المغار وانصرف التمساح رأت
رجلاً حياً وأثر جماعة قد افترسهم التمساح وانها قد سألت الرجل عن أمره فذكر
ان التمساح تركه هنا منذ يومين قالت وأخذ الرجل يؤانسني الى ان طابت بنفسي

فقلت ياهذا اتق الله فقال التمساح قد مضى ومن ساعة الى ساعة فرج ولعله ان يجتاز بنا سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا اليها ونتجو فوعظته ولم يلتفت الى كلامي واغتصبني فواقعني ولم ينزل عني حتى جاء التمساح واخذه من فوقي ومضى فبقيت كالميتة فرعاً فاني لكذلك اذ سمعت وقع حوافر الخيل وصليل لجم وصوت اقوام كثيرين فاخرجت راسي من الغار وصحت واستغثت فاطلع بعضهم وقالوا ما أنت قلت حديثي طويل ارمو اليَّ حبلاً فشددت نفسي وجذبوني فصرت معهم على ظهر المغار بعد ان توهمت وانسلخ بعض جلدي فسألوني عن خبري فأخبرتهم حديث التمساح فاركبوني شيئاً حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حيضى تأخر عني ثم ظهر الحمل فولدت ابني هذا بعد تسعة اشهر وكرهت ان اخبر الناس بالحديث فنسبته الى التمساح * حدثني ابو القاسم بن الاعلم العلوي الفيلسوف قال خرجت من بغداد أريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمرو قرية من الكوفة افضيت الى اجمة هناك وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكباً حماراً وورائي بمسافة قريبة غلام مملوك لي راكب بغلة فلما وصلنا للاجمة رأيت ممشاة دقيقة في وسط الاجمة وعليها المسلك ويوصل اليها بهبوط فرمت النزول اليها فوقف الحمار من تحتي فضربته ضرباً شديداً فلم يبرح فالتفت الى كفله اتأمل مابقوائمه فوجدت اسداً واتفاً بينه وبين كفل الحمار نحو ذراع واقل واذا بالحمار عند ماشم رائحته اصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه في الارض ولم يتحرك فلم اشك في التلف وان الاسد سيمد يده فيجذبني من على الحمار فغمضت عيني لئلا ارى كيفية وجودي في مخالبه وفمه واقبلت اتشهد واقرأ ومع هذا اجد عقلي ثابتاً ومتصوراً لهيئة الاسد ولم يفدني التغميض شيئاً فاستدرت اليه وفتحت عيني في عينه واقبلت اتشهد خفياً والاسد فاتح فاه وانا اتأمل اسنانه ويصل الى انفي من فمه روائح منتنة واني لكذلك اذ لحقني الصبي المملوك على البغلة ومعه رجل ركب دابة ووراءهما قوم مشاة فحين رآني والاسد على تلك الصورة جزع جزعاً شديداً وصاح بأعلى صوته يامعشر المسلمين ادركونا فقد افترس الاسد مولاي فحين سمع الاسد الصياح من ورائه التفت فرأى الصبي فتناوله من على سرجه وغار البغل وصار الصبي في فم الاسد كالفارة في فم السنور وانا كالميت الا اني ارى كل شيء واقبل الاسد يحمل على راكب الدابة والمشاة والصبي في فمه فهربوا منه ودخل الاجمة فقلت في نفسي قد فداني الله عزَّ وجلَّ بمملوكي فرميت نفسي من على الحمار وسرت اعدو حتى تلقاني قوم قد جاؤا من الكوفة ورأوا فزعي فسألوني

عن امري فاخبرتهم فتقدموا يطلبون الاسد وردت الي روحي فزدت في الجري الى ان خرجت من الاجمة ولحقتني الرفقة الذين كنت معهم وقد احضروا البغلة التي كانت تحت مملوكي وساقوا الحمار فركبت ودخلت الكوفه قال وكان هذا يوم الثلاث غرة المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فصمت يومي واعتقدت ان اصومه ابداً فانا كل يوم ثلاثاء صائم الى الآن وجاء ابو علي عمر بن يحيى وهنائي بالسلامة وبقدومي وقد كان خبري شاع وقال في جملة كلامه كيف خفت الاسد او ماعلمت أن لحومنا بني فاطمة محرمة على السباع فقلت له مثل سيدنا اطال الله بقاه لا يقول مثل هذا وما الذي كان يؤمنني ان يكون هذا الخبر باطلاً فاتلف وكيف كانت نفسي مع طبع البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت مع احتمال هذا الحديث قال ولم لا نطيق وكيف يجوز ان يكون هذا الخبر باطلاً مع ما روينا من خبر زينب الكذابة مع علي بن موسى الرضا رضى الله عنه قال فقلت له بلى قد رويت ذلك ولكن لم يحضرني فكري من هذا شيء في تلك الحال قال مؤلف الكتاب فقلت انا لابي القاسم الاعلم وما خبر زينب الكذابة فاني ما سمعته قال هذا خبر مشهور عند الشيعة يروى باسناد لهم لا أحفظه ان امرأة يقال لها زينب ادعت انها علوية فجيء بها الى علي بن موسى الرضا رضي الله عنهم فدفع نسبتها فخاطبته بكلام دفعت به نسبه ونسبته الى مثل مانسبها له من الادعاء وكان ذلك بحضرة الخليفة فقال الرضا اخرج انا وهذه الى بركة السباع فاني رويت عن آبائي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لحوم ولد فاطمة رضي الله عنها محرمة على اكل السباع فمن اكلته السباع فهو دعي فقالت المرأة لا ارضى بهذا ودفعت الخبر فاجبرها السلطان على ذلك فقالت فلينزل هو قبلي فنزل الرضا رضى الله عنه بركة السباع بمحضر من خلق عظيم فلما رأته السباع اقعت على اذنابها فدنى منها ولم يزل يمسح راس كل واحد منها ويمرّ بيده الى ذنبه والسبع يبصبص له حتى أتى على آخرها ثم ولى وكرهت المرأة النزول وابته فأجبرت على ذلك فحين نزلت وثب عليها بعض السباع فافترسها ومزقها فعرفت بزينب الكذابه * وروي عن جماعة من شيوخ البحرين الذين ترددوا الى بلد الهند انهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة ان رجلاً كان معاشه صيد الفيلة قال استخفيت مرة في شجرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تجتاز بها الفيلة من شرائع الماء التي تردها الى مرتعها فاجتاز بي قطيع منها وكانت عادتي ان ادع القطعان تجوز الى ان يبلغ آخر فيل فارميه بسهم مسموم في بعض مقاتله فتفزع الفيلة وتمضي فاذا مات المجروح نزلت

فانتلعت انيابه وسلخت جلده وأخذت ذلك وبعته في البلاد فلما اجتاز بي هذا القطيع رميت آخر فيل كان فيه نخر فاضطربت الفيلة واسرعت اليه فاذا اعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل السهم والجرح ورجعت معه الفيلة ووقفت بوقوفه فما زال قائماً والفيل المجروح يضطرب الى ان مات فضج ذلك الفيل ضجيجاً عظيماً وضجت الفيلة ثم انتشرت في الغيضة ففتشوها شجرة شجرة فأيقنت بالهلاك وانتهى الفيل الاعظم الى الشجرة التي انا فيها واتكأ عليها فاذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها وسقطت الشجرة الى الارض فلم اشك ان الفيل سيدوسني فاذا به تدجاء حتى وقف يتأملني واجحمت الفيلة عني فلما رآني الفيل الاعظم ونظر الى قوسي وسهامي لف خرطومه فلواه عليّ وانزلني الى الارض واخذ يومئ بخرطومه الى ثعبان كان هناك برفق وتمالق فسددت سهماً الى الثعبان ورميته فأصبته وتابعت رميه فانصرف مثخناً فتقدم الفيل اليه فداسه ثم عاد فأخذني بخرطومه وحطني على ظهره وجعل يهرول والفيلة خلفه فجاء الى غيطة لم اكن اعرفها اعظم من تلك التي أخذني منها فاذا هي فراسخ وفيها فيلة ميتة لايحصيها الا الله عز وجل واكثرها قد بلي جسده وبقيت عظامه فما زال يتتبع الانياب ويجمعها ويومئ الى فيل فيجيء اليه فيعبي عليه ما يمكنه ان يعبيه عليه من ذلك الى ان لم يدع هناك ناباً الا جمعه وأوقر تلك الفيلة ثم اركبني على ظهره وأخذ بي على طريق العمارة واتبعته الفيلة فلما شارف القرى أومى الى الفيلة فطرحت احمالها حتى لم يبق منها شيء ثم انزلني بخرطومه برفق وتركني عند الانياب وقد صارت تلاً عظيماً هائلاً فجلست عندها متعجباً من سلامتي ورجع الفيل يريد الصحراء ورجعت الفيلة برجوعه وأنا لا أصدق بسلامتي ولا بما شاهدت من عظم قطنة الفيل وذكائه فلما غابت الفيلة عن عيني مشيت الى اقرب القرى مني واستأجرت خلقاً كثيراً حتى خرجوا معي وحملوا تلك الانياب في أيام وما زلت ابيعها في تلك المدة حتى حصل لي مال عظيم كان سبب يساري وغناني عن صيد الفيلة * عن مروان بن شعيب العدوي عن عدي بن ربيعة قال كنت في حداثتي شديد القوة وكانت عندي زوجة لي من عبد القيس ببلدة منارة وهي قريبة من تل أهواز على أربع فراسخ وعندي قوم من أهل المرأة ونحن نشرب فتفاخرنا حتى انتهينا الى تجريد السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية وبدر لساني ان حلفت بالطلاق ان لا أبيت بمنارة فخرجت منها أريد منزلي بتل اهواز ومعي سيفي وحجفتي وكان ذلك ليلاً فسرت في الطريق وحدي وبلغت الى اجمة لابد من سلوكها

فلما سرت فيها قليلاً سمعت ضجة من ورائي فبيحة فجردت سيفي ورجعت اطلب الصوت فوجدت أسداً قد افترس رجلاً وهو الذي صاح وهو في فم الاسد عرضاً بثيابه فصحت في الاسد فرمى الرجل ورجع الي فقاتلته ساعة ثم وثب علي وثبة شديدة فلطيت الارض ثم جمعت نفسي في حجفتي فلشدة وثبته جازني فصار ورائي فأسرعت الوثوب وبعجته بالسيف في فمه وكان سيفاً ماضياً فدخل في فيه وخرج من لحيته فخر صريعاً يضطرب فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف وعدت الى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل فحملته الي الجادة وكانت ليلة مقمرة وتأملته فاذا هو تاجر من تل اهواز اعرفه فلم تطب نفسي بتركه أصلاً فجعلته عند الجادة وعدت فأخذت رأس السبع وحملته والرجل وحصلتهما في صيغة كانت عليَّ والصيغة ازار أحمر يتشح به العرب في تلك الناحية وكان الاسد في خلال قتالي قد ضرب فخذى بكفه فأحسست به في الحال كغرز الابرة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت أمشي حاملاً لرأس الاسد والرجل احسست بالالم ورأيت الدم يجري وقوتي قد ضعفت فصبرت نفسي حتى بلغت تل اهواز وقد اصبحت فتكر اهل القرية الجراح وسألوني عن خبري فالقيت الصيغة التي بها الرجل والرأس فاستهولوا الحال لما حدثتهم بها وفتشوا الرجل فوجدوا في بدنه خدوش كثيرة فأخذوه ورمت ان امشي يسيراً الى منزلي فلم اقدر حتى حملت وكنت أعالج من تلك الجراح مدة وعولج الرجل فبرأ قبلي وهو حي الى الآن يسميني مولاي ومعتق قال وجراحاتي لصعوبتها تنتقض عليَّ في أغلب الاوقات قال صاحب الحكاية وأراني الجرح وكان عظيم الفتح فلم اكن اعلم سبباً لشكرنا وعربدتنا الا نجاة ذلك الرجل من السبع * قال رجل يعرف بعبد العزيز بن الحسن الازدي من تجار القصباء بالبصرة قال كنت يوماً جالساً في القصباء وقد أخرج من النهر قصب رطب فعمل كالقباب على العادة فيما يراد تجفيفه من القصب وكان يوماً صائفاً وكدني الحر فدخلت احدى تلك القباب القصب وهي تكون باردة جدًّا وعادة التجار ان يستكنوا بها فنمت في القبة فلبردها استثقلت في النوم فانتبهت بعد العصر وقد انصرف الناس من القصباء وهي موضع بالبصرة في اعلاها صحراء وبساتين فاستوحشت للوحدة وعملت على القيام فاذا بافعى غليظ الساعد طويل متدور على باب القبة كالطبق ولم اجد سبيلاً الى الخروج ويئست من نفسي وتحيرت وجزعت جزعاً شديداً فأخذت في التشهد والتسبيح والفزع الى الله تعالى واني لكذلك اذ جاء ابن عرس من بعيد فلما رأى

الافعى تأمله ثم رجع من حيث جاء واتى ثانياً ومعه بن عرس آخر فوقف احدهما يتأمله على يمين القبة والآخر على اليسار وصار أحدهما عند رأس الحية والآخر عند ذنبه والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه في آن واحد وعضاه فاضطرب ولم يفلت منهما وجرّاه حتى بعدا عن عيني فخرجت من القبة سالماً * عن الحسن بن علي الانصاري المقري بالرملة وكان فارساً فاتكاً شجاعاً جلداً قال خرجت في قافلة من الرملة صاحبها ابن الحداد وانا على مهر لي وعلى سلاحي فبلغنا في ليلة ظلماء الى واد عميق جدًّا عمقه نحو فرسخ وفي بطنه ماء يجري وعليه شجر كثير وهو مشهور بالسباع والطريق على جنبه في مضيق فازدحمت القافلة فسقط جمل عليه بزّ فرأيت صاحبه يلطم ويبكي وكان موسراً فدعاه ابن الحداد وقال له انت رجل موسر فما هذا الجزع فقال له على الجمل اكثر من عشرة آلاف دينار فنادى في القافلة من ينزل ويخلص الجمل ويرده الى صاحبه وله مايشاء فلم يجسر احد على ذلك فلما كرر النداء اجبته وقلت عجل لي الدنانير فقال لا ولكن اكتب لك بها الساعة كتاباً واشهد من في القافلة فاذا صار الجمل وحمله مع مافيه من المال عندي فالمال لك فكتبنا كتاباً بذلك واشهدنا القافلة واعطيتهم دابتي ورحلي واخذت سيفاً وحجفة وشمعة ودنوت للنزول فرايت منزلاً غرني فاستعجلت بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادي فاذاهو وادمشجر فيه اثر الرعاة والغنم ثم لم اجد طريقاً الى اسفل وكان سبيلي ان ارجع وارتاد المنزل من جهة اخرى فحملني ضيق الوقت والحرص على الدنانير ان جعلت اتوغل وانتقل من شجرة الى شجرة ومن حجر الى حجر حتى حصلت في جنب الوادي على صخرة ملساء كالرف وليس لها الى اسفل طريق البتة فاطلعت بالشمعة فاذا بيني وبين القرار نحو عشرين ذراعاً وفي اسفل الوادى بردي كثيف يجرى بينه الماء وله خرير شديد فاجمعت رأيي على ان القي نفسي واطفأت الشمعة وشددتها مع حمائل السيف مع الحجفة والقيت ذلك في موضع علمته عن يميني ثم جمعت نفسي فوثبت في وسط البردي فوقعت على شيء ثار من تحتي ونقضني بعد ان صاح صيحة ملأ بها الوادى واذا هو اسد فشق الوادى وسعى هارباً فوقف بأذائي من جانب الوادى الآخر فطليت سيفي وحجفتي حتى اخذتهما ووقفت انتظار ان يمشي فأطلب الجمل فأقبل يريدني فمشيت بين يديه في ذلك البردي وهو في أثري يخوض الماء ويشق البردي وانا اخاتله من موضع الى موضع فطلع القمر فأبصرت بناء خفياً فقصدته فاذا هو بيت رحى يديرها

الماء فدخلت فيه ثم فكرت فقلت هذا مأوى السبع والساعة يجيئني فخرجت منه وجئت الى شجرة كبيرة فقطعتها بالسيف من نصف ساقها وجررتها ودخلت بيت الرحى فامتلأ الباب بها وجلست في الداخل وساق الشجرة في يدي فما كان الا مقدار الجلوس حتى احسست بالاسد يزحم الشجرة وهو يروم الدخول فاستندت الى الحائط وامسكت ساق الشجرة أدافعه بها حتى ملني وملته ثم ربض بالباب الى ان اسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى لحال سبيله فأقمت الى ان انبسطت الشمس حتى أمنته ثم خرجت فما زلت اطلب اثر الجمل حتى انتهيت اليه فاذا هو قد تقطع من أثر السقطة والعدلان مطروحان وكانوا امروني بفتقهما واستخراج المال منهما وحمله ان لم اقدر على تخليص الجمل وحمل العدلين ففعلت ذلك وحملت المال على ظهري وطلبت المصعد وقد علت الضحى فصعدت فيه فلما صرت برأس الوادي اذا ببادية مجتازين فقصدوني فمانعتهم عن نفسي بالسيف فلم اطقهم فضربوني بالسيوف فقلت لشيخ رأيته كالرئيس لهم الى الزمام على مامعي حتى اصدقك وانفعك نفعاً كثيراً فقال اصدقني حتى اعطيك الزمام فحدثته بالحديث فأخذوا المال وساروا بي معهم حتى وقفوا على العدلين فاحتملوها وضرب الشيخ يده في المال فحثى منه ثلاث حثوات واعطاها لي فأخذتها وقلت ان هذا لاينفعني ان لم تبلغوني مأمني فاناخ جملاً وحملني عليه وسار بي سيراً حثيثاً حتى أتى بي القافلة على بعد ثم انزلني وقال الحق رفقتك فما عليك من احد بأس فمشيت حتى لحقت القافلة وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي فعرفتهم بما جرى وبما اخذته البادية وكتمتهم ما اعطونيه ودخلنا طبرية فشكوا الى اميرها ابي عثمان مولى بني عقيل فاسرى الى الاعراب فارتجع منهم اكثر المال والثياب ورده الى صاحبه وكنت انا لما دخلت طبرية فارقتهم ودخلت مصر ولحقوني وبلغني مارد عليهم فقلت لصاحب المال قد بذلت مهجتي وافلت من الاسد ومن الموت مراراً ومن الاعراب حتى وصل اليك بعض مالك فلا اقل من ان توصلني الى بعض ما كنت قد وعدتني به فاعطاني مائتي دينار فاضفتها الى ما اعطانيه الاعراب فاذا الجميع ستمائة دينار مع السلامة من تلك الشدائد * وجدت أيضاً ان رجلاً وفد على هشام فقال يا امير المؤمنين لقد رأيت في طريقي عجباً فقال وما هو قال بينما اسير بين جبلي طي اذ نظرت فاذا عن يميني اسد كالبغل وعن يساري ثعبان كالجبل وهما مقبلان نحوي ففزعت منهما ورفعت رأسي الى السماء وقلت شعر

يادافع المكروه قد تراهما فنجني يارب من اذاهما
ومن اذى من كادني سواهما لا تجعلن شلوي من قراهما

قال فقربا مني فشماني حتى لم اشك في الموت ثم صدرا عني فنجوت ولله الحمد * بلغني عن قاضي القضاة ابي السايب ولم اسمع ذلك منه قال وافيت من همدان الى العراق وانا فقير وزرت قبر الحسين رضي الله عنه فلما انصرفت اريد قصر بن هبيرة قيل ان الارض مسبعة واشير عليّ ان الحق قرية فيها حصن سميت لي فآوي اليها قبل المساء وكنت ماشياً فاسرعت واتعبت نفسي الى ان لحقت القرية فوجدت باب الحصن مغلقاً فدفعته فلم يفتح لي وتوسلت للقائمين بحراسته بمن قصدت زيارته فقالوا قد اتانا منذ ايام من ذكر مثل ماتذكر فادخلناه وآويناه فكان عيناً علينا للصوص وفتح الباب ليلاً وادخلهم فسلبونا ولكن الحق بذلك المسجد وكن فيه لئلا تمسي فيأتيك السبع فصرت الى المسجد فدخلت بيتاً كان فيه وجلست فلم يكن بأسرع من ان جاء رجل على حمار منصرفاً من الحائر فدخل المسجد وشد حماره في غلق كان في باب البيت ودخل اليّ ومعه كرز فيه خرج فاخرج منه سراجاً فاصلحه وقدح فأوقدها واخرج خبزه واخرجت خبزي واجتمعنا على الاكل فما نشعر الا والسبع قد حصل في المسجد فلما رآه الحمار دخل الى البيت الذي كنا فيه فدخل السبع وراءه فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فاغلقه علينا وعلى السبع وصرنا محبوسين فيه وقدرنا ان السبع لا يفترسنا بسبب السراج وانه اذا انطفى اخذنا واكلنا وما طال الامر ان فني ما كان في السراج من الدهن وطفىء وصرنا في الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من حاله شيء الا اذا تنفس فانا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فملأ المسجد روثاً ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزعاً ثم سمعنا صوت الآذان من داخل الحصن وجاء المؤذن فدخل المسجد فلما رأى مافعله الحمار لعن وشتم وحلّ رسن الحمار من الغلق فمرّ يطير في الصحراء وفتح المؤذن باب البيت لينظر من فيه فوثب السبع اليه فدقه وحمله الى الاجمة وقمنا نحن وانصرفنا سالمين * بلغني عن ابي عيسى محمد بن محمد بن علي بن مقلة قال كنت عند ابي الحسن علي بن عمر بن يحيى العلوي بالكوفة اذ دخل عليه غلام له فقال يامولاي اخذ الاسد فلاناً وكيلنا فانزعج وقال في اي محل فقال في موضع كذا وادخله الاجمة الفلانية فقال العلوي لا اله الا الله في هذا الموضع بعينه اخذ الاسد اباه وادخله الى هذه الاجمة بعينها منذ كذا وكذا سنة فاغتم فاخذنا نسليه فعاد الى شأنه في المحادثة وانا

قاعد احدثه اذ دخل عليه غلمانه مبادرين وقالوا قد نجى الوكيل من الاسد وحضر فما تم كلامه الا ودخل الوكيل فبش له العلوي وسأله عن خبره فقال نعم اخذني السبع كما شاهد من حدثكم وكنت راكباً فحملني بفمه كما تحمل السنور بعض اولادها الا انه ما كلمني فادخلني الاجمة وقد زال عقلي فما اعرف من امري شيئاً الاَّ اني افقت فلم اره ووجدت اعضائي سالمة ووجدت حولي من الجماجم والعظام امراً عظيماً ولم تزل قوتي تعود الى ان قمت فعثرت بشيء فاذا هو همميان فاخذته وشددته على وسطي ومشيت الى ان بعدت عن الموضع فوصلت الى شبيه بوهدة فجلست فيها وغطيت نفسي بما امكنني من القصب بقية ليلتي فلما طلعت الشمس احسست بكلام المجتازين وحوافر بغالهم فخرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل احدهم فلما بعدت عن الاجمة وامنت على نفسي فتحت الهميان فاذا فيه رقعة فتأملتها فاذا هي بخط ابي بأصل ما كان في الهميان من الدنانير وما انفقه فاذا هو همميان ابي الذي كان في وسطه عند ما افترسه الاسد فحسبت الخرج ووزنت الدنانير فاذا هي بازاء مابقي من الاصل مانقصت شيئاً قال واخرج الهميان وفتحه واخرج الرقعة فقال العلوي نعم هذا خط ابيك فعجبت الجماعة من ذلك * بلغني عن رجل من اهل الانبار قال خرجت الى ضيعة لي في ظاهر الانبار راكباً دابة كانت معي ومعي عبد اسود مملوك في نهاية الشجاعة فلما صرنا في بعض الطريق بالقرب من الضيعة اذ نشأت سحابة فامطرت وكان المطر قد ادركنا فملنا الى قباب كانت الاكاسرة تبنيها على الطريق وعلى السابلة فلجأنا اليها وقوي المطر جداً حتى منعنا من الحركة فاشار عليَّ الغلام بالمبيت فقلت له نخاف ويلك اللصوص فقال لي اتخاف وانا معك فقلت فالسبع قال نصيّر الدابة داخل القبة وانت تليها وانا عند الباب واشد وسطي بالحبل الذي معنا واشد طرفه برجلك حتى لا يأخذني النوم فان جاء الاسد اخذني دونك وما زال يحسن لي ذلك الرأي حتى اطعته وملنا الى احد القباب ودخلناها وفعل ماقال فلا والله مامضت قطعة من الليل حتى وافى السبع فاخذ الاسود ودقه واحتمله وجرَّ رجلي المشدودة معه في الحبل ولم يزل يجرّني على الشوك والحجارة والدكادك الى ان صار الى اجمته وانا لا اعقل شيئاً من امري ولا احس باكثر مما يجرى ولا تمييز لي يؤدّيني الى الاجتهاد في حل الحبل من رجلي ثم رمى بالاسود وربض عليه وما زال ياكل منه حتى شبع وترك مافضل منه وليس فيَّ من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب من مكاننا وبقيت زماناً على تلك الحال ثم سكن روعي

وثاب اليّ فهمي ورجعت اليّ نفسي فحللت رجلي من الحبل المشؤم وقمت لادب فعثرت بشيء لا ادري ماهو فاخذته بيدي فاذا هو همیان ثقيل فشددته في وسطي وخرجت من الاجمة وقد قارب الصبح ان يسفر ومشيت الى القبة التي فيها دابتي فاذا هي واقفة بحالها فاخرجتها وركبتها وانصرفت الى منزلي فوجدت في الهميان جملة دنانير فحمدت الله عز وجل على السلامة وبقي الرعب في قلبي والتألم في جسدي

الباب العاشر

﴿ من اشتدّ بلاؤه بمرض ناله * فعافاه الله سبحانه بايسر سبب واقاله ﴾

روى باسناد آخره عثمان بن ابي العاص الثقفي قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً قد كان يبطلني قال فقال لي ياعثمان ضع يدك عليه وقل اعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ هذا الوجع ومن شر ما اجد سبع مرات قال فقلتها فشفاني الله

* وعن ابن جعدية قال مرض ابو عزّة الجمحيّ الشاعر فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه فقال الموت خير من هذه الحياة فاخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في المعدة والمعدة موضع عقبي الراكب من الدابة قال بن الجعدية فمرت الحديدة بين الجلد والصفاف فسال منه ماء اصفر فقال

لاهمّ ربّ نائل ونهـد والمهمات والجبال الجرد
من بعد ماطعنت في معد

قال مؤلف الكتاب كذا في كتاب الطوسيّ والصواب عندي

لاهمّ ورب من يرعى بياض نجد اصبحت عبداً لك وابن عبد
أبرأتني من وضح بجلدي من بعد ما طعنت بها في معد

* حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال كان ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له لبيب العابد لا يعرف الا بهذا وكان الناس ينتابونه وكان صديقاً لابي فحدثني لبيب قال كنت مملوكاً روميًّا لبعض الجند فربّاني وعلمني السلاح حتى صرت رجلاً ومات مولاي وتزوجت بامرأته وقد علم الله اني ما اردت بذلك الا صيانتها واقمت معها مدة

ثم اتفق لي اني رأيت حية داخلة الى حجرها فامسكت ذنبها لاقتلها فالتفت عليّ فنهشت يدي فشلت ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدي الاخرى بغير سبب اعرفه ثم جفّت رجلاي ثم عميت ثم خرست فكنت على هذه الحال ملقى سنة كاملة لم يبق لي جارحة صحيحة الا سمعي اسمع به ما اكره وانا طريح على ظهري ولا اقدر على كلام ولا ايماء ولا حركة اسقى وانا ريان واطعم وانا شبعان واترك وانا جائع فلما كان بعد سنة دخلت امرأة الى زوجتي وقالت كيف ابو علي فقالت لها زوجتي لاهو حيّ فيرجى ولا ميت فيسلى فاقلقني ذلك وآلم قلبي المًا شديداً وبكيت وضججت الى الله عز وجل في سري بالدعاء وكنت في جميع تلك العلل لا اجد المًا في نفسي فلما كان بقية ذلك اليوم ضرب على جسدي ضرباً شديداً كاد يتلفني ولم ازل على ذلك الحال الى ان دخل الليل وانتصف وخف الالم قليلاً فنمت فما احسست الا وقد انتبهت وقت السحر واحدى يداي على صدري فتعجبت من ذلك في نفسي وقلت كيف صارت يدي على صدري ومن رفعها اليه وكانت طول هذه المدة مطروحة على فراشي لا ترفع الا ان شالها احد لي ثم وقع في قلبي تحريكها فتحركت ففرحت فرحاً شديداً وقوي طمعي في فضل الله عز وجل بالعافية فحركت الاخرى فتحركت فقبضت احدى رجليّ فانقبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالاخرى ورمت الانقلاب من غير ان يقلبني احد كما كان يفعل بي فانقلبت بنفسي فجلست ورمت القيام فامكنني فقمت فنزلت من على السرير الذي كنت مطروحاً عليه وكان في بيت من الدار فمشيت التمس الحائط من الظلمة لانه لم يكن هناك سراج الى ان وقفت على الباب وانا لا اطمع في بصري فخرجت من البيت الى صحن الدار فرأيت السماء والكواكب مزهرة وكدت اموت فرحاً وانطلق لساني وقلت ياقديم الاحسان لك الحمد ثم صحت بزوجتي فقامت وقالت ابو علي فقلت لها الساعة صرت ابو علي اسرجي فاسرجت فقلت جيئيني بمقراض فجاءت به فقصصت شارباً كان لي بزي الجند فقالت زوجتي ماتصنع الساعة تعيبك رفقاؤك فقلت بعد هذا لا اخدم غير ربي فانقطعت الى الله عز وجل وخرجت من الدار وطلقت الزوجة ولزمت عبادة ربي وقال ابو الحسن خبر هذا معروف مشهور وكانت هذه الكلمة لاتفارقه وهي ياقديم الاحسان لك الحمد وصارت عادته يقولها في حشو كلامه وكان يقال انه مجاب الدعوة فقيل له ان الناس يقولون انك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك فمسح يده عليك فبرات فقال ماكان لعافيتي سبب غير ماعرفتك* حدثني

محمد بن علي الخلال البصري أحد أبناء القضاة قال حدثني بعض الاطباء الثقاة ان غلاماً من بغداد كان عليلاً فقدم الري وهو ينفث الدم وكان قد لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى ابا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق صاحب الكتب المصنفة فاراه ما ينفث ووصف له الحال فأخذ الرازي بجسه ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الامر فقامت على العليل القيامة وقال هذا يأس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة فازداد مابه وولد الفكر للرازي أن عاد اليه وسأله عن المياه التي شربها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذهن ان علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وان ذلك النفث للدم من فعلها وقال له اذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم انصرف حتى تبرأ ولكن بشرط ان تأمر غلمانك ان يطيعوني فيما امرهم به فيك قال نعم وانصرف الرازي وتقدم وجمع له ملاً مركنين من طحلب فاحضرهما في غد معه واراه اياهما وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل منه شيئاً كثيراً ثم قال ليس يمكنني بلع شيء آخر اكثر منه فقال له ابلع فقال لا استطيع فقال للغلمان خذوه ففعلوا ذلك به وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه شاء او أبى ويتهدده بالضرب الى ان ابلعه كارهاً احد المركنين بأسره والرجل يستغيث ولا ينفع مع الرازي شيء الى ان قال العليل الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القيء فقذف فتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة واذا هي لما وصل الطحلب اليها دبت اليه بالطبع وتركت موضعها فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافى * عن ابي الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال كان عندنا بسوق الاربعاء من أولاد آذر غلام حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه وكانت تضرب عليه في اكثر الاوقات ضرباناً عظيماً حتى كاد يتلف وقل أكله ونحل جسمه فحمل الى الاهواز فعولج بكل شيء فما نجع فيه دواء فرد الى بيته وقد يئس منه فاجتاز بنا بعض الاطباء فدعاه والد العليل وعرفه حال ابنه فقال للعليل اقعد واشرح لنا سبب مرضك من منذ حال صحتك الى ان اصبت فشرحها فطاولها بحديث الى ان قال العليل اني دخلت الى بستان لنا فكان في بيت البقر منه رمان كثير قد جمع للبيع فاكلت منه رماناً عدة فقال له الطبيب كيف كنت تاكل قال كنت اعض رأس

الرمانة بفمي واكسرها وارمي بها واكلها قطعاً قطعاً فقال الطبيب في غد اعجل لك العلاج فتبرأ باذن الله وخرج فلما كان من الغد جاءه بقدر اسفيدباج قد طبخها في لحم جرو سمين وقال للعليل كل هذا فقال ما هو قال اذا اكلته عرفتك قال فاكل العليل وقال له امتل من الطعام ففعل ثم اطعمه بطيخاً كثيراً ثم تركه ساعتين وسقاه فقاعاقد خلط بماء حار وشبث ثم قال له اي شيء اكلت فقال لا ادري فاخبره الخبر فحين سمع الغلام ذلك اندفع يقذف فامر بعينيه ورأسه فامسك واقبل يتامل القذف الى ان طرح الغلام شيئاً اسود كالنواة الكبير يتحرك فاخذه الطبيب وقال له ارفع رأسك فقد برات وفرج الله تعالى عنك فرفع الغلام راسه وانقطع القذف وسقاه الطبيب شيئاً يقطع الغثيان وصب على راسه ماء ورد ومسكن ثم اخذ الذي يشبه النواة فاراه لوالد الغلام فاذا هو قراد فقال له اني قد ذكيت ان الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قراداً من البقر وانه دخلت واحدة منهن في راس احدى الرمانات التي اقتلعت رؤوسها بفم الغلام فنزل القراد في حلقه وعلق بمعدته يمتصها وعلمت ان القراد يهش الى لحم الكلب فأطعمته اياه وقلت ان صح ظني سيتعلق القراد بلحم الكلب تعلقاً يخرج معه ان قذف فيبرأ وان لم يكن ما ذكيت صحيحاً فما يضره من اكل هذا اللحم فلما احب الله عز وجل عافيته صح ما ذكيته فنبهه الى ان لا يعاود بعدها ادخال شيء في فيه لا يدري ما هو وبرأ الغلام وصح جسمه * حدثنا ابو الحسن غلامنا عن ابن الصيدلاني قال كان لي أكار حدث فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً فلم يكن ينام الليل ولا يهدأ النهار وعولج فلم يكن لبرئه سبيل قال فجاءه متطبب من الاهواز يريد البصرة فسألته ان ينظر اليه فقال لي قل له يصدقني عن خبره في أيام صحته الى الآن قال فحدثه قال فأصدقني فلست أدري شيئاً يوجب هذه العلة ومالي الى علاجك سبيل قال فقال لي الغلام أصدق وأنا آمن جهتك فقلت افعل فقال له انا غلام حدث واعزب فوطئت حماراً ذكراً كان لي في الصحراء قال فقال له الطبيب الآن قد علمت انك صادق والساعة اعالجك فتبرأ ثم امر به فأمسك امساكاً شديداً والغلام ساكت الى ان جس منه موضعاً فصاح الغلام فأخذ الطبيب خيطاً ابريسماً فشد الموضع شداً شديداً ولم يزل يمرح ذكر الغلام حتى خرجت منه حبة وقد كبرت وجرحت الموضع فسال منه شيء يسير كماء اللحم فاعطاه مرهماً وقال استعمل هذا اياماً فانك تبرأ وتب الى الله تعالى عن مثل هذا الفعل واستعمل الغلام المرهم

فبرأ * حدثني ابو عبد الله الحسن بن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن العسكري من بغداد في المذاكرة قال كان ابي اذا جلس يفتش دفاتره وانا صبي اجيء فآخذ منها الشيء بعد الشيء استحسنه والعب به وكنت ارى في دفاتره دفترًا فيه خطوط حمر فاستحسنه واطلبه فيمنعني منه حتى بلغت مبلغ الرجال قال فجلس يوماً يفتش كتبه فرأيت الدفتر فاغفلت ابي واخذته ففتحته اقراه فاذا هو مولدي قد عمله بعض المنجمين ووجدت فيه اني اذا بلغت اربعاً وثلاثين سنة كان عليَّ قطع فيها فالتفت ابي فرأى الدفتر في يدي فصاح واخذه مني ونظراي موضع اقرأ فرآه فاخذ يضعف ذلك في نفسي لثلاً اغتم ومضت السنون فلما بلغت الى السنة التي ذكرها المنجم ركبت مهرًا لي وقد خرجت الى دار الضرب وابي فيها وكان اليه العيار فبلغت الى سباط في درب الديرج فنفر المهر من كلب كان في الطريق رابضاً فضرب راسي حائطاً كان في السباط فوقعت عن المهر مغشياً عليَّ ثم حملت الى دار الضرب فاحضروا طبيباً وقد انتفخ موضع من راسي انتفاخاً عظيماً فاشار بفصدي ففصدت فلم يخرج لي دم فحملت الى بيتنا ولم اشك في اني ميت لشدة مالحقني فاعتللت مدة وضعفت نفسي خوفاً مما ذكر من حكم المنجم وكنت يوماً جالساً مستنداً على سرير وقد آيست من نفسي اذ حملتني عيناي فخفق راسي فضرب درابزين السرير فانشج الموضع المنتفخ وخرج منه ارطال دم فخف مابي في الحال وصلحت وبرأت وعشت الى الآن وكان له يوم وقد حدثني بهذا الحديث وهو ابن اربع وثمانون سنة وشهور على ما اخبرني * حدثني ابو الحسن بن علي ابن ابي محمد الحسين بن محمد الصالحي الكاتب قال رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي وكان يقول انه يكسب في كل شهر الف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان وما ياخذه من العامة قال وكان له دار قد جعلها شبه بيمارستان من جملة داره يأوي اليها ضعفاء الاعلاء ويعالجهم ويقوم باغذيتهم وادويتهم وخدمتهم وينفق اكثر كسبه على ذلك قال ابو الحسن واصيب احد فتيان الرؤساء بمصر بالسكتة واسماه لي وذهب عني اسمه فحمل الى الاطباء وفيهم القطيعي فاجمعوا على موته الا القطيعي وعمل اهله على غسله وكفنه فقال القطيعي دعوني اعالجه فان برىء والا فليس يلحقه اكثر من الموت الذي قد اجمع هؤلاء عليه فخلاه اهله معه فقال هاتوا غلاماً جلداً ومقارع فاتى بذلك فامر به وضربه عشر مقارع باشد الضرب ثم مس مجسه وضربه عشرًا اخرى شديدة ثم مس مجسه وضربه

ايضاً عشرًا اخرى ثم مس مجسه وضربه عشرًا اخرى ثم مس مجسه وقال للاطباء ايكون للميت نبض متحرك فقالوا لا فضربه عشر مقارع اخرى وقال جسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشرًا اخرى فتأوه فضربه عشرًا اخرى فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يجس بدنه ويتأوه وقد ثابت قوته اليه فقال له ماتجد قال انا جائع فقال اطعموه الساعة فجاؤه بما يأكل فرجعت قوته اليه وقمنا وقد برىء فقال له الاطباء من اين لك هذا قال كنت مسافرًا في قافلة فيها اعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فاسكت فعمد اليه شيخ منهم فضربه ضربًا عظيماً فما رفع عنه الضرب حتى افاق فعلمت ان الضرب جلب اليه الحرارة وازالت سكتته فقست عليه امر هذا العليل

* حدثني بعض المتطببين بالبصرة قال حدثني ابو منصور بن مارمة كاتب ابي مقاتل صالح بن مدرك الكلابي امير دجلة وكان ابو منصور من رؤساء اهل البصرة الذين يضرب المثل بنعمتهم وترفههم وكان ثقة ادبيًا قد شاهدته انا ولم اسمع منه هذه الحكاية قال اخبرني شيوخنا قال كان بعض اهلنا قد استسقى فآيس من حياته فحمل الى بغداد فشوور الاطباء فيه فوصفوا له ادوية كبارًا فعرفوا انه قد تناولها باسرها فلم تنجع وآيسوا منه وقالوا لاحيلة في برئه قال فسمع العليل فقال لمن كان معه دعوني الآن اتزود من الدنيا وآكل ما اشتهي ولا تقتلوني بالحمية فقالوا كل ما تريد فمما رآه مما يختاز به على الطريق اشتراه واكله ولم يلتفت الى ضرّه ونفعه فمر به رجل يبيع جرادًا مطبوخًا فأجلسه واشترى منه عشرة ارطال واكلها بأسرها فلما كان بعد ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة ايام اكثر من ثلاثمائة مجلس وضعف وكاد يتلف وآيس منه ثم قطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وعادت بطنه الى حالها في الصحة وثابت اليه قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس يتصرّف في حوائجه فرآه احد الاطباء فعجب من امره فسأله عن الخبر فعرّفه فقال ليس من شأن الجراد ان يفعل هذا ولا بد من ان يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فاحب ان تدلني على الذي باعك الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية فأراه الطبيب فقال ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته انا اصيده واجمع منه شيئًا كثيرًا واطبخه على الايام وابيعه فقال من اين تصيده قال فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب اعطيك دينارًا وتدع شغلك وتجيء معي الى ذلك الموضع فقال نعم فخرجا وعاد الطبيب من غد فذكر انه رأى ذلك الجراد يرعى في

صحراء اكثرها حشيشة يقال لها الماذريون وهي دواء الاستسقا فاذا دفع الى العليل منها دون درهم اسهله اسهالاً يزيل الاستسقا ولكن لايؤمن من ان لا ينضبط ولا يقف فيقتله الذرب والعلاج بها خطر جدًّا وهي مذكورة في الكتب ولفرط ضررها لا يكاد يصفها الطبيب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة وانطبخت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبيخين اجتمعا عليه وقضي ان تناولها هذا بالاتفاق وقد تعدلت بمقدار مايدفع طبعه دفعاً قطع بانقطاع العلة فبرأ * حدثني محمد بن احمد بن طوطي الواسطي ابو الحسين قال سمعت ابا علي عمر بن يحيى العلوي الكوفي رحمه الله يقول كنت في بعض حججي في طريق مكة فاستسق رجل كان معنا من اهل الكوفة وثقل في علته وسل الاعراب قطاراً من القافلة كان على جمل منه هذا العليل فافتقد وجزعنا عليه وعلى القطار وكنا راجعين الى الكوفة فلما كان بعد مدة جاء في العليل الى داري معافًا فسألته عن قصته وسبب عافيته فقال ان الاعراب لما سلوا القطار ساقوه الى محلهم وكان من الحجة على فراسخ يسيرة فانزلوني ورأوا صورتي فطرحوني في اواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان في القطار فكنت ازحف واتصدق من البيوت ما آكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت ادعوا الله عزوجل به او بالعافية فرأيتهم وقد عادوا يوماً من ركوبهم فاخرجوا افاعي قد صادوها فقطعوا رؤسها واذنابها وسووها واكلوها فقلت هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرهم بالعادة التي نشؤا عليها ولعلي ان اكلت منها شيئاً ان اتلف فاستريح مما انا فيه فقلت لبعضهم اطعمني من هذه الحيات فرمى اليّ واحدة منها مشوية فيها ارطال فاكلتها باسرها وامعنت طلباً للموت فاخذني نوم عظيم فانتبهت وقد عرقت عرقاً عظيماً واندفعت طبيعتي فقمت في بقية يومي وليلتي اكثر من مائة مجلس الى ان سقطت طريحاً وجوفي يجري فقلت هذا طريق الموت واقبلت اتشهد وادعوا الله عزوجل بالمغفرة فلما اضاء الصبح تأملت بطني فاذا هي قد ضمرت وزال عنها ما كان بها فقلت اي شيء ينفعني من هذا وانا ميت فلما اضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم احس بقيام وجعت فجئت لازحف على العادة فوجدت بدني خفيفاً وقوتي صالحة فتحاملت فمشيت فطلبت منهم ماكولاً فاطعموني فقويت فبت في الليلة الثانية معافًا ما انكر شيئاً من امري فاقمت اياماً الى ان وثقت من نفسي بأني ان مشيت نجوت فاخذت الطريق من بعضهم الى ان صرت على الحجة ثم سلكتها الى الكوفة مشياً * حدثني ابو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب قال حدثني القاضي

ابو بكر بن الجعابي الحافظ قال دخلت يوماً على القاضي ابي الحسين ابن القاضي ابي عمر رحمها الله وهو مغموم فقلت لا يغم الله قاضي القضاة ماهذا الحزن الذي اراه به قال مات يزيد المأئي فقلت يبقى الله قاضي القضاة ومن يزيد المأئي حتى اذا مات اغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله فقال ويحك مثلك يقول هذا في رجل اوجد لنا صناعة فخيمة قد مات وما ترك في حذقه احد وهل تفخر البلدان الا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق اهل العلوم فيها فاذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته لابدل الناس فرحهم بالترح وهل يدل هذا الا على نقصان العالم وانحطاط البلدان قال ثم اقبل يعدد فضائله والاشياء الظريفة التي عالج بها والعلل الصعبة التي زالت بتدبيرها فذكر من ذلك اشياء كثيرة كان منها اذ قال لقد اخبرني مذ مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بابنة له علة فكتمت أمرها ثم اطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى امر البنت الى حد الموت قال فقلت لا يصح ترك علاج هذا وكتمانه اكثر من هذا قالى وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تنام معه الليل ولا النهار وتصرخ أعظم صراخ ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم قال فلما خفت المأتم احضرت يزيداً فشاورته فقال اتأذن لي في الكلام وبسط عذري قلت نعم قال لا يمكنني ان اصف لك شيئاً دون ان اشاهد الموضع بعيني وافتشه بيدي واسائل المرأة عن اسباب لعلها كانت الجالبة للعلة قال فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف امكنته من ذلك فاطال مسائلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة فبعد ان جس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الالم حتى كدت ابطش به ثم تصبرت ورجعت الى ما اعرفه من ستره فصبرت على مضض الى ان قال تأمر من يمسكها ففعلت ثم ادخل يده في الموضع دخولاً شديداً فصاحت المرأة فاغمي عليها وانبعث الدم واخرج في يده حيواناً اقل من الخنفساء فرمى به فجلست الجارية في الحال وقالت يا ابت اشتر في فقد عوفيت فاخذ يزيد الحيوان بيده وخرج من المحل فاجلسته وقلت اخبرني ماهذا فقال ان تلك المسابلة التي لم أشك في انك انكرتها انما كانت لاطلب دليلاً استدل به على سبب العلة الى ان قالت انها في يوم من الايام كانت جالسة في بيت دواب من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه فلما كان في غدته الضربان تخيلت انه قد دب الى فرجها من القردان التي تكون على البقر وفي بيوته قراد قد تمكن من اول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضع ولد له ضرباناً وانه اذا شبع خف الضربان لانقطاع مصه

ونقطت من الجرح الذي يمتص منه الى خارج الفرج هذه النقط اليسيرة من الدم فقلت ادخل يدي وافتش فادخلتها فوجدت القراد فاخرجته وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الايام قال فتأملنا الحيوان فاذا هو قراد وبرأت المرأة قال مؤلف هذا الكتاب ولم يذكر القاضي ابو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه * عن بني عقيل وكان اذا جاء من البادية ينزل في شارع دار الرقيق بالقرب من درب سليمان قال كانت عندي جارية بالبادية بالغة زمنة مقعده سنين ومن عادتنا ان نأخذ الحنظل فنقور رأسه ونملاه باللبن الحليب ونرد على كل واحدة رأسها ونتركها في الرماد الحار حتى تغلى فاذا غلت حسى كل واحد منا ما في الحنظلة من ذلك فتسهله وتصلح بدنه قال فاخذنا سنة من السنين ثلاث حناظل لثلاث أنفس يشربونها وجعلنا فيها اللبن على الصفة المارة فرأتها الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرها من الزمانة غدت الى الحناظل الثلاث فحستها كلها وعلمنا بذلك بعد لما رأينا من قيامها فآيسنا من حياتها فباعدناها في الاخبية لئلا نشم روائحها فتعدينا ولتموت بالبعد عنا فلما كان في الليل انقطع قيامها ومشت برجلها الى ان اعادت الى البيوت معافية لاقلبة بها وعاشت بعد ذلك سنين وولدت * قال جبريل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة ومعه المأمون ومحمد وكان رجلا كثير الاكل والشرب فاكل في بعض الايام أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشى عليه وقوي عليه الغشي حتى لم يشك غلمانه انه قد مات وحضر ابناه وشاع عند العامة والخاصة خبره فارسل الي فحضرت وجسست عرقه فوجدت نبضاً خفيفاً وقد كان قبل ذلك بأيام يشتكي امتلاء وحركة الدم فقلت لهم لم يمت والصواب ان يحجم الساعة فقال كونر لما يعرف من أمر الخلافة وافضائها الى صاحبه محمد يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلاً ميتاً لايقبل قولك ولا كرامة فقال المأمون الامر قد وقع وليس يضر بأن نحجمه فاحضر وتقدمت الي جماعة من غلمانه بامساكه ففعلوا واقعد فقلت للحجام ضع محاجمك ففعل فلما مصها رأيت الموضع قد احمر فطابت نفسي بذلك انه حي ثم قلت اشرط فشرط فخرج الدم فسجدت شكراً لله عز وجل وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه الى ان تكلم فقال اين انا فطيبت نفسه وغذيناه صدر دراج وسقيناه نبيذاً وما زلت أسعطه بالطيب في انفه حتى تراجعت اليه قوته وادخل الخاصة والقواد اليه فسلموا عليه من بعد لما كان قد شاع من خبره ثم تكاملت قوته ووهب الله له العافية فلما خرج من علته

دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف انها الف الف درهم وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف انها خمسمائة الف درهم ثم قال لي ياجبريل كم غلتك فقلت خمسين الف درهم فقال ما انصفتك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني ويحجبوني عن الناس على ماهي عليه وتكون غلتك ماذكرت وأمر باقطاعي مائيمته الف الف درهم فقلت اسيدي مالي حاجة الى الاقطاع ولكن تهب لي ما أشتري الضياع بها ففعل وتقدم بمعاونتي على ابتياعها فابتعت بهباته وصلاته ضياعاً غلتها الف الف درهم فجميع ما امتلكته ضياعاً لا اقطاع فيها * حدثني طلحة بن عبدالله بن قياس الطائي الجوهري البغدادي ابو جعفر قال كان في درب مهرويه بالجانب الشرقي ببغداد قديماً رجل من كبراء الحجزية وكان متشبباً بغلام من غلمانه رباه صغيراً فاعتل الغلام علة من بلسام وهو الذي تسميه العامة البرسام فبلغ الى حالة قبيحة وزال عقله فتفرقوا عنه يوماً وهو في موضع فيه خيش ووكلوا صبياً بمراعاته فسمعوا صياح الفتى الموكل به فبادروا اليه فقال انظروا الى ما قد اصابه فاذا عقرب قد نزل من المسند على راس العليل فلسعته في عدة مواضع فاذا به قد فتح عينيه وهو لا يشكوا الماً فسألوه عن حاله فطلب ما ياكل فاطعموه وبرأ فلاموا طبيبه فقال علام تلومونني لو امرتكم ان تلسعوه بعقرب اكنتم تفعلون * عن ابي بكر بن قارب الرازي وكان تلميذ لابي بكر محمد بن ذكريا الطبيب بعد رجوعه من عند امير خراسان لما استدعاه ليعالجه من علة صعبة قال اجتزت في طريقي الى نيسابور ببلد بسطام وهو النصف من طريق نيسابور الى الري قال فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني وخدمته وسالني ان اقف على ابن له به استسقاء فادخلني الى دار قد افردها له فشاهدت العليل ولم اطمع في البرأة فعللت القول بمشهد من العليل ولما انفردت بابيه سالني ان اصدق فصدقته وآيسته من حياة ابنه وقلت له يمكنه من شهواته فانه لا يعيش وخرجت الى خراسان وعدت بعد اثني عشر شهراً فاستقبلني الرجل بعد عودي ولما لقيته استحييت منه غاية الحياء ولم اشك في وفاة ابنه واني كنت نعيته اليه وخشيت من ثقله بي فلم اجد عنده ما يدل على ذلك وكرهت ان اسأله عنه لئلا اجدد عليه حزناً قد نسيه فقال لي بعد ايام اتعرف هذا الفتى وأومىء الى شاب حسن الوجه والسجية كثير الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا فقلت لا فقال هذا ابني الذي آيستني منه عند مضيك الى خراسان فتحيرت وقلت عرفني سبب برأه فقال لي انه بعد قيامك من عنده فطن انه قد آيستني منه فقال لي

لست اشك ان هذا الرجل وهو اوحد في الطب قد آيسك مني والذي اسئلك ان تمنع هؤلاء الغلمان يعني الغلمان الذين كنت اخدمهم اياه عني لانهم اذوني لاني اذا رأيتهم معافين وانا لست بينهم يتجدد على قلبي الحزن فارحني منهم يا ابي وافرد لي فلانة لخدمتي ففعلت ما سأله وكانت المرأة دابة له وكان يحمل اليها في كل يوم ما تأكله وله ما يطلب على غير حمية فلما كان بعد ايام حمل الى الدابة مضيرة لتاكل فتركتها ومضت لشغل لما فذكرت بعد ان عادت ان ابي قد نهاها عن اكل المضيرة فوجدتها قد ذهب كثير منها وبقي بعضه متغير اللون قالت فسالت الغلام عن السبب فاخبرني بانه راى افعى عظيماً قد خرج من موضع ودب اليها واكل منها ثم قذف فيها فصار لونها كما ترينه فقلت انا ميت وهو ذا يلحقني الم شديد ومتى اظفر بمثل هذا وجئت فاكلت من الغضارة لما استطعت لاموت عاجلاً واستريح فلما لم استطع زيادة اكل رجعت حتى جئت الى فراشي وجئتِ انتِ قالت ورأيت انا المضيرة على يده وفمه فصحت فقال لا تعلمي احداً حتى تدفني الغضارة بما فيها لئلاً ياكلها انسان فيموت او حيوان فيلسع انساناً فيقتله ففعلتُ ماقال وخرجت اليك فلما عرفتني ذلك ذهب عليَّ امري ودخلت الى ابني مسرعاً فوجدته نائماً فقلت لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه فانتبه آخر النهار وقد عرق عرقاً شديداً وهو يطلب المستحم فانهضناه اليه فاندفعت طبيعته وقام من الليل ومن الغد اكثر من مائة مجلس فازداد ياساً منه وقل القيام وقد صار بطنه مع ظهره مثل بطون الاضحاء وطلب فراريج فأكل ولم تزل قوته تزداد فطمعنا في حياته فمنعناه التخليط وثابت قوته وتزايدت الى ان صار كما ترى قال فعجبت من ذلك وذكرت ان الاوائل قالوا ان المستسقي اذا اكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مؤن سنة برأ ولو قلت لك هذا علاجه لظننت اني ادافعك ومن اين يعلم كم عمر الحية اذا وجدت فامسكت عنه

الباب الحادي عشر

﴿ من امتحن من لصوص بسرق اوقطع * فعوض عن الخلف باكمل صنع ﴾

عن دعبل بن علي الخزاعي الشاعر قال لما قلت قصيدة (مدارس آيات خلت من تلاوة) قصدت بها ابي الحسن علي بن موسى الرضا رضوان الله عليهم أجمعين

وهو بخراسان ولي عهد المأمون فوصلت اليه فانشدته فاستحسنها وقال لا تنشدها لاحد حتى آمرك واتصل خبري بالمأمون فاحضرني وسألني عن خبري ثم قال لي يا دعبل أنشدني (مدارس آيات خلت من تلاوة) فقلت لا اعرفها يا امير المؤمنين فقال يا غلام احضر ابا الحسن علي بن موسى قال فلم يكن بأسرع من ان حضر فقال له يا ابا الحسن سألت دعبلاً عن مدارس آيات فذكر انه لا يعرفها فالتفت اليّ ابو الحسن فقال انشده يا دعبل فانشدت القصيدة ولم ينكر ذلك المأمون الى ان بلغت الى بيت فيها وهو هذا

قال رسول الله هلب رقابهم وآل زياد غلظ الرقاب

ثم تممتها الى آخرها فاستحسنها وأمر لي بخمسين الف درهم وأمر لي علي بن موسى بقريب منها فقلت له يا سيدي أريد ان تهب لي ثوباً يلي بدنك أتبرك به واجعله كفناً فوهب لي قميصاً قد ابتذله ومنشفة واظنه قال وسراويل قال ووصلني ذو الرياستين وحملني على برذون اصفر خراساني فكنت أسايره في يوم مطير وعليه ممطر خز وبرنس ومنه فأمر لي به دعا بغيره جديداً فلبسه وقال انما أثرتك باللبس لانه خز الممطرين قال فاعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه وقضيت حاجتي وكررت راجعاً الى العراق فلما صرت ببعض الطريق خرج علينا اكراد يعرفون بالسرنجان فسلبوني وسلبوا القافلة وكان ذلك في يوم مطير فاعتزلت في قميص خلق قد بقي عليّ وانا متأسف من دون ما كان معي على القميص والمنشفة اللذين وهبهما لي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما اذ مرّ بي واحد من الاكراد تحته الاصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر الخز ثم وقف بالقرب مني وابتدأ ينشد (مدارس آيات) ويبكي فلما رأيت ذلك عجبت من لص يتشيع ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت يا سيدي لمن هذه القصيدة فقال وما انت وذلك ويلك فقلت له فيه سبب اخبرك به فقال هي اشهر بصاحبها من ان يجهل فقلت ومن هو قال دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ياسيدي انا والله دعبل وهذه قصيدتي فقال ويلك ما تقول قلت الامر أشهر من ذلك فاسأل اهل القافلة بصحة ما أخبرتك به فقال لا جرم والله لا يذهب من القافلة خلالة فما فوقها ثم نادى في الناس من اخذ شيئاً يرده على صاحبه فردوا على الناس امتعتهم وعليّ جميع ما كان معي ما فقد أحد عقالاً ثم انصرفنا الى شأننا فقال راوي هذا الخبر

عن دعبل فحدثت بهذا الحديث علي بن بهزا الكردي فقال لي ذلك والله أبي الذي فعل هذا * حدثني عبد الله بن عمرو الحارث الواسطي السراج المعروف بابي احمد الحارث قال كنت مسافراً في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردي فقطع علينا وكان يزى الامراء لا يزى القطاع فقربت منه انظر اليه واسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب فداخلته فاذا برجل فاضل يروى الشعر ويفهم النحو فطمعت فيه وعملت في الحال ابياتاً مدحته بها فقال لست اعلم ان هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة لاعلم انك قلته وانشدني بيتاً قال فعملت في الحال اجارة له ثلاثة ابيات فقال لي اى شيء أخذ منك لارده عليك قال فذكرت ما أخذ مني واستضفت اليه قماش رفيقين كانا لي فرد جميع ذلك ثم أخذ من اكياس التجار التي نهبها كيساً فيه الف درهم فوهبه لي قال فجزيته خيراً ورددته عليه فقال لي لم لا تاخذه فواربت في كلامي قال أحب ان تصدقني فقلت وانا آمن قال نعم قلت لانك لا تملكه وهو من اموال الناس اخذته منهم الساعة ظلماً فكيف يحل لي اخذه فقال لي اما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم قال ان هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لانهم منعوها وتجردوا فتركت عليهم فصارت اموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء اليها فاذا أخذوا أموالهم وان كره التجار أخذها كان ذلك لهم مباحاً لان عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء ارباب الاموال او كرهوا فقلت بلى قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من اين يعلم ان هؤلاء استهلكت الزكاة اموالهم فقال لا عليك انا احضر هؤلاء التجار الساعة وأريك بذلك دليلاً صحيحاً ان اموالهم لنا حلال ثم قال لاصحابه هاتوا التجار فجاؤا فقال لاحدهم منذ كم تتجر في هذا المال الذى قطعناه عليك قال منذ كذا وكذا سنة قال فكيف كنت تخرج زكاته فتلجلج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن ان يخرجها ثم دعى بآخر وقال له اذا كان معك ثلثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة فما احسن ان يجيبه ثم قال الآخر ان كان معك تجارة ولك دين على نفسين احدهما ملئ والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع كيف تخرج الزكاة قال فما فهم السؤال فضلاً عن ان يتعاطى الجواب فصرفهم ثم قال لي بان لك صدق حكاية ابي عثمان الجاحظ وان هؤلاء التجار ما زكوا قط خذ الآن الكيس قال فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها فقلت ان

رأيت ايها الامير ان تنفذ معي من يبلغني المامن كان لك الفضل ففعل ذلك ونجوت من اذاه * وحدثني ابي رحمة الله عليه قال لما كنت مقيماً بالكرخ انقلد القضاء بها وبالمرج واعمالها كان معي رجل له ابن صبي فاقام معي ابوه عشر سنين وكان ذلك الصبي يدخل داري ويمزح مع غلماني واهب له في بعض الاوقات الدراهم والثياب واحمله وارقصه كما يفعل الناس باولاد غلمانهم ثم صرفت عن الكرخ ورحلت ولم اعرف للرجل ولا لابنه خبرًا حتى مضت السنون فانفذني ابو عبد الله اليزيدي من واسط برسالة الى ابي بكر بن رائق فلقيته في حدود دير العاقول قال وانحدرت اريد واسطًا وقد كان قيل لي قبل اصعادي ان في الطريق لصاً يعرف بالكرخي وكنت خرجت من واسط بطالع اخذته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة وقد استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي امر اللص فلم ارَ له اثرًا فلما انحدرت الى واسط في بعض الطريق خرج علينا اللصوص في سفن عدة ونشاب وسلاح شاك وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم وكان معي من غلماني من يضرب النشاب فحلفت ان من يرمي منهم ضربته اذا صرت في البلد مايتي مقرعة وذلك اني خفت ان يقصدنا اللصوص فلا يرضوا الا بقتلي من دونهم وبادرت واخذت ذلك السلاح الذي كان معهم فرميت به في الماء واستسلمت للامر طلبًا للسلامة وجلست افكر في الطالع فاذا ليس مايوجب عنده القطع عليّ والناس قد ادبروا الى الشط وانا في جملتهم حيث تفرغ سفنهم وينقل مافيها الى الشط وهم يخبطون بالسيوف وكنت في وسط الكار فانتهى الامر اليّ فعجبت من حصول القطع وان الطالع لا يوجبه ولست اتهم عملي فانا كذلك واذا بسفينة فيها رئيسهم قد طرح على زيربي كما كان يطرح على سفن التجار ليشرف على ما يؤخذ منها فحين رآني منع اصحابه من انتهاب شيء من زيربي وصعد وحده اليّ فتأملني طويلاً ثم انكب فقبل يدي وكان متلثماً فلم اعرفه فارتعت وقلت ياهذا مالك فقال لي اما تعرفني يا سيدي فتأملته وانا جزع فلم اعرفه فقلت لا والله قال بلى انا عبدك بن فلان الكرخي حاجبك وانا الصبي الذي ربيت في دارك وربيتني وكنت تحملني على كتفك وتطعمني بيدك قال فتأملته فاذا الخلقه خلقته الا ان اللحية غيرته في عيني فسكن روعي وقلت ياهذا كيف بلغت الى هذا الحال قال نشأت فلم اتعلم غير معالجة السلاح وجئت الى بغداد اطلب الديوان فما قبلني احد فانضفت الى هؤلاء وطلبت الطريق فلو كان انصفني السلطان ونزلني بحيث استحق من الشجاعة لانتفع بخدمتي وما فعلت هذا ثم قال ياسيدي

هل رأيت احداً من القوم اخذ منك شيئاً فقلت ماذهب مني الا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال والله اصاب القاضي فمن في الكارة ممن تعني به حتى اطلقه فقلت كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو افرجت عن الجميع كان احسن بك فقال والله لولا ان اصحابي فرقوا ما اخذوا لفعلت ذلك ولكنهم لا يطيعوني في رده الا اني لا ادع احداً يأخذ من السفن الباقية شيئاً بعد هذا فجزيته الخير فصعد الى الشط واصعد جميع اصحابه ومنع ان يؤخذ شيء من السفن الباقية فما تعرض اليها احد ورد على قوم ضعفاء اشياء كثيرة كانت اخذت منهم واطلق الناس وسار معي في اصحابه الى ان صار بيني وبين المأمن شيء يسير ثم ردعني وانصرف الى اصحابه * حدثت عن عن بعض التجار البغداديين قال خرجت بسلع لي ومتاع من بغداد اريد واسطا وكان اليزيدي بها والدنيا مفتتنة فقطع عليّ الطريق وعلى الكار الذي كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدون يطالع قريباً من بغداد فأفقرني وكان معظم ما املكه معي فسهل عليّ الموت وطرحت نفسي له وكنت اسمع ببغداد ان ابن حمدون فيه فتوة وظرف وانه اذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الالف واذا اخذ ممن حاله ضعيفة شيئاً قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك فاطمعني ذلك في ان يرق لي فصعدت الى الموضع الذي هو فيه جالس فخاطبته في امري ورفقته ووعظته وقلت له ان جميع ما امتلكه قد اخذه وانني احتاج الى ان اتصدق من بعده قال فقال لي يا هذا لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا فانه قد اسقط ارزاقنا فاحتجنا الى هذا الفعل ولسنا فيما نفعل ارتكاب امر اعظم مما يرتكبه السلطان انت تعلم ان ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى ياخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدي الى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدي بواسط البصرة والديلم وبالاهواز وقد علمت انهم ياخذون اصول الضياع والدور والعقار ويتجاوز ذلك الى الحرم والاولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء فقلت اعزك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة والقبيح لا يكون سنة فاذا وقفت انا وانت بين يدي الله عزوجل اترضى ان يكون هذا جوابك له قال فاطرق ملياً ولم اشك في انه يقتلني ثم رفع رأسه وقال كم اخذ منك فصدقته فقال احضروه فاحضر قال وكان كما ذكرت فاعطاني نصفه فقلت الآن قد وجب حقي عليك وصار لي باحسانك اليّ حرمة فقال اجل فقلت ان الطريق فاسد وما الا ان اتجاوزك حتى يؤخذ

هذا ايضاً فأنفذ معي من يؤديني الى المامن قال فقعل ذلك وسلمت بما افلت معي قال فجعل الله عز وجل فيه البركة واخلف * حدثني الحسن بن صافي مولى ابن المتوكل القاضي وكان ابوه يعرف بغلام ابن مقله قال لما حصل المتقي بالله الرقة ومعه ابو الحسن علي بن محمد بن مقلة وزيره كاتبني بان اخرج اليه فخرجت ومعي جماعة من انسابي وانساب الخليفة الى هيت وضم الينا ابن قتال خفراء يودونا الى الرقة فرحلت من هيت ومعنا الخفراء والغلمان ومن انجر معنا من هيت فصرنا نحو المائتي مقاتل فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ونحن في البر الاقفر وقد حصلنا نستريح اذا بسواد عظيم من بعيد لاندري ماهو فلم نزل نرقبه الى ان بان لنا واذا هو بمائة مطية على كل مطية رجلان فجمعنا رجالنا واصحابنا وحملنا واخذوا حجفهم وسلوا سيوفهم وتقدمهم رئيسهم فقال لنا يا معشر الناس لا يسلن احد سيفه ولا يرمين بسهم فمن فعل ذلك فهو مقتول فقتل اكثر من كان معنا وقاتل الباقون قتالاً ضعيفاً وخالطنا الاعراب وخرج جماعة منهم واخذونا وجميع ما كان معنا واقتسموه وطرحونا في الشمس مجرحين فنظرت فاذا انا قد عريت وبقي عليّ خلق لا يصد عني شيئاً وليس معي ماء اشربه ولا ظهر اركبه وليس بيني وبين الموت الا ساعات يسيرة فقامت عليّ القيامة واشتد جزعي ولم يكن لي حيلة فآيست من الحياة فأنا كذلك اذ وجدت شنشجة كانت لي فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير الماء فوقع لي في الحال وجه الحيلة فاخذته وجعلته في قطن وخبأته معي وقصدت رئيس القوم وكان هو الذي تولى اخذ مالي وقد عرف موضعي وقدري وقلت له رأيت عظيم ما اخذته مني فأنا خادم الخليفة وقد خرجت لامر كبير من خدمته وانك فزت بما اخذته مني وانا اعاملك به واسديه اليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب على ان تؤمنني على نفسي وترد عليّ من ثيابي وادواتي وتسقيني ماء وتسيرني حتى اصل الى مامني فقال لي ماهو فقلت تعطيني ايمانك وعهودك وذمامك على الوفاء ففعل فانفردت به وجعلت يدي مقابلة للشمس واريته الخاتم واقمت فصه في شعاع الشمس فكاد يخطف بصره ورأى مالم يكن رآه فهاله وقال لي استره وقل لي خبره قلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه ياقوت احمر وهو الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل ويعرف بالجبل ولا يقوم امر الخلافة الا به وكان مخبوءاً ببغداد فأمرني الخليفة ان احمله في جملة ما حملته وحيث حصل عندك فالراي ان تمتنع من اعطاه الا بمائة الف دينار وهم لم يقدروا عليك فيضطروا لانفاذ الثمن وارى ايضاً ان تاخذه وتنفذه الى

ناحية الشام وتوقفني على موضع حلتك وتخفي حصول الخاتم معك واني اذا حصلت بحضرة الخليفة وعرفته الخبر جاءتك رسله بالرغائب حتى يرتجعه منك بأي ثمن قال فاذا خذ من ثيابك ماتريد فاخذت من ثيابي ما احتجت اليه واخذ الخاتم فخباه في جيبه واركبني راحلة موطاة واعطاني اداتين كبيرتين وسار معي والناس يهلكون عطشاً ولم يزل يسيرني حتى بلغت الى حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء هشام بن عبد الملك فيه رجل من بني امية يكنى بابي مروان معه في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده وامنت انصرفت الاعراب وعرفت ابا مروان خبري في القطع ومن انا فاعظم امري واكرمني وانفذ معي من اصحابه من بلغني الرقة سالماً * عن رجل من الدقاقين في دار بن الزبير بالبصرة قال اورد على رجل غريب سفتجة بأجل وكان يتردد عليّ الى ان حلّ ميعاد السفتجة ثم قال دعها عندك حتى آخذها متفرّقة وكان يجيء في كل يوم فياخذ بقدر نفقته الى ان نفذت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني اخرج كيساً من صندوقي فاعطيه منه فقال لي يوماً ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على ماله والذي ينفي الظن عن اهله وعياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه وارى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت له من فلان بن فلان الاقفالي عند باب الصفارين قال فما شعرت يوماً وقد جئت الى دكاني فطلبت صندوقي لآخذ شيئاً من الدراهم فحمل اليّ ولما فتحته وجدته خالياً من الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرّابات شيئاً قال لا فقلت فتش هل ترى في الدكان نقباً قال لا فقلت من السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان الدراهم قد ذهبت فقلق الغلام فسكنته وقمت لا ادري ما اصنع وتأخر الرجل عني فلما غاب اتهمته وذكرت مسألته عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله قال رسمي ان أدرّب درّابين والدرابات في المسجد فأحملها في دفعات اثنين او ثلاثة فاشرحها ثم افعل كذا وكذا فقلت البارحة واليوم فعلت قال نعم فقلت فاذا مضيت لترد الدرابات او تحضرها فلمن تدع الدكان قال خالياً قلت من هنا وقع الشر ومضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم رجل من صفته كذا وكذا واعطاني صفة صاحبي تماماً فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت انا وذهب الغلام بحمل الدرابات فدخل هو الى الدكان فاختبىء فيه ومعه مفتاح القفل الذي يقع على قفلي وانه اخذ الدراهم

وجلس طول الليل خلف الدرابات فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل بعض الدرابات ليرفعها خرج هو وانه مافعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من يسأل عني فعرّفه اني خرجت الى ضيعتي قال ثم خرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدي بطلب الرجل بواسط قال فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً في الكتبيين بواسط لانزله فارشدت اليه فصعدت فاذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال قدم رجل من البصرة امس فقلت اي شيء صفته قال فوصف لي صاحبي بعينه فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتاً بجانبه ورصدت البيت حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه فأخذته وخرجت واقفلت الباب ونزلت في الحال الى السفينة التي جئت فيها ودعوت الملاح وانحدرت الى البصرة فما اقمت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى منزلي بمالي عينه * حدثني عبدالله بن محمد البصري قال حدثني اكار بنهر سايس يقال له سارح قال خرجت من نهر سايس الى موضع من طرف يقال له كوخ راذويه فبلغني ان في طريقي رجلاً يقطع الطريق وحده وحذرت منه فلما خرجت من القرية رأيت رجلاً تدل فراسته على شدته ونجدته وفي يده زقاية فجسرني على الطريق فترفقنا فانتهينا الى سقاية في البرية فخرج علينا اللص متحزماً متسلحاً فصاح بنا فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره واخذ عصاة وبادر اللص وضربه بها فعطل اللص الضربة واستلقاها على سيفه فقطع العصاة ثم ضرب بسيفه رجل الرجل فأقعده ثم وثبه بالسيف حتى قتله وحمل عليّ ليقتلني فقلت له ما حاربتك ولا امتنع من اخذك ثيابي فلاي شيء تقتلني فقال استكتف فاستكفت فكتفني بتكتي ثم حمل الثياب وانصرف وبقيت متحيراً مشفياً على التلف بالعطش والشمس والوحوش فما زلت اتمطى في التكة الى ان قطعتها فقمت امشي الى ان جنبني الليل فرأيت في الصحراء على بعد ضوء نار خفياً فقصدته فمشيت الى نصف الليل فوجدته يخرج من قبة في الصحراء فقربت منها واطلعت فاذا هو اللص جالس في القبة يشرب نبيذاً ومعه امرأته فلما ابصرني صاح وتناول السيف وخرج اليّ فما زلت اناشده واحلف له انني ما علمت انه هو ولا قصدته وانما رأيت النار فقصدتها فلم يعبأ بقولي وحلفته المرأة ان لا يقتلني بحضرتها فجذبني الى نهر جار يقرب من القبة وطرحني على شاطئه تحته وجرّد سيفه ليذبحني فسمع صوت اسد قريباً فارتعدت يده وسكن واخذ يسكني فآنست بالسبع

استيحاشاً منه وزدت في الصياح فما شعرت الا والسبع قد تناوله من صدري فقمت فاخذت السيف وجئت الى القبة فلم تشك الجارية اني هو فقالت قتلته فقلت لها الله عز وجل قتله وقصصت عليها القصة وسألتها عن شأنها فقالت انا امرأة من القرية الفلانية اسرني هذا الرجل وخبأني في هذا الموضع وهو يتردد اليّ في كل ليلة فارهبتها فدلتني على دفائن له في الصحراء فاستخرجتها وحملت الجارية وبلغتها القرية وسلمتها فيها وفزت بمال عظيم اغناني عن مقصدي فعدت الى بلدي * وحدثني ايضاً عن ابن الدانيري التمار الواسطي قال حدثني غلام لي قال كنت ناقداً ابا الابلة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عيناً وورقاً ولففتها في فوطة واستعديت على السفر مساء الى الابلة فما زلت اطلب ملاحاً فلم اجد الى ان رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة فسألته ان يحملني فسهل عليّ الاجرة وقال انا راجع الى منزلي بالابلة فانزل فنزلت قال وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا الى ان تجاوزنا مسماران فاذا رجل ضرير على الشط يقرأ احسن قراءة تكون فلما رآه الملاح كبّر وصاح هو بالملاح احملني فقد جنبني الليل واخاف على نفسي فشتمه الملاح فقلت احمله فدخل الى الشط فحمله فلما حصل معنا رجع الى قراءته فخلب عقلي بطيبها فلما قربنا من الابلة قطع القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع الى الابلة فلم ارَ الفوطة فقمت واقفاً فاستغاث الملاح وقال الساعة تقلب الخيطية وخاطبني بخطاب من لا يعلم حالي فقلت ياهذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار فلما سمع ذلك بكى وقال لم ادخل الشط بعد ولا لي موضع اخبىء فيه شيئاً فتتهمني بسرقته ولي اطفال وانا ضعيف فالق الله عز وجل وفعل الضرير مثل ذلك ففتشت الخيطية فلم اجد شيئاً فوجمت وقلت هذه محنة لا ادري كيف اتخلص منها وخرجنا فعملت على الهروب واخذ كل واحد منا طريقاً وبت ولم امض الى صاحبي وانا بليلة عظيمة فلما اصبحت عملت على الرجوع الى البصرة لاستخفي فيها اياماً ثم ارجع الى بلد شاسع فانحدرت وخرجت من مشرعة بالبصرة وانا امشي واتعثر وابكي قلقاً على فراق اهلي وولدي وذهاب معيشتي وجاهي اذ اعترضني رجل فقال لي ياهذا ما وراءك ولماذا انت قلق البال فاعرضت عنه فاستحلفني فاخبرته بالايجاز على سبيل السلوى فقال امض الى السجن ببني نبير واشتر معك خبزاً وشواء جيداً وحلوى وسل السجان ان يوصلك الى رجل محبوس هناك يقال له ابو بكر البغاش وقل له اني زائره فانك لاتمنع فان منعت وهبت للسجان شيئاً يسيراً فانه يدخلك اليه فاذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه

حتى تجعل بين يديه مامعك فاذا اكل وغسل يده يسألك عن حاجتك فاخبره خبرك فانه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك قال فشكرته وانصرف وفعلت ذلك ووصلت الى الرجل فاذا شيخ مثقل بالحديد فسلمت عليه وطرحت مامعي بين يديه فدعى رفقاء كانوا معه وأقبلوا يأكلون فلما استوفى وغسل يده قال من أنت وما حاجتك فشرحت له القصة فقال امض الساعة لوقتك ولا تتأخر الى بني هلال فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي الى آخره فانك تشاهد باباً شعثاً فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي الى بابين فادخل الايمن منهما فسيدخلك الى دار فيها أوتاد وبواري وعلى كل وتد ازار ومئزر فانزع ثيابك والقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالازار فيجيء قوم يفعلون كما فعلت الى ان يتكاملوا ثم يأتون بطعام فكل معهم وتعهد ان تفعل في كل شيء كما يفعلون فاذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم اقداحاً يسيرة ثم خذ قدحاً كبيراً واملاه وقم فقل هذا شادي خالي ابو بكر البغاش فسيضحكون ويفرحون ويقولون هو خالك فقل نعم فسيقومون ويشربون لي فاذا تكامل شربهم لي جلسوا فقل نعم خالي يقرأ عليكم السلام ويقول لكم بحياتي يافتيان ردوا على ابن اختي الفوطة التي اخذتموها أمس في السفينة بنهر الابلة فانهم يردونها عليك فخرجت من عنده وفعلت ماقال ووجدت الصورة على ماذكر فردت الفوطة علي بعينها ولم يحل شدها فلما حصلت لي قلت لهم يافتيان هذا الذي فعلتموه بي هو قضاء لحق خالي ولي حاجة تخصني فقالوا مقضيه فقلت عرفوني كيف أخذتم الفوطة فامتنعوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة ابي بكر البغاش فقام واحد منهم وأومىء الى رجل فتأملته جيداً فاذا هو الضرير الذي كان يقرأ وانما يتعامى وأومىء الى آخر وقال اتعرف هذا فتأملته فاذا هو الملاح بعينه فقلت كيف فعلتما فقال الملاح انا ادور المشارع في اول اوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامي فأجلسته حيث رأيت فاذا رأيت من معه شيئاً له قدر ناديته وأوجبت الاجرة عليه وحملته فاذا بلغت الى القارىء وصاح بي شتمته حتى لايشك الراكب في براءة ساحتي فان حمله الراكب فذاك وان لم يحمله رققت عليه حتى يحمله وجلس هذا يقرأ بقراءته الطيبة ويذهل الرجل كما ذهلت انت فاذا بلغت الموضع الفلاني فان فيه رجل متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة والراكب لايفطن له فيأخذ الاعمى الشيء الذي مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه في القوصرة ويأخذه هذا ويسبح الى الشط فاذا أراد الراكب النزول وافتقد مامعه عملنا كما رأيت

فلا يتهمنا ونتفرق فاذا كان في الغد اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه واليوم كان يوم القسمة فلما جئت برسالة استاذنا خالك سلمنا اليك الفوطة قال فأخذتها وانصرفت الى بلدي عاجباً حامداً * حدثني عبد الله بن محمد الصروري قال حدثني بعض اخواني انه كان ببغداد رجل يتلصص في حداثته ثم تاب وصار بزازاً قال فانصرف ليلة من دكانه وقد أغلقه فجاء رجل لص متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعه صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس واعطاه الشمعة في الظلمة وقال اشعلها وجئني بها فان لي في هذه الليلة في دكاني شغلاً فمضى الحارس وأشعل الشمعة وركب اللص المفاتيح على الاقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة مشعلة فأخذها منه وهو لايتبين وجهه وجعلها بين يديه وفتح سفط الحساب فاخرج مافيه وجعل ينظر في الدفاتر ويوري بيده انه يحسب فدخلت الحيلة على الحارس ولم يشك انه هو صاحب الدكان الى ان قارب السحر فاستدعاه اللص وكلمه من بعيد وقال له اطلب لي حمالاً فجاء بحمال فحمل عليه من متاع الدكان اربع رزم واقفل الدكان وانصرف معه واعطى الحارس درهمين فلما اصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتحه فقام اليه الحارس يدعوا له فعل الله بك وصنع كما اعطيتني البارحة الدرهمين قال فانكر الرجل ماسمع ولم يرد جواباً وفتح الدكان فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحاً وفقد الرزم الاربع فاستدعى الحارس وقال من الذي حمل الرزم البارحة معي فقال قد استدعيت فلاناً الحمال وهو الذي حملها فقال له علي به فمضى الحارس وجاء بالحمال فأغلق الرجل الدكان واخذ الحمال معه ومشى وقال له الى اين حملت الرزم البارحة فاني كنت منتبذاً فقال الى المشرعة الفلانية واستدعيت لك فلاناً الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال اين عديت اليوم يا أخي الذي كان معه الاربع رزم فقال الى المشرعة الفلانية فقال اطرحني اليها فطرحه فقال من حملها قال فلان الحمال فدعى به فقال امش فمشى واعطاه شيئاً واستدل منه برفق على الموضع الذي حمل اليه الرزم فجاء به الى باب غرفة في موضع بعيد عن الشط قريب من الصحراء فوجد الباب مقفلاً واستوقف الحمال الى ان فتش القفل وفتح الباب ودخل فوجد الرزم فيه على حالها فدعى الحمال وحملها عليه ووجد بركاناً فاخذه ايضاً ووضعه مع الرزم وحين خرج من الغرفة استقبله اللص وفهم الامر فاتبعه الى الشط فجاء الى المشرعة ودعى الملاح ليعبر فدعى الحمال من يحط عنه فجاء اللص فحط عنه كأنه مجتاز متطوع ثم

ادخل الرزم الى السفينة مع صاحبها الى ان انتهى الي اليركان فأخذه ووضعه على كتفه وقال للتاجر يا اخي استودعتك الله قد ارتجعت رزمك فدع كسائي فضحك منه وقال انزل ولاخوف عليك فنزل معه فاستتابه ووهب له شيئاً ولم يسىء اليه * عن رجل يعرف بأبي العرب قال كنت مع اهل قرية من نواحي الشام اسكنها انا واسلافي وكنت اطحن مع اهل القرية في رحى ماء على فراسخ من البلد يخرج اليها اهل البلد واهل القرى المجاورة بغلاتهم وتكثر فلا يتمكن من الطحن الا القوى فالقوى فمضيت مرة ومعي غلة وحملت معي خبزاً ولحماً مطبوخاً يكفيني لأيام وكان الزمان شتاء فلما وصلت حططت اعدالي وانتظرت حتى يخف الناس فاطحن فيها على عادتي فأخذني الجوع فتحولت الى موضع نزه وفرشت سفرتي لآكل فاجتاز بي رجل عظيم الخلقة فدعوته الى الاكل فلم يتأخر وجلس فاكل جميع ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا أوقية واحدة فعجبت من ذلك عجباً بان له مني فأمسكت وغسلنا ايدينا فقال على أي شيء مقامك هنا قلت لاطحن هذه الغلة قال ولم لم تطحنها فأخبرته بسبب بعد ذلك علي فثار كالجمل حتى شق الناس وهم مزدحمون على الرحى وهي تدور فجعل رجله عليها فوقفت ولم تدر فعجب الناس وقال من فيكم يتقدم فجاء رجل معجب بشدته فأخذ بيده ورمى به كالكورة وجعله تحت رجله الاخرى فما قدر ان يتحرك وقال قدموا غلتي الى الطحن والا كسرت الرحى وكسرت عظام هذا فقالوا لي هات الغلة فجئت بها فطحنت وفرغ منها وجعلها في الاعدال وقال لي قم فقلت الى اين قال الى منزلك فقلت لا أسلك الطريق وحدي فهو مخيف ولكن اصبر حتى يفرغ اهل قريتي فارجع معهم فقال قم وانا معك ولست تخاف باذن الله عزوجل فقلت في نفسي من كانت تلك قوته يجب ان آنس به فقمت وحملت الغلة على الحمير وسرنا ولم نر في طريقنا أحداً فلما بلغت المنزل عجب قومي من سرعتي وورودي بالغلة لوحدي ورأوا الرجل وسألوني عن القصة فأخبرتهم وسألناه ان يقيم عندنا أياماً في ضيافتنا نفعل فذبحنا له بقرة واصلحنا له سكباجاً وقدم اليه فاكل الجميع بنحو المائة رطل خبزاً فقال له أبي ياهذا مارأيت مثلك قط فأي شيء انت ومن اين معاشك قال انا رجل من الناحية الفلانية وكان لي اخ اشد بدناً وقلباً مني اسمه عاد واسمي شداد وكنا نبدرق القوافل من قريتنا الى مواضع كثيرة لانستعين بأحد وتخرج علينا الرجال الكثيرة فالقاهم انا واخي فقط ونهزمهم واشتهر أمرنا حتى كان اذا قيل قافلة عاد وشداد لم يعرض لها

احد فمكثنا بذلك سنين كثيرة نخرجنا مرة انا وأخي نسير قافلة قد خفرناها فلما صرنا بالفلاة رأينا سواداً مقبلاً نحونا فانتظرنا ان يقدم علينا احد ثم بان لنا شخص وهو رجل اسود على ناقة حمراء ثم خالطنا وقال هذه قافلة عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا للبراز فانقضضنا عليه فضرب ساق اخي بالسيف ضربة اقعدته وعاد الي فقبض على كتفي فما اطقت الحركة فكتفني ثم كتف أخي وطرحنا على الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد ان اخذ من القافلة ما كان فيها من عين وورق وحلى وشيئاً من الزاد واوقر الراحلة بذلك وسار بنا على غير محجة في طريق لانعرفه بقية يومنا وليلتنا وبعض الثاني حتى أتى جبلان لانعرفهما واوغل فيهما وانتهى الى مغارات واناخ الراحلة ثم رمى بنا عنها وتركنا في الكتاف وجاء الى مغارة على بابها صخرة لاينقلها الا الجماعة الكثيرة فنحاها عن الباب واستخرج منها جارية حسناء وسائلها عن خبرها وجلسا يأكلان مما جاء به من الزاد ثم قال لها قومي فقامت فدخلت الى الغار ثم جاء الى أخي فذبحه وانا اراه وشواه واكله وحده حتى لم يدع منه غير عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت فجعلا يشربان فلما توسط شربه جرني فلم اشك في ان يريد ذبحي فاذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات وحل كتافي واطبق الباب بصخرة عظيمة قال فايست من الحياة وعلمت انه انما اخرني لغد فلما كان في الليل لم احس الا بالمرأة تكلمني فقلت مالك فقالت ان هذا العبد قد سكر ونام وهو يذبحك في الغد كما ذبح صاحبك فان كانت لك قوة فاجتهد في دفع الصخرة واخرج واقتله وانج بنفسك وبي فقلت ومن أنت فقالت انا امرأة من اهل البلد الفلاني ذات نعمة خرجت اريد ارضاً بالبلد الفلاني فخرج هذا عدو الله على القافلة التي كنت فيها فاستهلكها واخذني غصباً وانا منذ كذا وكذا شهراً على هذه الصورة ويرتكب مني الحرام واشاهد ذبح الناس واكله لهم ولايوصف له انسان بشدة بدنه الاقصده ثم يقهره ويجيء به فيأكله ويعتقد ان شدته تنتقل اليه واذا خرج حبسني في الغار وخلف عندي مأكولاً وماء لايام ولو اتفق انه يحتبس عني ولو يوماً لمت جوعاً وعطشاً فقلت اتني والله ما اطيق قلع الصخرة قالت ويلك فجرب نفسك قال فجئت الى الصخرة واعتمدتها بقوتي فتحركت فنظرت فاذا قد وقعت تحت الصخرة حصاة صغيرة وقد صارت الصخرة متركبة تركيباً صحيحاً وذلك لما أراده الله سبحانه وتعالى من خلاصي فقلت لها ابشري ولم ازل اجتهد حتى زحزحت الصخرة شيئاً امكنني الخروج منه قال فخرجت واخذت سيف الاسود

واعتمدت بكلتا يدي وضربت ساقيه فاذ قد ابنت احدهما وكسرت الاخرى فانتبه ورام الوثوب فلم يقدر فضربته الاخرى على حبل عاتقه فسقط فضربته اخرى فابنت رأسه وعمدت الى المغارات واخذت كلما وجدت فيها من عين وورق وجوهر وثوب فاخر خفيف الحمل واخذت زاداً لايام وركبت راحلته واردفت المرأة ولم ازل اسير في طريق لا اعرفها حتى وقفت على محجة فسلكتها فافضت بي الى بعض القرى فسلمت الراحلة الى المرأة واعطيتها نفقة تكفيها الى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت الى بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عز وجل ان لا اتعرّض للطريق ولا للخفارة ابداً فانا اتاجر في ضياع اشتريتها من ذلك المال وغيره واقوم بعمارتها واعيش من غلتها الى الآن * وعن رجل كردي يعرف بابي علي كان قد انحاز الى عمران بن شاهين بن عبد حسنويه بن الحسن الكردي وكان شجاعاً قال خرجنا مرة بالجبال في ايام موسم الحاج وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجل فاعترضنا الحاج للخراسانية وكان لنا عين من القافلة فعاد وعرفنا ان في القافلة رجل من اهل شاس وفرغانة معه اثنى عشر جملاً وجارية في قبة عليها حلى ثقيل فجعلنا اعيننا عليه حتى وثبنا عليه هو والجارية في عماريته فقطعنا قطاره وكتفناه وادخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على مامعه وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون اصفر يساوي مائتي درهم فلما رآنا نريد القفول قال يافتيان هنا كم الله بما اخذتم ولكنني رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرّضوا لحظ الله بمنعي من الحج فاما المال فيذهب ويجيء وتعلمون انه لا نجاة لي الا على هذا البرذون فاتركوه لي فليس يبين ثمنه في الغنيمة التي اخذتموها فتشاورنا فقال شيخ مجرّب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفاً هنا فان كان في اجله تأخير فسيقيض له من يحل كتافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا مامقدار دابة بمائتي درهم حتى نمنعها رجل حاج وجعلوا يرققون بقلوب الباقين حتى سمحنا بذلك فاطلقناه ولم ندع عليه الا ثوباً يستر عورته فقال يافتيان انتم منتم عليّ ورددتم دابتي واخشى اذا انا سرت ان يأخذها غيركم فاعطوني قوسي ونشابي اذب بها عن نفسي وفرسي فقلنا لا نرد سلاحاً على احد فقال بعضنا لبعض وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا فاعطيناه قوسه ونشابه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا ومضى حتى غاب عن اعيننا فما كدنا نسير والجارية تبكي وتقول انا حرة ولا يحل لكم ان تاخذوني فنحن في هذا واذا بالرجل قد كرّ راجعاً وقال يافتيان انا لكم ناصح فانكم قد احسنتم اليّ ولا بد لي من مكافأتكم على احسانكم بنصيحتي لكم فقلنا

ما نصيحتك فقال دعوا مافي ايديكم وانصرفوا سالمين بانفسكم ولكم الفضل فانكم منتم على رجل واحد وانا آمن على سبعين رجلاً منكم واذا به قد انقلبت عيناه في ام راسه وخرج الزبد على اشداقه كالجمل الهائج فهزانا به وضحكنا فأعاد علينا النصيحة فقال ياقوم قد منت عليكم لا تجعلوا لارواحكم سبيلاً فزاد غيظنا عليه فقصدناه وحملنا عليه فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل بها منا خمسة انفار واخذ خمسة اخر وقال ان جماعتكم تموت على هذا ان لم تخلوا عن مافي ايديكم فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلاً وبقي معه النشاب في جعبته ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطررنا الى ان ترجلنا فحاز دوابنا وحده وساقها قليلاً ثم رجع وقال اطالبكم بحلمكم من رمى بسلاحه فهو آمن ومن تمسك به فهو ابصر فرمينا سلاحنا فقال آمنين واخذ جميع السلاح والدواب وفائتنا الغنيمة والخيل والسلاح وكان ذلك سبب توبتي عن قطع الطريق انفة لما لحقني منه وانا على ذلك الحال الى اليوم

الباب الثاني عشر

﴿ من ألجأه الخوف الى هربٍ واستتار * فادرك بأمن ومستجد نعم ومسار ﴾

* عن محمد بن زكريا العلائي قال غنى الرشيد يوماً بهذا الشعر

الا هل الى شم الخزامى ونظرة ... الى قرقرى قبل الممات سبيل
فيا اثلاتَ القاع من بطن توضح ... حنيني الى اضلالكنَّ طويل
اريد نهوضاً نحوكم فيصدّني ... اذا رمته دينٌ عليَّ ثقيل

قال مؤلف الكتاب ووجدت الشعر في غير هذه الرواية

و يا اثلات القاع قد ملّ صحبتي ... صحابي فهل في ظلكنَّ مقيل
احدث نفسي عنك ان لست راجعاً ... اليك فحزني في الفؤاد دخيل

(رجع للحديث) فاستحسن الرشيد الشعر وسال عن قائله فعرف انه ليحيى بن طالب الحنفي اليمامي فقال هو حيٌّ ام ميت فقال بعض الحاضرين هو حيٌّ كميت فقال ولِمَ قال هرب من اليمامة لدين عليه ثقيل فصار الى الري فامر الرشيد ان يكتب الى عامله بالري يعرفه ذلك وان يدفع اليه عشرة آلاف درهم ويحمل الى اليمامة على دواب البريد وكتب الى عامله باليمامة بقضاء دينه فلما كان بعد ايام قال الرشيد لمن حضره ان الكتب وردت بامتثال

ما امرت به وعاد يحيى الى وطنه مسرورًا وقد قضي دينه عنه من غير سعي منه في ذلك

* ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني عبد الواحد بن محمد يعني الحصني قال حدثني يموت بن المزرع قال كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد وكثر عليه في امره فأمر عليه بأمر غايظ فهرب الى اليمن وكان مقيماً فيها على خوف وتوق فاحتال يحيى بن خالد الى ان اسمع الرشيد شيئاً من خطبه ورسائله فاستحسنها الرشيد وسأل عن الكلام لمن هو فقال يحيى هو كلام العتابي وان رأيت يا امير المؤمنين ان يحضر حتى يسمع الامين والمامون و يضع لهما خطباً لكان في ذلك صلاح لهما فأمنه الرشيد وامر باحضاره ثم لما اتصل خبر ذلك بالعتابي قال يمدح يحيى ابن ابي خالد

مازلتُ في سكرات الموت مطّرحًا ... قد غاب عني وجه الارض من خبلي
فلم تزل دائبًا تسعى لتنقذني ... حتى اختلست حياتي من يد الاجل

* ذكر في بعض كتب الدولة ان ابا سلمة الخلال لما قوى الدعاة وشارفوا العراق وقد ملكوا خراسان وما بينها و بين العراق استدعى لبني العباس فسيرهم في منزله بالكوفة وكان له سرداب فجعل فيه جميع من كان حيًا في ذلك الوقت من ولد عبد الله بن العباس وفيهم السفاح والمنصور وعيسى بن موسى وهو يراعي الاخبار وكان الدعاة يامرون بقصده اذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الامام فيسلمون الامر اليه فلما اوقع قحطبة وابن هبيرة الوقعة العظيمة على الفرات وغرق قحطبة وانهزم ابن هبيرة ولحق بواسط وتحصن بها ودخل ابنا قحطبة الكوفة بالعسكر كله قالوا لابي سلمة اخرج الينا الامام فدافعهم وقال لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الامام واخفى الخبر عن بني العباس وعمل على نقل الامر عنهم الى ولد فاطمة رضي الله عنهم وكاتب جماعة منهم فتا خروا عنه وساء ظن بني العباس فاحتالوا حتى اخرجوا مولى لهم اسود كان معهم في السرداب وقالوا له اعرف لنا الاخبار فصار يعرفهم ان قحطبة غرق وان ابن هبيرة انهزم وان ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا فقالوا اخرج وتعرض لابني قحطبة واعلمهما بمكاننا ومرهما ان يكبسا الدار علينا ويخرجانا فخرج المولى وكان حميد بن قحطبة عارفًا به فتعرض له فلما رآه اعظم رؤيته وقال و يلك ما فعل سادتنا واين هم فخبره بخبرهم وارى اليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وابو سلمة غافل فجاء حتى ولج الدار واراه الاسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال السلام عليكم ورحمة

الله و بركاته فقالوا وعليكم السلام فقال ايكم ابن الحارثية وكانت ام ابي العباس عبدالله ابن محمد بن علي بن عبدالله وكان ابراهيم بن محمد الذي يقال له الامام لما بث الدعاة قال لهم ان حدث بعدي حدث فالامام ابن الحارثية الذي معه العلامة وهي (ونريد أن نمنَّ على الذينَ استضعفوا في الارضِ ونجعلهمْ أئمَّةً ونجعلهمُ الوارثين ونمكّنَ لهمْ في الارضِ الى قوله تعالى ما كانوا يحذرون) قال فلما قال ابن قحطبة ايكم ابن الحارثية ابتدره ابو العباس وابو جعفر كلاهما يقول انا ابن الحارثية فقال ابن قحطبة فأيكما معه العلامة فقال ابو جعفر فعلمت اني قد اخرجت من الامر لانه لم يكن معي علامة فقال ابو العباس ونريد ان نمنَّ وتلا الآية فقال له حميد بن قحطبة السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله و بركاته مد يدك فبايعه ثم انتضى سيفه وقال بايعوا امير المؤمنين فبايعه اخوته وبنو عمه وعمومته والجماعة الذين كانوا معه في السرداب واخرجه الى المنبر بالكوفة واجلسه عليه فحصر ابو العباس عن الكلام فتكلم عنه عمه داود بن علي فقام دونه عمه على المنبر بمرقاةٍ وجاء ابو سلمة وقد استوحش وخاف فقال حميد يا ابا سلمة زعمت ان الامام لم يقدم بعد فقال ابو سلمة انما اردت ان ادفع بخروجهم الى ان يهلك مروان وان كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا وان هلك مروان اظهرت امرهم على ثقة فاظهر ابو العباس قبول هذا العذر منه واقعده الى جانبه ثم دبر عليه بعد مدة حتى قتله وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق فقالوا قدم ابو العباس السفاح واهله على ابي سلمة سرًّا فستر امرهم وعزم ان يجعلها شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من ارادوا ثم قالوا خاف ان لا يتفق الامر فعزم ان يعدل بالامر الى ولد الحسن والحسين رضي الله عنهم وهم ثلاثة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وعبدالله ابن الحسن بن الحسين بن علي وعمر بن علي بن الحسن ووجه بكتبهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد فلقيه ليلاً فاعلمه اني رسول ابي سلمة وان معه كتاباً اليه فقال ما أنا وابو سلمة هو شيعة لغيري فقال له الرسول لتقرأ الكتاب وتجيب عنه بما رأيت فقال جعفر لخادمه قرب مني السراج فقربه فوضع عليه كتاب ابي سلمة فاحرقه فقال الا تجيب عنه فقال قد رأيت الجواب ثم اتى عبدالله بن الحسين فقبل كتابه وركب الى جعفر فقال جعفر امر جاء بك يا ابا محمد لو اعلمني لجئتك فقال واي امر هو مما يجل عن الوصف فقال وما هو قال هذا كتاب ابي سلمة يدعوني الى الامر ويراني احق الناس به وقد جاء به شيعتنا من خراسان فقال له جعفر رضي الله

ومتى صاروا شيعتك انت وجهت ابا مسلم الى خراسان وامرته بلبس السواد اتعرف احداً منهم باسمه ونسبه قال لا قال كيف يكونوا شيعتك وانت لا تعرف واحداً منهم ولا يعرفونك فقال عبدالله هذا الكلام كان منك لشيء فقال جعفر قد علم الله تعالى اني اوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف ادخره عنك فلا تمنّين نفسك الاباطيل فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم وما هي لاحد من ولد ابي طالب وقد جاءني مثل ماجاءك فانصرف غير راض بما قال له واما عمر بن علي بن الحسن فرد عليه الكتاب وقال لا اعرف من كتبه قال وابطأ ابو سلمة على ابي العباس ومن معه فخرج اصحابه يطوفون بالكوفة فلقي حميد بن قحطبة ومحمد بن صول احد مواليهم فعرفاه لانه كان يحمل كتب محمد بن علي وابراهيم بن محمد اليه فسألاه عن الخبر فاعلمها ان القوم قد قدموا وانهم في سرداب يعرف ببني اود فصارا الى الموضع فسلما عليهم وقالا ايكما عبدالله فقال المنصور وابو العباس كلانا عبدالله فقال ايكما ابن الحارثية فقال ابو العباس انا فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ودنوا فبايعوه واحضروه الى المسجد الجامع فصعد على المنبر فحصر وتكلم عنه عمه داود بن علي وقام دونه ببرقاة * وعن طارق ابن المبارك عن ابيه قال جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لي يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وانا حديث السن كثير العيال منتشر الاموال فما اكون في قبيلة الا وشهر امري وقد عزمت ان افدى حرمي بنفسي وانا صائر الى باب الامير سليمان بن علي فصر اليّ فوافيته فاذا عليه طيلسان مطبق ابيض وسراويل وشيء مشدود فقلت سبحان الله ماتصنع الحادثة باهلها ايها الانسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاءهم وعليك مثل هذا قال والله ماذهب عليّ ذلك ولكن ليس عندي ثوب الا اشهر من ذلك فاعطيته طيلساني واخذت طيلسانه ولويت سراويله الى ركبته فدخل ثم خرج مسروراً فقلت حدثني بما جرى بينك وبين الامير قال دخلت اليه ولم يرني قط فقلت ايها الامير لفظتني البلاد اليك ودلني فضلك عليك فاما قبلتني غانماً واما رددتني سالماً فقال من انت فانتسبت اليه فقال مرحباً اقعد فتكلم غانماً مسروراً ثم اقبل عليّ وقال ماحاجتك يا ابن اخي فقلت ان الحرم اللواتي انت اقرب الناس اليهن قد خفن بخوفنا ومن خاف خيف عليه فوالله ما اجابني عليه الا بدموع تسيل على خديه فقال يا ابن اخي يحفر الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك والله لو امكنني ذلك في جميع اهلك لفعلت ولكن كن متواريا كظاهر وآمناً كخائف ولتأتيني رقاعك قال

وكان والله يكتب اليه كما كان يكتب الرجل الى ابن عمه قال فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلاً فان ثيابنا اذا خرجت عنا لم ترجع الينا ووجدت هذا الخبر باسناد ليس هو لي برواية عن العتبي قال حدثنا طارق الزراع البصري ولم يتجاوزه قال قدم جدك عمرو بن معاوية البصري حين نكب بنو امية قال فجعل لا ينزل بحي الاّ اجهزوه واشتهر فقال لي اذهب بنا اضع يدي في يد هذا الرجل يعني سليمان بن يحيى وذكر نحوه وقال في آخره فلما صار عمرو الى منزله دفعت اليه ثوبه وطلبت ثوبي فردهما عليّ جميعاً وقال انا لم نأخذ ثوبك لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لنرده * عن عبدالله بن قيس الرّقيات قال لما خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر ممن معه دعاني ودعا بمال فملأ المناطق منه والبسني منها وقال امض حيث شئت فاني مقتول فقلت لا والله لا اروح حتى آتي سبيلك فأقمت معه حتى قتل ومضيت الى الكوفة فاول بيت دخلته اذا فيه امرأة معها بنتان لها كأنهما ظبيتان فرقيت في درجة لها الى مشرف فقعدت فيه قال فأصعدت لي ما احتاج اليه من الطعام والشراب والفرش والماء والوضوء فاقمت كذلك عندها اكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدوا عليّ في كل صباح فتسألني عن حوائجي فما سألتني من انا ولا انا سألتها من هي وانا في اثناء ذلك اسمع الصياح فيّ والجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصياح والجعل وعرضت بمكاني عادت اليّ تسألني ما الصياح والحاجة فاعلمتها اني قد عرضت بموضعي واحببت الشخوص الى اهلي فقالت لي يأتيك ماتحتاج اليه ان شاء الله تعالى قال فلما امسيت وضرب الليل بارواقه رقت اليّ وقالت ان شئت فنزلت وقد اعدت راحلتين عليهما جميع ما احتاج اليه ومعهما عبد واعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك فركبت وركب معي العبد حتى اتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من انت ياهذا فقلت عبدالله بن قيس الرّقيات فولولوا وبكوا وقالوا لم يردنا طلبك الا في هذا الوقت فوقفت عندهم حتى اسحرت ونهضت فقدمت المدينة ومعي العبد فجئت الى عبدالله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم وهو يعشي اصحابه فجلست معهم وجعلت اتعاجم واقول نبّا ربنا واي طيار فلما خرج اصحابه كشفت له عن وجهي فقال ابن قيس قلت عائذاً بك فقال ويحك ما اجدهم في طلبك واحرصهم على الطنز بك ولكني اكتب الى ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي زوجة الوليد ابن عبد الملك وعبد الملك ارق شيء عليها فكتب اليها يسألها

التشفع الى عمها عبد الملك فلما وصلها الكتاب دخلت على عمها فسألها هل من حاجة قالت نعم لي حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك قالت وان كان ابن قيس الرقيات فقال لا تستثنين عليّ ونفخ بيده فاصاب حر وجهها فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة وان كانت ابن قيس الرقيات فقالت تؤمنه فقد كتب اليّ يسألني ان اسئلك قال فهو آمن قالت فمر به يحضر المجلس العشية فحضر بن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فأخر الاذن لابن قيس واذن للناس فدخلوا واخذوا مجالسهم ثم اذن له فلما دخل عليه قال عبد الملك يا اهل الشام اتعرفون هذا قالوا لا قال هو ابن قيس الرقيات الذي يقول

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء

فقالوا ياامير المؤمنين اسقندم هذا المنافق قال الآن وقد امنته وصار في منزلي وعلى بساطي وقد اخرت الاذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستأذنه ابن قيس ان ينشده مديحه فأذن له فانشدته قصيدته التي يقول فيها

عادَ لهُ من كثيرة الطربُ فعينه بالدموع تنسكبُ
والله ما ان صبت اليّ فلا يعرف بيني وبينها نسبُ
الا الذي اورثت كثيرة في ال قلب ولحبّ سورة عجبُ

حتى قال فيها

ان الاغر الذي ابوه ابو ال معاص عليه الوقار والحجبُ
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهبُ

فقال له عبد الملك يا ابن قيس امتدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب ابن الزبير

انما مصعب شهاب من الـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

اما الامان فقد سبق لك ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء ابدًا واخبرني ابو الفرج المعروف بالاصفهاني عن حماد بن اسحاق عن ابيه ان عبدالله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك ابن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله فاستجار بعبدالله بن جعفر وقصده فالتقاه نائمًا وكان ابن قيس صديقًا لسائب خاثر فطلب الاذن على ابن جعفر فتعذر فجاء بسائب خاثر ليستأذن له فقال له سائب خاثر فجئت من قبل رجلي عبد الله

ابن جعفر ونبحت بنباح الجرو الصغير فانتبه ولم يفتح عينيه ورفسني برجله قال فدرت الى عند رأسه فنبحت بنباح الكلب الهرم فانتبه وفتح عينيه فقال مالك ويلك فقلت ابن قيس الرقيات بالباب فقال ائذن له فأذنت له ودخل فرحب به عبدالله وقرّبه فعرّفه ابن قيس خبره فدعى بظبية فيها دنانير وقال لي عد له مافيها فجعلت اعد له واطرب واحسن صوتي بجهدي حتى عددت له ثلثمائة دينار وسكت فقال عبدالله ويلك لماذا سكت ماهذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت اعد مافي الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها اليه فلما قبضها التفت لابن جعفر وقال له تسأل امير المؤمنين في امري قال نعم اذا دخلت عليه ثم انه دعى بالطعام فأكل اكلاً فاحشاً وركب ابن جعفر فدخل معه الى عبدالملك فلما قدم الطعام جعل يسيء الاكل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا قال هذا رجل لايجوز ان يكون كاذباً ان استبقى وان قتل كان اكذب الناس قال كيف قال لانه يقول

ما نقموا من بني امية الا انهم يحملون ان غضبوا

فان قتلته بغضبك عليه اكذبكم فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال قال احب ان تهب عطاءه لي أيضاً كما وهبت لي دمه قال قدفعلت وأمرت له بذلك * عن حماد الراويه قال كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك جعل هشام يجفوني دون سائر أهله من بني أمية في ايام يزيد فلما مات يزيد وافضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لا اخرج الا الى من اثق به من اخواني سرًّا فلما لم اسمع احداً يذكرني آمنت فخرجت فصليت الجمعة عند باب الفيل فاذا بشرطيين قد وقفا علي وقالا يا حماد اجب الامير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من هذا كنت احذر ثم قلت للشرطيين هل لكما ان تدعاني آتي بيتي فاودع اهلي وداع من لا يرجع اليهم أبداً ثم اصير معكما فقالا ما الى ذلك سبيل فاستسلمت في ايديهما وصرت الى الامير وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى اليّ كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام امير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ان يروّع ولا يتعتع وادفع اليه خمسمائة ديناراً وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتى عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الخمسمائة دينار واذا جمل مرحول فجعلت رحلي في الغرر وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام واستأذنت عليه فاذن لي فدخلت

عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مفتوت في اواني ذهب يقلبه بيده فتفوح رائحته فسلمت عليه فرد عليّ واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله واذا جاريتان لم أر مثلهما وفي اذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال لي كيف انت ياحماد وكيف حالك قلت بخير يا أمير المؤمنين قال اندري فيم بعثت اليك قلت لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر في بالي لم أدر من قائله قلت وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقلت هذا يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة له قال أنشدنيها فانشدته

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي الا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدري اذا كثر العذل فيها أعدوّ يلومني أم صديق
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق
ندمته على عقار كميت الـ ـلون صفى سلافها الراووق

قال فطرب ثم قال أحسنت ياحماد والله ياجارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي وقال اعد فاعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الأخرى اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي فقلت ان سقيت الثالثة افتضحت ثم قال لي سل حوائجك قلت كائنة ما كانت قال نعم قلت احدى الجاريتين قال هما لك بما عليهما وما لهما ثم قال للأولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتى اصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسي واذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة وقال لي احدهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك خذ هذا فانتفع به في سفرك فاخذتها والجاريتين وانصرفت * عن عبد الله بن عمران ابي فروة قال كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي من اشراف قيس وكان مع ابن الزبير فلما قتل دخل عبد الله بصفة اعرابي على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشى مع الناس فجلس واكل معهم

ثم وثب فقال

منع القرار فجئت نحوك هاربا جيش يجر ومقنب يتلمع

فقال اي الاخابيث انت فقال

ارحم اصيبية هديت كانهم حجل تدرّج بالسرية جوّع

فقال اجاع الله بطونهم فانت اجعتهم فقال

مال لهم مما تظن جمعته يوم القليب فخيز عنهم اجمع

فقال كسب سوء خبيث فقال

ولقد وطئت بنو سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعضع

وأرى الذين رجوا تراث محمد افلت نجومهم ونجمك يسطع

فقال الحمد لله على ذلك فقال

أدنوا لترحمني وتقبل توبتي واراك تدفعني فاين المدفع

فقال الى النار فقال

ضاقت ثياب الملبسين فأولني عرفاً والبسني فتوبك اوسع

قال فرمى اليه بمطرف خز كان عليه فقال عبد الله امنت والله فقال له عبد الملك كن من شئت الا عبد الله بن الحجاج فقال والله ما انا الا هو وقد امنتني اكلت طعامك ولبست ثيابك فأي خوف عليّ قال ما هداك الا جدك وامضى له الامان * ووجدت في بعض كتبي هذا الخبر ان ابن الزبير لما قتل اهدر عبد الملك دم عبدالله ابن الحجاج هذا فاشتد عليه الطلب فجاء ليلا ولم يكن عبد الملك ليجمع بين اسمه وجسمه فجلس بين الناس مستخفياً على الطعام الى ان اكل وتحرم وراه عبد الملك ثم قام وقال الابيات وموضوع هذا الخبر يدل على هذا ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله اعلم * عن ابي طالوت كاتب ابن طاهر قال سمعت الفضل بن الربيع يقول لما استترت عن المأمون اخفيت نفسي حتى على عيالي وولدي وكنت انتقل وحدي فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذري وخوفي على نفسي فتشددت في الاحتياط والتواري فافضيت الى منزل بزّاز كنت اعرفه في درب على باب الطاق وتشدد المأمون في طلبي فلم يعرف لي خبراً فتذكرني يوماً فاغتاظ على اسحق بن ابراهيم وجدّ به في طلبي فاغلظ له فخرج اسحاق من حضرته وجد باصحاب الشرط واوقع ببعضهم المكاره ونادى في الجانبين من جاء به فله عشرة آلاف درهم واقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل سنة وان كل من وجد عنده بعد النداء يضرب خمسماية سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره ويحبس طول عمره ونودي بذلك عشاة فما شعرت بصاحب الدار حتى دخل علي واخبرني به وقال والله ما اقدر بعد هذا على حفظ روحك ولا آمن على روحي

وغلماني وجاريتي ان تشره نفوسهم الى المال فيدلون عليك واهلك بهلاكك فان صفح الخليفة عنك لم آمن ان تتهمني اني دللت عليك فيكون ذلك اقبح وليس الرأي لك ولا لي الا ان تخرج فورد علي اعظم وارد فقلت اذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن يطيق الصبر على هذا وهذا وقت حارّ وقد طال عهد الناس بك فتنكر واخرج قلت وكيف اتنكر قال تأخذ لحيتك وتغطي رأسك وتلبس قميصاً ضيقاً وتخرج فقلت افعل فجاءه بمقراض فأخذ اكثر لحيتي وتنكرت وخرجت في اول اوقات العصر وانا ميت خوفاً فمشيت في المشارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو متزلق فلما توسطته فاذا بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون في داري ايام وزارتي قرب مني وقال طلبة أمير المؤمنين والله وعدل الي ليقبض علي فمن حلاوة النفس دفعته ودابته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر وتعادى الناس لخلاصه وظنوا انه زلق بنفسه وتشاغلوا به وزدت انا في المشي ولم اعد لئلا ينكر حالي من يراني الى ان عبرت الجسر ودخلت دار سليمان فوجدت امرأة على باب دار مفتوح فقلت لها يا امرأة انا خائف من القتل فأجيريني واحفظيني فقالت ادخل واومأت الى غرفة فصعدت اليها فلما كان بعد ساعة اذا بزوجها على الباب ففتحته له ودخل فتأملته فاذا هو صاحبي على الجسر وهو مشدود الرأس من شجة لحقته وسألته المرأة عن خبره فأخبرها بالقصة وقال لها قد زمنت دابتي وانفذتها لتباع في سوق اللحم وقد فاتني الغناء وجعل يشتمني وهو لا يعلم بوجودي معه في الدار وأقبلت المرأة تترفق به الى ان هدأ فلما صليت المغرب واقبل الظلام صعدت المرأة الي وقالت اظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت قد سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت لها ونزلت ففتحت الباب فتحاً رقيقاً وكانت الدرجة في الدهليز فافضيت الى الباب فلما انتهيت الى آخر الدرب وجدت الحراس قد اغلقوه فتحيرت فرأيت رجلا يفتح باباً بمفتاح رومي فقلت هذا رومي وهو ممن يقبل مثلي فدنوت وقلت استرني ستر الله قال ادخل فدخلت فرأيت رجلاً نقيراً وحيداً فأقمت ليلتي فبكر من غد ثم عاد نصف النهار ومعه حمالان يحمل احدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وغضائر جدد وقدر جديد والآخر يحمل خبز وفاكهة ولحم وثلج فدخل وترك ذلك كله عندي واغلق الباب فنزلت وعذلته وقلت له لم كلفت نفسك هذا فقال انا رجل مزين واخاف ان تستقذرني فاطبخ انت واطعمني في غضارة اجيء بها من عندي فشكرته على ذلك ومكثت عنده ثلاثة ايام

فلما كان اليوم الرابع ضاق صدري فقلت له الضيافة ثلاثة وقد احسنت واجملت واريد الخروج فقال لا تفعل فاني وحيد وخبرك لا يخرج من عندي ابداً فأقم الى ان يفرج الله عنك فلست اتثاقل بك فابيت للحين قال فخرجت حتى بلغت باب التين الى دار عجوز من موالينا فدفعت الباب عليها فخرجت فلما رأتني بكت وحمدت الله تعالى على رؤيتي وادخلتني الدار فلما كان في السحر وانا نائم غير مكترث وبكرت فسمعت الى ابواب اسحاق فما شعرت الا فاسحاق نفسه في خيله ورجله قداحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها حتى اوقفني بين يدي المامون حافياً حاسراً فلما رآني سجد طويلاً ثم رفع رأسه فقال يا فضل اتدري لم سجدت قلت شكراً لله على ظفرك بعدوك وعدو دولتك والمغري بينك وبين اخيك قال ما اردت هذا ولكن سجدت شكراً على ما الهمنيه من العفو عنك فحدثني بخبرك فشرحته له من اوله الى آخره فامر باحضار المرأة مولاتي وكانت في الدار تنتظر الجائزة فقال ماحملك على ما فعلتي مع انعامه وانعام اهله عليك قالت رغبة في المال قال هل لك ولد او زوج او اخ قالت لا فأمر بضربها مائتي صوت وتخليدها في الحبس ثم قال لاسحاق احضر الساعة الجندي وامرأته والمزين فاحضروا في المجلس فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على فعله فقال الرغبة في المال ووالله انه الذي اثبتني في الجيش ولكني رغبت في المال العاجل فقال انت بأن تكون حجاماً اولى بك من ان تكون من اوليائنا وامر بأن يسلم للمزينين في الدار ويوكل به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وامر باستخدام زوجته على قهرمه دور حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة وامر بتسليم دار الجندي وفراشه الى المزين وان يجعل رزقه له ويجعله جندياً مكان ذلك الجندي واطلقني الى داري فرجعت اليها آخر النهار آمناً مطمئناً ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا في كتاب الوزراء لابن عبدوس فانه ذكر ان الفضل ابن الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه الاخبار فغيّر زيه وخرج في السحر وكان استتر بناحية الخربية من الجانب الغربي فمشى وهو لا يدري اين يقصد لحيرته وبعد عهده بالطرق فادّاه المشي الى الجسر وقد اسفر الصبح فايقن بالعطب وقصد منزلاً لرجل كانت بينه وبينه مودة بسويقة نصر فلما صار صار ببعض المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم فتخفى حتى جاوزه الركبان والمنادي ومشى فرآه رجل فانتبه له وقال يا فضل وكان في احد جانبي الطريق الذي الفضل فيه فاومه الى الجانب الذي كان فيه

ليقبض عليه فاعترضته حمير وجمال عليها جص ونظر الفضل يميناً وشمالاً فلم يجد مذهباً وبصر بدرب فدخله فوجده لا ينفذ ووجد في صدره باباً مفتوحاً فهجم على المنزل وفيه امرأة فاستغاث بها فاجارته وبادرت الى الباب فاغلقته وناشدها الله ان تستره الى الليل فامرته بالصعود الى غرفة لها فلم يستقر به القعود حتى دق الباب فلما فتح الباب دخل الرجل الذي رآه وعزم على القبض عليه واذا المنزل له فقال لزوجته فاتني الساعة عشرة آلاف درهم قالت له وكيف ذلك قال لها مر بي الفضل فمددت يدي لاقبض عليه فابتلعته الارض فقالت له امرأته الحمد لله عز وجل على ان كفاك أمره وبقي دينك عليك ولم تكن سبباً لسفك دمه او مكروه يلحقه فلما خرج صعدت اليه فقالت قد سمعت وما هذا لك بموضع فخرج الى بعض منازل معامليه فلما صار اليه نبه العامل عليه واسلمه الى طالبيه فحمل الى المأمون فلما رآه وسأله عن خبره شرح له قصته فأمر للمرأة بثلاثين الف درهم وقال للرسول قل لها يقول لك الفضل هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل فردتها وابت قبولها وقالت لست آخذ على شيء فعلته لله تعالى جزاء الا منه * حدثنا ابو الحسن محمد بن عمر بن شجاع المتكلم البغدادي الملقب بجنيد قال حدثنا الفضل بن هامان السيرافي وكان مشهوراً بسلوك اقاصي بلاد البحر قال قال لي رجل من بعض ياسرة بلاد الهند واليسر هو المولود على ملة الاسلام هناك قال كان في احدي بلادهم ملك حسن السيرة وكان لا يأخذ ولا يعطي بمواجهة وانما كان يقلب يده وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاماً منهم للملك وسنة لهم هناك ولاولادهم وانه توفي فوثب رجل من غير اهل المملكة فاحتوي على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلب ورسوم ملوك الهند ان الملك اذا قام عن مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر مضروب بالابريسم في الصدرة ويكون فيها من الجوهر ما لو أراد ان يقيم به ملكه لاقامه قال ويقولون ليس بملك من اذا قام عن مجلسه وليست معه حتى اذا حدثت عليه حادثة وهرب بها امكنه اقامة ملك منها فلما حدث على الملك تلك الحادثة أخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكي عن نفسه انه مشي ثلاثة ايام قال ولم اطعم طعاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به ما كولا ولم اقدر على اظهار ما معي وانفت ان استطعم قال فجلست على قارعة الطريق فاذا رجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت أين تريد قال الحرام الفلاني ومعنى

الحرام الرستاق فقلت وانا ايضاً أريد هذا الحرام قال فتصطحب قلت نعم فصحبته طمعاً في ان يعرض عليَّ شيئاً من مأكوله قال فحل الكاره واكل وانا أراه ولم يعرض عليَّ شيئاً من مأكوله ولم تقو نفسي على ان تبدئه بالسؤال فلما فرغ قام يمشي فمشيت معه وبت معه طمعاً في ان تحمله المزاملة على العرض عليَّ فعمل بالليل كما عمل بالنهار قال واصبحنا في غد فمشينا فعاملني بمثل ذلك أربعة أيام قال فصار لي سبعة ايام لم اذق فيها شيئاً فأصبحت في الثامن ضعيفاً مهووساً لا قدرة لي على المشي فعدلت عن الطريق وفارقت الرجل فرأيت قوماً يبنون وقيماً عليهم فقلت للقيم استعملني مثل هؤلاء باجرة تعطينيها عشاءً فقال نعم ناولهم الطين قلت عجل لي اجرة يوم ففعل فابتعت بها ما أكلته وقمت اناولهم الطين فكنت لعادة الملك اقلب يدي الى ظهري واعطيهم الطين فلما اتذكران ذلك خطأ ينبه على سفك دمي ابادر بتلافي ذلك فارد يدي بسرعة من قبل ان يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت سيدتها خبري وكانت صاحبة البناء وقالت لابد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدمت الي القيم يحبسني عن المضي مع الصناع فاحتبسني وانصرف الصناع فجاءتني بالدهن والعروق لاغتسل بهما وهذه تقدمة اكرامهم وسنة لعظمائهم فتغسلت بذلك وجاؤوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة عليَّ نفسها في التزويج فاجبت وعقدت ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين ادبر حالي وحالها وكانت لها نعمة فانا يوم جالس على باب دارها اذا برجل من بلدي فاستدعيته فجاء فقلت له من اين انت قال من بلد كذا وكذا فذكر بلدي فقلت ما تصنع ها هنا قال كان فينا ملك حسن السيرة فمات فوثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك نخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة الرعية فوثبنا عليه فقتلناه وانبثينا في البلدان نطلب ابن ذلك الملك المتوفي فنجلسه مكان ابيه فما عرفنا له خبراً قال فقلت اتعرفني قال لا قلت انا طلبتكم قال وأعطيته العلامات فعلم صحة ما قلته له فكفر لي فقلت اكتم امرنا الى ان ندخل الناحية قال افعل ففعل قال فدخلت الى المرأة واعلمتها بالخبر وحدثتها بأمري كله واعطيتها الصدرة وقلت هذه قيمتها كذا ومن حالها كذا وكذا وانا ماض مع الرجل فان كان ماذكره صحيحاً فالعلامة ان يجيئك رسولي ويذكر لك الصورة وان كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير واجلسوه في الملك فانفذ الى زوجته من حملها فجاءت اليه فحين

اجتمع شمله واستقام أمره أمر فبنيت له دار ضيافة عظيمة وأمر ان لا يجوز في عمله مجتاز الا حمل اليها فيضاف فيها ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام أخر فكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي صحبه في سفره ويقدران يقع في يديه فلما كان بعد حول استعرض الناس قال وكان يستعرضهم في كل يوم فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان في ذلك اليوم رأى الرجل فيهم فحين وقعت عينه عليه اعطاه ورقة تابول وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك برعيته قال فحين فعل الملك ذلك بالرجل كفر له وقبل الارض فأمره الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فأمر بتغير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال اتعرفني فقال وكيف لا اعرف الملك وهو من عظم شأنه وعلو سلطانه بحيث هو قال لم أرد هذا اتعرفني قبل هذا الحال قال لا فذاكره الملك بالحديث والقصة في منعه اياه الطعام في السفر قال فبهت الرجل فقال ردوه الى الدار فردوة فزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم فلما أراد النوم قال الملك لزوجته امضي فغمزيه حتى ينام قال فجاءت المرأة فلم تزل تغمزه الى ان نام ثم رجعت الى الملك فقالت قد نام قال ليس هذا نوم حركوه فحركوه فاذا هو ميت قال فقالت له المرأة اي شيء هذا قال فساق لها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهبت في اكرامه والهندلهم اكبادعظام واوهام ظريفة فادخلت عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن اليّ فقتلته وقد كنت اتوقع موته قبل هذا بما توهمه واستشعره من العلة في نفسه لفرط الحسرة * حدثنا ابو عبد الله بن احمد بن شيرزاد قال حدثني خالي وابن عم ابي ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد قال لما سعى علي عند يحكم حتى صرفني عن كتبته ونكبني والزمني بمائتي الف دينار فأديت اكثرها من غير ان ابيع شيئاً من املاكي الظاهرة فلما قاربت على وفائها استحضرني احمد بن علي الكوفي كاتبه وأخذ يخاطبني بكلام طويل هو تقدمة واعتذار لشيء يريد ان يخاطبني به فقلت له يا سيدي ماتريد وما بك حاجة الى التسبب فاني بمودتك واثق فقال ان هذا الرجل يعني يحكم قد رجع عليك في صلحك وطمع فيك وطالبني ان آخذ منك مائتي الف دينار أخرى ووالله ما هذا عن رأيي ولا لي فيه مدخل ولو قدرت على ازالته عنك لفعلت قال فأخذت أحلف اني لا أهتدي اليها ولا الى عشرها وان النكبة قد استنفدت مالي ولم يبق لي شيء الا داري وضياعي واني اسميهما ولا اكتم شيئاً منهما واخرج له عنهما ليهب لي روحي قال فطال الخطاب بيننا فلما قام في نفسه

صدقي فكر طويلاً ثم قال يا سيدي هذا رجل اعجمي وعنده ان وراءك اضعاف هذا المال وان فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه وانت والله معه في طريق القتل الا ان يكفيك الله عز وجل ووالله ما احب ان يجري مثل هذا على يدي ولا في ايامي فيلزمني عاره الى الابد واجسّره على قتل كتّابه فدبر خلاصك فتحيرت ثم سكنت وقلت له تعطيني ميثاقك وتحلف لي ان سرك في محبة خلاصي كعلانيتك حتى اقول ماعندي ففعل فحلفت له اني قد صدقته واني لا امتنع مما يجرّعني به بعد هذا اليمين ولو شاء مني ان افتح دواتي واكتب بين يديه وقلت له انت وقتك مقبل ووقتي مدبر وانت فارغ القلب وانا ذاهل بالمحنة فدبر امري الآن كيف شئت فانه ينفتح لك بهاتين الخلتين ماقد استبهم عليّ قال ففكر ثم قال انا ان آيستُ هذا الرجل من مالك لم آمنه على دمك وان اطمعته في مالك وليس لك ما تعلله به ادت بك المطالبة الى التلف ولكن الصواب عندي ان اطمعه في ضيعتك فاشتريها له منك واقول ان ضياع السّواد الخراجية قد اجمع شيوخ الكتاب بالحضرة قديماً وحديثاً على ان كل ما كان منها غلته درهم فقيمته اربعة دراهم وابو جعفر يقول ان غلات الضياع بعد الخراج خمسة وعشرون الف دينار وانه يضمنها بذلك حاصلاً خالصاً بعد الخراج والمؤن ويقيم بذلك كفلاء فاشترها منه بمائتي الف دينار كملاً ويحصل لعقبك ملك جليل مع هذا وهو يؤدي باقي المصادرة الاولى وتصير ضامناً لضيعته فادفعْ ذلك اليك ايضاً ومن ساعة الى ساعة فرج وانا احتال بحيلة في ان يكون الكتاب عندي فلا اسلمه اليه فلعل حادثة تحدث وترجع اليك ضيعتك وتكون بالعاجل قد تخلصت وسلم دمك في اربع سنين قال فعلمت انه قد نصحني وآثر خلاصي واجبت فدخل الى بحكم ولم يزل معه في محادثات الى ان تقرّر الامر على ما قاولني عليه واحضر الشهود وكتب عليّ الكتاب بالابتياع والكتاب بالاجارة وقال لي الوجه ان تقيم كفلاء ببقية المصادرة الاولى فقد استأذنته في صرفك الى منزلك واذا انصرفت فانضمّ ولا يراك احد وكن متحذرًا ولا تظهر انك مستتر فتغرية بك قال فشكرته واقمت الكفلاء بالمال الى ايام معلومة فصرفني فعدت الى داري وكنت متحذرًا اجلس في كل يوم فيدخل اليّ بعض الناس بمقدار ما يعلم اني في داري فاذا كان نصف النهار خرجت الى منازل اخواني واقمت يوماً عند هذا ويوماً عند الآخر وراعيت اخبار داري اتوقع ان يجيئها من يكبسها فيطلبني فاكون بحيث لا يعرف خبري فانجوا فطال ذلك والسلامة مستمرة

وانحدر بحكم الى واسط فآنست بالجلوس والاستقرار في داري فلما كان في بعض الايام ضاق صدري ضيقاً لا اعرف سببه واستوحشت وفكرت في امري وقلت ان كبست على غفلة فماذا اصنع قال وكان لداري اربعة عشر باباً الى اربعة عشر سكة وشارعاً وزقاقاً نافذاً ومنها عدة ابواب لا يعرف جيرانها انها تفضي الى داري واكثرها عليه الابواب الجديدة قال فتراءى لي ان ارسلت لغلماني المقاتلة وكانوا متفرقين عني قد صرفتهم لئلاً يصير لي حديث فجاؤني واجتمع منهم ومن أولادهم نحو ثلاثمائة غلام فقلت لهم اذا كان الليلة فاحضروا جميعاً بسلاحكم وبيتوا عندي ليلاً وأقيموا نهاراً الى أن أدبر أمري قال ففعلوا ذلك وفرقتهم في الحجر المتقاربة للمجلس الذي كنت أجلس فيه وقلت ان كبست فشاغلوا عني من يطلبني لأنجو قال وكنت ادبر كيف أعمل في قلب الدولة أو استصلاح بحكم فلم يقع لي الرأي ولااجد الى ذلك طريقاً وكنت أوصيت بوابي أن يغلق بابي المعلوم للناس ولا يفتحه لاحد من خلق الله الا بامري واجلست غلاماً كان يحجبني في ايام الدولة ومعه عشرون غلاماً بسلاح خلف الباب وكان لا يفتح لاحد فما مضى لهذا الا يومان او ثلاثة حتى جاءني حاجبي وقال قد دق الباب فقلنا من الطارق قال انا غلام لمحمد بن ثبال البرجمان وهو وابو بكر النقيب بالقرب منكم يستأذنون على سيدنا في الدخول فقلت في نفسي بليت والله وأمرت الغلمان فاجتمعوا باسرهم متسلحين في بيت له قبة كبيرة كنت جالساً في أحد أروقته وأمرتهم ان لا ينبسوا بكلمة وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى واخبرني به ففعل وعاد وقلت رأيت الشارع مملوءاً بالخيل والرجل وقد احاطوا من جنبات كثيرة ولما رأوني ارقبهم تنحيت فصاح بي البرجمان قائلاً كلمني وما عليك باس فاخرجت رأسي فقال ويحك ما ما جئنا لمكروه وما جئنا الا لبشارة فعرف سيدنا بذلك فقلت ليس هو في الدار ولكن أراسله ثم أخبر الامير أيده الله في غد برسول الى داره فقال انا ههنا واقف ساعة الى ان يرى رايه ففكرت وقلت هذه حيلة للقبض عليّ لاشك ويجوز ان يكون بحكم قد تغير على الكوفي ولا يجد لخدمته غيري واعترضني الطمع وكاد يفسد رأيي ثم قلت للغلمان ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على ابي بكر النقيب والبرجمان ايديكم فاخرجوا وخذوا راسيهما ولا تستأذنوا البتة فاجابوا فقلت احذروا ان تخالفوا فأهلك فقالوا نعم ثم قلت للحاجب اطلع السطح وقل له اني على حال من اختلال الفرش والكسوة لا احب معها دخول احد اليّ فان رضيت ان تدخل انت وابو بكر النقيب فقط والا فأنا اصلح امري واجيء

الى دارك الليلة قال فعاد الغلام وقال كلمته فقالوا رضينا بذلك فقلت يافلان اخرج واحذر ان يفتح الباب كله فتدخل الجماعة وارى ان تقول له ان يتباعد عن الباب الى الشارع قليلاً فان ازدحم الناس وتكاثروا فهي حيلة فدعهم يدخلون وصح يا هذا فاعلم انانها حيلة فاخرج من بعض الابواب امامهم فيفضون الى هذا الباب وهو مقفل ووراءه الغلمان وان حضرا وحيدين فقل لهما الشرط ان اقفل الباب بينكما وبين اصحابكما ثم افتح الباب الذي يلي الشارع حتى يدخلا ثم اقفله وارم مفاتيحه من تحت الباب الثاني الينا الى الصحن ودق هذا الباب فاني واقف وراه لاتقدم بفتحه و يدخلان ففعل الحاجب ذلك وحصل ابو بكر النقيب والبرجمان في الدهليز وحيدين فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجي وانا عند الباب الداخلي ودق الحاجب الباب الثاني ورمى بالمفتاح عدت الى مجلسي فجلست فيه ونحيت من كنت اقمته وراء الباب الثاني بالسلاح واعدت على الجماعة الوصية بقتلهما ان صحت ياغلمان اخرجوا ثم تقدمت الى غلام كان واقفاً بلا سلاح ان يفتح الباب و يدخلهما ففعل ذلك والقيت نفسي على الفرش كأني عليل ودخلا فلم أوفهما الحق واخفيت كلامي كما يفعل العليل فقالا ما خبرك فقلت انا منذ ايام عليل وارتعت لحضوركما فاخذ البرجمان يحلف انه ماحضر الا ليردني الى منزلتي واستكتابي للامير بحكم فشكرته على ذلك وقلت اني تائب من التصرف ولا اصلح له فقال قد امرني الامير بمخاطبتك في الخروج اليه الى واسط لتقرير هذا الامر فلايجوز ان اكتب اليه بمثل هذا عنك ولكن ان كنت زاهداً في الحقيقة فاخرج اليه واحدث لخدمته عهداً واستعفه فانه لايجبرك فقلت هل كاتبني بشيء توصله اليّ فقال قد اقتصر على ما كتب به الي لما يعلمه من مودتي لك ولكي لايفشوا الخبر بذلك فقلت ناقني على كتابه اليك قال لم احمله معي فعلمت انه كوتب بالقبض علي فقلت انا عليل كما ترى ولا فضل في للسفر ولكن تجيب الامير عني بالسمع والطاعة واني سأخرج لحضرته بعد اسبوع اذا شممت نفسي قليلاً قال انه يقبح هذا الوجه وارى ان تخرج قلت لا اقدر فراجعني وراجعته الى ان قال لابد من خروجك فقلت اني لا اخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك وهممت ان اصيح بالغلمان وكان ابو بكر النقيب خبيثاً فقام وقال اسئل سيدنا بالله العظيم ان لايتكلم بحرف و يدعني وهذا الامر ثم اخذ بيد البرجمان وقاما الى ناحية من المجلس بعيدة لا اسمع مايجري بينهما فاطالا السر ثم جاءني فأخذ ابو بكر يعتذر الي مماجرى و يخاطبني باللين و يقول فبعدكم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعده ونتصرف فقلت بعد عشرة ايام

فقال قد رضينا واخذ بيد البرجمان والبرجمان يتبزق علي في الكلام وابو بكر يغمزه ويترفق به فلما بلغا الى قريب من الدهليز رجع ابو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس يعرفك حق معرفتك وعنده انه يقدر ان يستوفي عليك الحجة فبالله الاعرفته ما كان في نفسك ان تعمل بنا لو استوفينا عليك المطالبة لئلا اقع انا في مكروه معه ومع الامير اطال الله بقاه فقلت في نفسي انا اريد الهرب الساعة فما معنى مساترتي عنها ما اريد ان افعله ولم لا اظهره ليكون اهيب في نفوسهما فقلت للغلام الذي كان واقفاً امض الى اصحابنا ومرهم ان يخرجوا ولا يعلموا ما كنت تقدمت به اليهم فمضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولاتحدثوا حادثة فخرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء اعددتهم لدفعكما عن نفسي ان رمتما قسرى قال فمات البرجمان في جلده واصفر وتحير وقال له ابو بكر انت تظن انك بالجبل ولست تعلم بين يدي من انت علمت الآن ان الرأي كان في يدي لا في يدك والله لوزدت في المعنى لخرج هؤلاء فاخذوا رأسك وراسي قلت معاذ الله ولكن كانوا يمنعونكما من اذاي ثم قلت للغلمان كونوا معهما الى ان يخرجا وتغلقوا الابواب خلفهما ففعلوا وقمت في الحال فلبست خفاً وازاراً على صورة النساء واستصحبت جماعة من عجائز داري وخرجت من باب من تلك الابواب الخفية متحيراً لا ادري اين اقصد فقصدت عدة مواضع كلما اتيت موضعاً علمت انه لايحملني فاتجاوزه الى غيره الى ان كدني المشي وقربت من الرصافة فعن لي ان اقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها فصرفت جميع من كان معي الا واحدة وقصدت دار الخالة ودخلت دهليزها فقام الى الخادم وقال من اقول فقالت العجوز تقول امرأة لا تحب ان تسمى نفسها فدخل فاذا الخالة قد خرجت الى الدهليز فقالت لها العجوز ياستي تامرين الخادم بالانصراف فلما انصرف كشفت وجهي وقلت ياستي الله الله في دمي اشتريني فقالت يا ابا جعفر ما الخبر قلت ادخليني احدثك قالت كن بمكانك فاني قد خمنت انه ما جاء في الا مستتر فلهذا خرجت بنفسي ثم دخلت فابطات حتى قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يصرفني وتعتذر وهممت بالانصراف من نفسي فاذا بها قد خرجت وقالت ارعبتك بالانتظار وما كان ذلك الا احتياطاً لك فادخل فدخلت فاذا دارها الاولى فارغة على عظمها وليس فيها احد فسلكت بي وبالعجوز الى موضع من الدار فدخلنا حجرة واقفلتها بيدها ومشيت بين ايدينا حتى انتهينا الى سرداب فادخلتنا فيه ومشينا طويلاً ومي بين ايدينا حتى صعدت منه الى درجة افضت بي منها الى دار في نهاية الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش كل

شيء حسن وقالت انما احتسبت عليك حتى اصلحت لك هذه الدار واخليت الاولى لئلا يراك الذين كانوا فيها فيعرفون خبرك فاجلس ههنا ما شئت فوالله انك لتسرني بذلك واحفظ نفسك من ان ينتشر خبرك من جهتك فليس معك من جهتي من يعرف خبرك فيفشيه ولا اعرفه احد من اسبابي واحتفظ لنفسك ممن يخرج من عندك او يدخل عليك فتهلك نفسك وتهلكني معك فانك تعلم ان هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق مثلي فقلت لها ما معي غير هذه العجوز ولست أدعها تخرج فقالت هذا هو الصواب وأقمت عندها مدة وكانت تجيئني كل يوم فتعرفني أخبار الدنيا وتحادثني ساعة وتنصرف وتحمل اليّ كل شيء فاخر من المأكول والمشروب والبخور وأخدم بمالا أخدم بمثله في أيام دولتي فلما كان في غد يوم حصولي عندها قالت يا ابا جعفر انت وحدك وليس يصلح ان يخدمك كل احد وقد حملت اليك هذه الجارية وأومأت الى وصيفة في غاية الحسن والملاحة فاستخدمها فانها تقوم مقام فرّاشة وقد اهديتها لك فان احتجت الى ما تحتاج اليه الرجال صلحت لذلك ايضاً فقبلتها وشكرتها وفاتشت الجارية فاذا هي تغني احسن غناء واطيبه فكان عيشي معها اطيب عيش ومضى على استتاري نحو شهرين لا يخرج من عندي احد ولا يدخل عندي غير الخالة فقلت لها قد تطلعت نفسي الى معرفة الاخبار وانفاذ هذه العجوز الي من تعرف ذلك منه قالت افعل واحتفظ جهدك فكتبت مع العجوز كتاباً الى وكيل كان لي اثق به آمره ان يتعرف لي الاخبار ويكتب بها الي مع العجوز ورسمت له ان ينفذ طيوراً مع غلام اسميته له وكنت به واثقاً ويأمره بالقيام بواسط والمكاتبة على الطيور في كل يوم بالاخبار ورسمت للعجوز ان لا تعرف الوكيل موضعي لئلا يفشوا شيئاً من الامر ويقع الوكيل فيطالب بي فيدل عليّ فعاد اليّ الجواب بما عنده من الاخبار وانه لا ينقضي يوم الا وينفذ الغلام والطيور وامهلته عشرة ايام ثم رددت العجوز فانفذ على يدها كتاباً ورد على الطيور فقرأته ومضت على ذلك مدة وانا على الغاية من النشاط والسرور فقلت للعجوز يوماً امض الى فلان فاعرفي خبره وهل ورد كتاب من واسط فمضت وللاتفاق سقط طائر عند دخولها بكتاب فنفضه وسلمه اليها دون ان يقف عليه فجاءتني به فاذا هو بتاريخ يومه واكثره رطب يذكر فيه غلامي ورود الاخبار الى واسط بقتل الاكراد لبحكم وان الناس قد هاجوا فما نالت رجلاي الأرض فرحاً وسروراً وكتبت في الحال رقعة الى كاتبه الكوفي اشكره فيها على جميله واعرفه اني ما طويت خبري عنه الى الآن الا

اشفاقاً عليه من ان يسأل عني فيكون مني حلف انه لا يعرف خبري صادقاً وان من حق ما عاملني به ان اعرفه ما يجب ان يحترز عنه وذكرت ما ورد من قتل سيده واشير عليه بالاستتار مع الاستظهار وانفذت الرقعة في طي رقعة كتبتها لوكيلي وأمرته ان يمضي بها اليه في الحال ولا يسلمها الا بيده وقلت للعجوز اذا مضى الوكيل فارجعي انت ولا تقعدي في داره ففعلت وعادت فعرفتني ان الوكيل قد توجه الى الكوفي فلما كان بين العشائين رددت العجوز الى الوكيل وقلت لها اطرقي بابه فان كان في بيته على حال سلامة فادخلي وان بان لك انه معتقل او داره موكل بها فانصرفي ولا تدخلي فعادت الى برقعة الوكيل وفيها انه حين اوصل الرقعة الى الكوفي بان له في وجهه الاضطراب وانه ما صلى العصر من ذلك اليوم حتى امتلأ في البلد بان الكوفي قد استتر وان بحكم حدث به حادثة لا ندري ما هي وقد عدت بعد العصر الى دار الكوفي فوجدتها مغلقة ليس فيها أحد وانه قد انفذ جوابه اليك فقرأته فاذا هو يشكرني ويقول قد علمت ان مثلك ياسيدي لم يكن ليفتعل هذا الخبر ولا يضيع مروءته وقد تشاغل الذين مع الامير بالهرب عن ان يكتبوا لي بالحادثة وكتب به من رتبته انت كما ذكرت في رقعتك فان كان الخبر صحيحاً وهو عندي صحيح فالرأي معي في الاختفا وان كان باطلاً فما يضرني ذلك عند صاحبي ان كان حياً لانه يتصورني جباناً لاغير فيكون اسلم في العاجل وقد انفذت اليك يا سيدي طي رقعتي هذه الكتابين اللذين كتبتهما عليك في ضيعتك بالابتياع والاجارة ابتغاء اتمام مودتك ولتعلم صدق فيما كنت توسطته ونصحي فيما عاملتك به فان كان مات الرجل قد رجعت اليك ضيعتك وان كان باطلاً فانه لا يسألني عنهما وان ذكرهما يوماً وسألني اجحد اني تسلمتهما وقضيت حقك بذلك واعدت نعمتك عليك فاخذت الكتابين ومزقتهما في الحال ولبست من عند الخالة خفاً وازاراً بعد ان عرفتها الصورة وخرجت مع العجوز وجئت الى داري فدخلتها من بعض ابوابها الخافية فلما كان الغد قوي الخبر بقتل بحكم ففتحت بابي وفرج الله عني المحنة فلما كان العشاء اتاني رسول الخالة ومعه الجارية وقال يا سيدي سيدتي تقريك السلام وتقول لك لم تدع جاريتك عندنا واذا بها قد ارسلتها وحملت معها كلما كانت أخدمتنيه من فرش وآلة واضافت عليه أشياء كثيرة جليلة القدر وقالت انه جهاز الجارية وأحب ان تقبله فأخذت الجميع ورددت الرسول شاكراً ومنّ الله عليّ بالعود الى احسن حال * قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء عن سليمان البرقي قال انصرفت عن

بعض العمال فألفيت عمر بن الفرج الرجحي يثقلد الديوان وكان في نفسه شيء عليّ فاخفيت شخصي وتسترت عن اصحابي فطلبني واركن العيون عليّ لم يصل الي وأمر ان يعمل لي مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة الف درهم وكان بيني وبين الحجاج بن سلمة مودة فاتاني عشية من عشايا استتاري رقعته يأمرني بالمصير اليه فقدمت عليه فلما رآني قال صر الى عمر بن الرجحي فسلم عليه وعرفه اني قد بعثت بك اليه قال فقلت يا سيدي انظر فيما تقوله فانه يهدر دمي كيف امضي اليه هكذا قال اعلم انه قال لي اليوم ان فلسطين قد انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها وقد اكلها العمال وانه في طلب من يكفيه امرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى كفاءته فقلت لو اردت الكفاءة وجدتهم هذا سليمان بن سهل وهو من الاكفاء ولا يشك فيه فلم عطلته واخفته فقال وكيف لي به فقلت تؤمنه وتزيل ما عليه من المطالبة وتقلده فلسطين فانه يكفيك امرها ويوفر عليك ما لها ويحمله اليك وانا ابعث به اليك فقال ابعث به فهو آمن فصر اليه فانه لا يتعرض لك الا بما تحب قال فبكرت اليه فاذا هو في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على اكتافهم الحجارة والمقارع تأخذهم فهالني ما رأيت فلما وصلت اليه سلمت عليه وقلت اني كنت خادم ابي الفضل اعني اباه فرجا الرجحي واحد صنائعه فقال لولا ما اتيت به من هذه الحرمة لكنت احد هؤلاء الذين تراهم ثم رفع مصلاه واخرج الكتب بولاية فلسطين وامرني بكتمان امري واعداد السير فاخذت الكتب واشخصت الى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسي *

عن الحكم بن عتبة ان حارثة بن بدر الغداني كان يسعى في الارض فساداً فهدر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه دمه فهرب واستجار باشراف الناس فلم يجره احد فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله ان يجيرك فطلب سعيداً فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فاخذ بلجام دابته وقال اجرني اجارك الله فقال له مالك قال هدر أمير المؤمنين دمي قال وفيم قال سعيت في الارض فساداً قال ومن انت قال انا حارثة بن بدر الغداني قال اقم وانصرف الى علي رضي الله عنه فوجده قائماً على المنبر يخطب فقال يا امير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً قال ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض قال يا أمير المؤمنين الا من تاب قال الا من تاب قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد اجرته قال انت رجل من المسلمين وقد اجرناه ثم قال رضي الله عنه وهو على المنبر ايها

الناس اني كنت اهدرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يتعرض له فانصرف اليه سعيد فأعلمه وكساه وحمله واجازه فقال فيه شعراً

الله يجزي سعيد الخير نافلة ... اعنى سعيد بن قيس قوم همداني
انقذني من ثفا غبرا مظلمة ... لولا شفاعته البست اكفاني
قالت تميم بن مرّ لا تخاطبه ... وقد ابت ذلكم قيس بن غيلاني
اساغ في الحلق ريقاً كنت احرضه ... واظهر الله ستري بعد كتماني
انى تداركني عمن شمائله ... اباؤه حين ينمى خير قحطاني

* عن عطاء بن العاصم بن الحدثان قال كان ابو النمير الثقفي شبب بزينب بنت يوسف بن الحكم وكان الحجاج اخوها يتهدده ويقول لولا ان يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعراً

اتتنى في الحجاج والبحر بيننا ... عقارب تسري والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً واجهشت خيفة ... ولم آمن الحجاج والامر ناصع
وحل بي الخطب الذي جاءني به ... سميع فليست تستقر الاضالع
فبت دبير الامر والرأي لياتي ... وقد اخلقت خدي الدموع الهواطع
وما أمنت نفسي الذي خفت شره ... ولا طاب لي مما خشيت المضاجع
ففي الارض ذات العرض عنك بن يوسف ... اذا شئت منأى لا ابالك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهدا ... فان الذي لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على النميري الهروب واشتاق الى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجاج فقال ايه يانميري انت القائل (فان نلتني حجاج فاشتف جاهدا) فقال بل انا الذي اقول

اخاف من الحجاج مالست خائفا ... من الاسد العرم باض لم ينهه ذعر
أخاف يديه ان تنال مفاصلي ... بأبيض غضب ليس من دونه ستر

وانا الذي اقول

فها انا ذا طوفت شرقاً ومغرقاً ... وانت وقد دوخت كل مكاني
فلو كانت العنقاء منك تطيرني ... لخلتك الا ان يصد تراني

* عن مروان ابي حفصة قال كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً وجعل لمن يأت به مالا فحدثني معن باليمن انه اضطر لشدة الطلب الى ان نام

في الشمس حتى لوّحت وجهه وخفف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال الثقالة وخرج عليه ليمضي الى البادية وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمرو ابن هبيرة بلاءً حسناً فخاف فاغتاظ المنصور وجد في طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني عبد اسود متقلداً سيفاً حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض عليّ فقلت ما لك قال طلبة أمير المؤمنين قلت ومن انا حتى يطلبني أمير المؤمنين قال انت معن بن زائدة فقلت يا هذا اتق الله واين انا من معن قال دع هذا عنك فانا والله أعرف بك منك فقلت فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي فقال هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة ونال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت قل فقال ان الناس يصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه حتى بلغ الى عشره فاستحييت وقلت اظن أني فعلت هذا فقال ما أراك فعلته وانا والله راجل ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً وهذا الجوهر قيمته الف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم ان في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل شيء فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجري وخلى خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته اليك فاني عنه غني فضحك وقال أردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمناً أبداً ومضى فو الله لقد طلبته بعد ان أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الارض ابتلعته قال وكان سبب رضا المنصور عن معن انه لم يزل مستتراً حتى يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاءً حسناً وذب القوم عنه ثم جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها بيد الربيع فقال له تنح فاني احق بلجامها في هذا الوقت فقال المنصور صدق فادفعه اليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله أبوك قال أنا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة قال قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوماً فقال اني اهلتك لامر كيف تكون فيه قال كما يحب أمير المؤمنين فولاه البصرة وتوجه اليها فبسط فيهم العطاء حتى اسرف قال مروان وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل قد

بلغني عنك شيء لولا مكانك عندي ورأيي فيك لغضبت عليك قال وما رابك يا أمير المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال اعطاك لمروان بن ابي حفصة في قوله فيك

معن بن زائدة الذي زادت به ... شرفاً على شرف بنو شيبان

ان عدّ ايام الفعال فانما ... يوماه يوم ندى و يوم طعان

قال والله يا امير المؤمنين ما اعطيته مابلغك لهذا الشعر ولكن اعطيته ما اعطيته لقوله

مازلت يوم الهاشمية معلناً ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

قال فاستحيا المنصور وقال انما اعطيته لمثل هذا القول قال نعم يا امير المؤمنين ولولا مخافة الشنعة لامكنته من مفاتيح بيوت الاموال وابحته اياها فقال المنصور لله درك من اعرابي ما اهون عليه ما يعزّ على الناس واهل الحزم * عن قطن بن معاوية الكلابي قال كنت ممن سارع الى ابراهيم بن عبدالله واجتهد معه فلما قتل طلبني ابو جعفر فاستخفيت منه فطلب اموالي وذريتي ولحقت بالبادية وجاورت في بني نصر بن معاوية ثم في بني كلاب ثم في بني فزارة ثم في بني سليم ثم تنقلت في بوادي قيس اجاور فيهم حتى ضقت ذرعاً بالاستخفا فازمعت القدوم على ابي جعفر والاعتراف له وقدمت البصرة ونزلت بها ثم ارسلت الى عمرو بن ابي العلاء وكان لي وُدّاً فشاورته في الامر الذي ازمعته فلم يقبل رأيي وقال والله ليقتلنك فلم التفت اليه وشخصت الى بغداد فنزلت خاناً وليس بالمدينة احد يركب خلا المهدي ثم قلت للغلمان انا ذاهب الى امير المؤمنين فامهلوا ثلاثاً فان جئتكم فيها والا فانصرفوا ودخلت المدينة وجئت الى دار الربيع والناس ينتظرونه فلم البث ان خرج وهو يمشي وقام الناس اليه وقمت معهم فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال من انت قلت قطن بن معاوية قال انظر ما تقول قلت انا هو قال فاقبل على من معه وقال احتفظوا بهذا فلما حرست لحقني الندم وذكرت رأي ابي عمرو فتأسفت ودخل الربيع فلم يطل حتى خرج خصي فاخذ بيدي وادخلني قصر الذهب ثم اتى بيتاً حصيناً فادخلنيه واغلق عليّ وانطلق فاشتدت ندامتي وايقنت بالبلاء وخلوت بنفسي الومها فلما كان الظهر اتاني الخصي بماء فتوضأت وصليت واتاني بطعام فاخبرته اني صائم فلما كان المغرب اتاني بماء فتوضأت وصليت وارخى عليّ الليل سدوله فانسيت الحياة وسمعت ابواب المدينة تغلق فامتنع عني النوم فلما ذهب صدر من الليل اتاني الخصي ففتح عني ومضى بي فادخلني صحن دار ثم اتاني من وراء ستور مسدولة

واخذني وادخلني محلاً فاذا ابو جعفر وحده والربيع قائم على حاله ناحية فاكب ابو جعفر هنيهة مطرقاً ثم رفع راسه فقال هيه فقلت يا امير المؤمنين انا قطن بن معاوية فقال والله جهدت عليك جهدي حتى منّ الله عليّ بك فقلت يا امير المؤمنين لقد عصيت امرك ووالبت عدوك وخرجت على ان اسلبك ملكك فان عفوت فانت اهل لذلك وان عاقبت فباصغر ذنوبي لقتلني قال فسكت هنيهة ثم قال هيه فاعدت مقالتي فسكت ثم قال ان امير المؤمنين قد عفا عنك فقلت يا امير المؤمنين اني امرّ من ورائك فلا اصل بعدها اليك وضياعي ودوري مقبوضة فان رأى امير المؤمنين ان يردها عليّ قال فدعى بخادم معه الدواة ثم امره وهو يكتب باملائه الى عبد الملك بن ثور النميري وهو يومئذٍ على البصرة ان امير المؤمنين قد رضى عن قطن بن معاوية فاردد عليه ضياعه ودوره وجميع ماقبض له فاعلم ذلك وانفذه ان شاء الله تعالى ثم ختم الكتاب ودفعه اليّ فخرجت من ساعتي لا ادري اين اذهب فاذا الحرس بالباب فجلست مع احدهم احدثه فلم البث ان خرج الربيع وقال اين الرجل الذي خرج الساعة فقمت اليه فقال انطلق ايها الرجل فقد والله سلمت ثم صحبني الى منزله فعشاني وفرش لي فلما اصبحنا ودعته واتيت غلماني وارسلتهم يكترون لي سميرة فوجدوا صديقاً لي من الدقاقين من اهل نيسان وقد اكترى سميرة لنفسه فحملني معه فقدمت على عبد الاعلى بن ايوب بكتاب ابي جعفر فاقعدني عنده حتى رد ما اصطفى لي * حدثني عبدالله بن احمد بن معروف بن ابي القاسم قال كنت بمصر وكان بها رجل يعرف بالناظري من ابناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته وصادره فهرب منه الى كافور الاخشيدي فاجرى عليه جراية سابغة في كل شهر كما كان يجري على جميع من يقصده من الجرايات التي تسمى الراتب وكان له مالاً عظيماً قدره في السنة خمسون الف دينار لارباب النعم واجناس الناس وليس فيها لاحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الاعمال شيء قال فجرى يوماً ذكر الناظري بحضرة كافور فقيل له انه فاسق بغاء وكثرت عليه الحكايات في ذلك فامر بقطع جرايته فرفع اليه قصته يشكوا فيها انقطاع راتبه ويسأل التوقيع باعادة صرفه فامر كافور فوقع على ظهرها قد صح عندنا انك رجل تصرف مانجريه عليك فيما يكرهه الله من الفساد وما نرى ان نعينك على ذلك فالحق بمن شئت فلا خير لك عندنا بعدها قال فلما قرأها الناظري عمل محضراً فيه خطوط كثير ممن يعرف انه مستور ولم يعهد فيه البغاء واحتج بالمحضر وجعله طي رقعة قال فيها ان الذي

كان يدفع اليه لم يكن لاجل حفظه فرجه وهتكته وانما كان لانه منقطع غريب هارب مفارق لنعمته وان الله عز وجل اقدر على قطع ارزاق من يرتكب المعاصي وما فعل ذلك بارزاقهم بل امهلهم وامرهم بالتوبة فان كان مانسب اليه صحيحاً فهو تائب الى الله عز وجل ويسأل رده الى رسمه ورفع القصة الى كافور قال صاحب الحديث ولم ادر الى اي شيء انتهى امره الا انه صار مفضوحاً بين الناس وتحدثوا بحديثه واتفق خروجي من مصر عقيب ذلك الى حضرة سيف الدولة فلقيته بحلب وحدثته باحاديث المصريين وكان يتشوق الى سماعها صغرت او كبرت ثم سقت له حديث الناظري فضحك منه ضحكاً شديداً وقال هل هذا المشؤم بلغ الى مصر فقال لي محمد بن اسمر النديم اعلم ان هذا الرجل كان صديقي جداً وقد هلك وافتقر وفارق نعمته فاحب ان تخاطب الامير في امره عقيب ماجرى آنفاً لاعاونك فلعل الله عز وجل ان يفرج عنه فقلت افعل ولما اخذ سيف الدولة يسألني عن الامر فاعدت شرحه عليه وعاد فضحك فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير سررت بهذا الحديث ويجب ان يكون له ثمرة اما لي واما للرجل الذي قد صيرته فضيحة بحلب زيادة على فضيحته بمصر قال اما لك فنعم واما له فلا يستحق فانه فعل وصنع واخذ يطلق القول فيه فقلت اما لي فلست اريده لان فوائدي من مولانا متصلة ولست احتاج مع انعامه عليّ وترادف احسانه الى السيب الى الفوائد ولكن ارى ان تجعلها لهذا المفتضح المشؤم فقال تنفذ اليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم قال فشكرته الجماعة وخاطبته في ان يأذن له في العود الى حضرته ويؤمنه ويكتب له اماناً مؤكداً قال فغمزني الاسمر في الاستزادة فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ان الثلاثة آلاف درهم لو انفذت الى مصر ما كفته فيمن يحمله معه على نفقته لان اكثر اهل مصر بغاؤن وضايقوه في الناكة وغلبوه باليسار لانه لايصل هو الى شيء الا بالغرم الثقيل وبلغني وانا بمصر ان رجلاً من البغائين اشتد به حاله فطلب من ياتيه فلم يقدر فخرج الى الموضع الفلاني قرية قريبة من مصر فاقام بها فكان اذا اجتاز بها المجتازون استدعى منهم من يصلح لهذا الحال فحمله على نفسه وكان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز ويتمكن من ارضاه بما لايتمكن منه بمصر فعاش بذلك برهة حتى جاءه يوماً بغاء آخر وسكن معه فكان اذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الحال سأل عنه فافسد على الاول امره فجاء الثاني وقال له ياهذا افسدت عليّ امري وابطلت عملي وانا هربت من مصر لاجل المنافسة فليس لك ان تقيم معي ههنا فقال له الثاني

سواه العاكف فيه والباد ولا ابرح ههنا فقال الاول بيني وبينك شيخنا بن العجمي الكاتب رئيس البغائين بمصر وجذبه معه الى مصر واحتكما اليه فحكم بن العجم للاول ومنع الثاني من المقام في الناحية فكيف يمكن للناظري ابد الله مولانا ان يكتفي بثلاثة آلاف درهم وقد امرت له بها في بلد هذا قدر الناكة فيه وكثرة البغائين لو كان مقيماً فكيف وقد انعمت عليه بالاذن في المسير ويحتاج الى بغال يركبها في الطريق باجرة ونفقة وديون عليه يقضيها فضحك ضحكاً شديداً من حكاية البغائين وحكم ابن العجمي بينهما وقال اجعلوها خمسة آلاف درهم فقلت له انا والاسمر فنرد الى الرجل اطال الله بقاء مولانا ضيعته فقال لقد اطلتم عليَّ في امر هذا الصانع الفاعل فاطلقوا له عن ضيعته بأسرها ووقعوا بذلك الى الديوان وعن مستغله واخلوا له عن داره وان تفرش له احسن من الفرش الذي ذهب له لما سخط عليه قال فاكبت الجماعة تقبل يديه ورجليه وقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ما سمع بهذا الكرم قط مع سوء رايك في الرجل وسوء حديثه فما على الارض بغاء ابرك على ظاهره من هذا قال فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وانا بحلب عاد الرجل الى بلده ونعمته * عن ابي عمرو بن العلاء قال خرجت هارباً من الحجاج الى مكة فبينما انا اطوف بالبيت اذا اعرابي ينشد

ربّما تجزع النفوس من الامـ ـر لهـا فَرجة كحـل العقال

فقلت مه قال مات الحجاج قال فلا ادري بأي القولين كنت افرح بقوله فرجة بفتح الفاء او بموت الحجاج ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب وفيه ان ابا عمرو سمع الاعرابي ينشد

ياقليل العزاء في الاهوال وكثير الهموم والاوجال
صبّر النفس عند كل مهم ان في الصبر حيلة المحتال
ربما تجزع النفوس من الامـ ـر لهـا فرجة كحـل العقال

قيل والفَرجة من الفرج والفُرجة فرجة الحائط * وعن ابي عمرو قال كنت مستخفياً من الحجاج وذلك ان عمي كان عاملاً له فهرب فهم بأخذي به فبينما انا على حالي اذ سمعت منشداً ينشد ربما تكره النفوس من الامر البيت وذكر الحديث وزاد فيه ان ابا عمرو يقرأ الاَّ من اغترَف غرْفةً بيده وفَرجة بالفتح شاهد له في هذه القراءة وذكر ابو الحسين المدايني في كتابه ان القمير الثعلبي قال في الوليد بن عبد الملك

انتني باوليد بلاء قومي بمكن والزبيريون صيد
انتسانا اذا استغنيت عنا وتذكرنا اذا صلّ الحديد

فطلبه الوليد فهرب منه حيناً فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف انصرف الى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما أكلت الجماعات بعض الاكل عرف رجل النميري فاخبر الوليد به فدعا به وقال له يا عدو الله الذي امكنني منك بلا عقد ولا ذمة انشدني ماقلت فبكى ثم انشده فقال ماظنك بي قال قلت ان امهلت حتى اطأ بساطه وآكل طعامه فقد امنت وان عوجلت قبل ذلك فقد هلكت وقد امهلت حتى وطأت بساطك يا امير المؤمنين واكلت طعامك فقد امنت اذاً فقال له الوليد قد امنت فانصرف راشداً فلما ولى تمثل الوليد بقول من قال

شمس العداوة حتى يستفاد لهم واعظم الناس احلاماً اذا قدروا

* عن الفضل بن العباس من ولد نافع مولى العباس بن عبد المطلب عن ابيه قال ما اتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي فانصرفت من عندها الا ببرّ وان قل وكان لها وصيفة يقال لها كتات فعلقتها وقلت لابي يا ابي انا والله مشغول القلب بكتات جارية زينب فقال يابني اطلبها من عندها فانها لاتمنعها عنك فقلت كنت احب ان تكون حاضراً لتعينني عليها فقال ليس لك اليّ ولا الى غيري احتياج فغدوت اليها فلما انقضى السلام قلت لها جعلني الله فداك اني فكرت في حاجة سألت ابي ان يحضر كلامي اياك فيها لاستعين به فاسكتني فقالت يابنيّ ان حاجة لا تقضى حتى يحضر ابوك لحاجة عظيمة القدر فما هي قلت كتات وصيفتك احب ان تهبيها لي فقالت انت صبيّ احمق اقعد احدثك حديثاً احسن من كل كتات على ظهر الارض وانت من كتات على وعد فقلت هاتي جعلني الله فداك قالت كنت اول امس عند الخيزران ومجلسي ومجلسها اذا اجتمعنا في صدر المكان وفوقنا سبتية لامير المؤمنين المهدي وهو كثير الدخول اليها فاذا جلس في ذلك الموضع رفع عنه واذا انصرف طرحت عليه السبتية الى وقت حضوره فانا لجلوس اذ دخلت علينا حاجبة وقالت ياستي بالباب امرأة مارأيت احسن منها ولا اسوأ حالاً عليها قميص ما تستر بعضه موضعاً من بدنها الا انكشف موضع آخر تستأذن عليك فالتفتت اليّ وقالت ماترين فقلت تسألين عن حالها واسمها ثم تاذنين لها على علم فقالت الجارية قد والله جهدت بها كل الجهد ان تفعل فما فعلت وارادت الانصراف فمنعتها فقلت للخيزران وما عليك ان تاذني لها فانك منها بين مكرمة او ثواب

فاذنت لها فدخلت امرأة اكثر مما وصفت الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت تمشي وهي مستحدثة حتى صارت الى عمارة الباب فجعلت مايليني وكنت متكئة فقالت السلام عليكم فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران انا مزنة امرأة مروان بن محمد فلما وقع كلامها في سمعي قلت لاحياك الله ولا قربك الحمد لله الذي ازال نعمتك وعزك وصيرك نكالاً وعبرة اتذكرين ياعدوة الله حين اتاك اهل بيتي يسألنك ان تكلمي صاحبك في انزال ابراهيم بن محمد من خشبته فتلقيتيهن ذلك اللقاء واخرجتيهن ذلك الاخراج الحمد لله الذي ازال نعمتك قالت زينب فضحكت المرأة والله يابنيّ حتى كادت تقهقه وبدا لها ثغر ما رأيت احسن منه ثم قالت اي بنت عم اي شيء اعجبك من صنع الله عز وجل بي على العقوق حتى اردتِ ان تنامي بي السلام عليكم ثم ولت خارجة وهي تمشي بخلاف الاول فقالت للخيزران انها مخبئة من الله عز وجل وهدية منه الينا ووالله ياخيزران لايكون اخراجها مما هي فيه الابي ثم نهضت على اثرها حتى وافيتها عند الستر ولحقتني الخيزران فتعلقت بها وقلت يا اخية المعذرة الى الله عز وجل واليك فاني ذكرت بوجودك مانالنا من المصيبة بصاحبنا فكان مني ماوددت اني منعت منه وقطعت عنه ولم املك نفسي واردت معانقتها فوضعت يدها في صدري وقالت لاتفعلي يا اخية فاني على حال اصونك من الدنوّ منها فرددتها وقامت للجواري ادخلن معها الحمام وقلت للمواشط اذهبن معها حتى تصلحن حفانها وما تحتاج الى اصلاحه من وجهها فمضت ومضين معها ودعونا بكرسيين فجلست انا والخيزران عليهما ننتظر خروجها في صحن الدار فخرجت احدى المواشط وهي تضحك فقلت لها مايضحكك قالت ياستي انا لنرى من هذه الغريبة عجباً فقلت وما هو قالت نحن معها في انتهار وزجر وخصومة ماتفعلين انت ولا ستنا مثله اذا خدمنا كما قالت فقلت للخيزران حتى تعلمي والله يا اختي انها حرة رئيسة والحر لايحتشم من الاحرار ثم خرجت الينا جارية ثانية فاعلمتنا انها قد خرجت من الحمام فوجهت اليها الخيزران بصنوف الحلع فتخيرت منه مالبسته وبعثنا اليها بطيب كثير فتطيبت ثم خرجت الينا فقمنا جميعاً فعانقناها فقالت اما الآن فنعم ثم جئنا الى الموضع الذي كنا جلوساً فيه وامرنا بكشف السبتية عن الموضع الذي كان يجلس فيه امير المؤمنين واقعدناها فيه ثم قالت الخيزران غداؤنا قد تأخر فهل لك في الطعام فقالت والله مافيكن احوج اليه مني فدعونا بالطعام فجعلت تاكل وتضع بين ايدينا كأنها في منزلها فلما فرغنا قالت لها الخيزران من لك بمن

تعتنين به قالت مالي وراء هذا الحائط احد من خلق الله تعالى فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على ان نخلي لك مقصورة ونحول اليها جميع ما تحتاجينه و يستمتع بعضنا ببعض فقالت وردت وانا على اقل حال واذ قد تفضل الله عزوجل عليّ بكما وبهذه النعمة فلا اقل من الشكر للمبتدي بكل نعمة ولكما فافعلي ما احببت وبدا لك فقامت الخيزران وقمت معها واقمناها معنا وجعلنا نطوف في المقاصير فاختارت والله اوسعها واحسنها فملأتها الخيزران بالجواري والوصائف والخدم والفرش والكسوة والآلات ثم قالت لهـا ننصرف عنك وعليك بمنزلك حتى تصلحينه فخلفناها في المقصورة وانصرفنا الى موضعنا فقالت لي الخيزران ان هذه امرأة تعيسة قد عضها الفقر وليس يملأ عينها الا المال ثم بعثت اليها بخمسة آلاف دينار ومائتي الف درهم وارسلت اليها يكون هذا في خزانتك تحت تصرفك ووظيفتك ووظيفة حشمك قيام في كل يوم مع وظيفتنا ثم لم نلبث ان دخل علينا المهدي فقلت والله ياسيدي عندي خبر ظريف فقال ماهو فحدثته به فلما قلت له ما كان مني من الوثوب عليها واسماعها اقشعر واصفر ثم قال يازينب هذا مقدار شكرك لربك عزوجل وقد امكنك من عدوك واظفرك به على هذه الحالة التي تصفينها والله لولا مكانك مني لحلفت ان لا اكلمك ابدًا ابن المرأة قالت فوفيته خبرها فقال لخادم بين يديه ادفع اليها عشرة آلاف دينار ومائتي الف درهم وابلغها سلامي وقل لها لولا خوفي ان احتشمها لصرت اليها مسلمًا ومخبرًا اياها بسروري بها وقل لها اني اخوك وجميع ماتنفذ فيه امري فامرك انفذ فيه ثم قالت زينب فاذا بها قد وردت علينا مع الخادم وعلى راسها دواج ملحم حتى قعدت ولقيها المهدي احسن لقاء واقامت عنده ساعة تحدثه ثم انصرفت الى مقصورتها فهذا الحديث يابنيّ خير من كتات قال فامسكت فقالت لي قد اغتممت فقلت ما اغتم ابقاك الله قالت الليلة توافيك كتات فلما كان الليل وجهت بها اليّ ومعها ما يساوي ثمنها من كل صنف من الرقيق والكسا والآلة وفي رواية اخرى ان الذي حملته الخيزران خمسمائة الف درهم وان المهدي حمل اليها الف الف درهم * عن ابي عبدالله الحسين ابن محمد النافطائي قال كنا نتعلم ونحن احداث في ديوان اسحاق ابن ابراهيم الطاهري وكنت ملازمًا لمجلس فتى من الكتاب له خلق جميل يعرف بابي غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرًا بمال اخذوه ووقف اسحاق على الخبر فطلبهم فظفر ببعضهم فقطع ايديهم وهرب الباقون وكان فيمن هرب الفتى الذي كنت الزم مجلسه فغاب سنين كثيرة

حتى مات اسحاق فبينما انا ذات يوم في بعض شوارع بغداد اذا انا به فقلت ابو غالب قال نعم فاذا تحته دابة فاره وسرج محلى وعليه ثياب حسنة فقلت عرفني حالك قال الى المنزل فسرت معه فاحتبسني ذلك اليوم عنده فرأيت فيه مروءة حسنة فسألته عن حاله فقال لما طلبنا اسحاق استترت فلما بلغني ما عامل به من كان معي في الخيانة ضاقت عليّ بغداد فخرجت على وجهي خوفاً من العقوبة حتى وافيت ديار مصر مستخفياً وطلبت التصرف فتعذر عليّ وتفرق من كان معي ولم يصبر الا غلام واحد فرقت حالي جداً حتى بعت مافي البيت عن آخره على قلة فاصبحت يوماً فقال لي غلامي اي شيء تعمل اليوم فما معنا حبة فقلت خذ مبطنتي فبعها واشتر لنا ما نحتاج اليه فخرج الغلام و بقيت في الدار وحدي افكر فيما وقعت فيه من الغربة والشدة والوحدة والعطلة وتعذر المعيشة والتصرف ومن اقترض منه فكاد عقلي ان يزول فبينما انا كذلك وقد استلقيت على قفاي اذا بجرذ قد خرج من كوة البيت وفي فيه دينار فوضعه ثم عاد فاخرج ديناراً آخر وما زال كذلك حتى اخرج ثمانين ديناراً فصفها وجعل يتمرغ و يلعب وانا انظر اليه واظهر التناوم وقد قويت نفسي ولست اتحرك لئلا يستوحش الجرذ ولا يحضر غيرها فما زال يلعب حتى اخذ واحداً ودخل الكوة فقمت واخذت الدنانير وشددتها وجاء الغلام ومعه ماقد ابتاعه فتغذينا وقلت له اشتر لنا فأساً فقال ماذا نصنع به فحدثته الحديث واريته الدنانير وقلت عزمت على ان اقلع الكوة فلعل فيها شيئاً آخر فمضى وجاء به فحفرنا الكوة فافضى بنا الحفر الى بركة فيها سبعة آلاف دينار فاخذناها واصلحنا الموضع على ما كان وخرجت فاخذت بالمال سفاتج بعد ان تركت بعضه وانفذت الغلام بالسفاتج الى بغداد وانتظرته حتى ورد كتابه بصحة تلك السفاتج وتحصيله المال في بيتي وان اسحاق قد مات فانحدرت الى بغداد وابتعت بالمال ضيعة فاثمرت ونمت فلزمتها وتركت التصرف

الباب الثالث عشر

﴿ من نالته شدة في هواه * فكشفها الله تعالى وملكه من يهواه ﴾

عن عاصم بن عدي قال كان لعمرو بن دويرة السمحي اخ قد كلف بابنة عم له

كلفاً شديداً وكان ابوه يكره ذلك ويأباه فشكاه الى خالد بن عبد الله القشيري وهو أمير العراق انه يسيء جواره فحبسه اياماً ثم تركه فلما زاد ما في نفس الفتى وحمل عليه الحب تسور الجدار الى ابنة عمه فلما حصل معها احس به ابوها فقبض عليه واتى خالداً وادعى عليه بالسرقة وأتاه بجماعة يشهدون انهم وجدوه في منزله ليلاً وقد دخل دخول اللص فسأل خالد الفتى فاعترف انه دخل ليسرق وما سرق شيئاً ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه فاراد خالد ان يقاصيه فدفع عمرو اخوه الى خالد رقعة فيها هذا الشعر

اخالد قد اوطيت والله عشوة ... وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يجنه المرء انه ... رأى الموت خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه ... لالفيت في امر لهم غير ناطق
اذا مدت الغايات في السبق للعلى ... فانت ابن عبد الله اول سابق

فارسل خالد مولى له من الخبر ليتجسس على جلية الامر فاتاه بتصحيح ما قاله عمرو في شعره فاحضر بالجارية واخذ بتزويجها من الفتى فامتنع ابوها وقال ليس هو بكفوء لها قال بلى انه لكفوء لها اذا كف يده عنها ولئن لم تزوجه لازوجته وانت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر الى العم من ماله وكان يسمى العاشق الى ان مات

* عن ابي العلا صاعد بن ثابت النصراني الذي كان خليفة الوزراء عن ابي الحسين بن ميمون الافطس الذي كان وزيراً للمتقي قال لما دخل ابو عبد الله اليزيدي بغداد متقلداً للوزارة المرة الثانية للمتقي قبض عليه وأحدره للبصرة فلما وردها اليزيدي منهزماً احسن اليه واطلقه وامرني بانزاله بالقرب مني وائتناسه بملازمتي وافتقاده بالدعوات ففعلت فكنا متلازمين لا نفترق ووجدته أحلى الناس حديثاً وأحسنهم أدباً وأتمهم عقلا ولم أر قط أشد تغزلا ولا تهالكاً في العشق منه فحدثني يوماً قال عشقت مغنية في القيان عشقاً مبرحاً شديداً فراسلت مولاتها في بيعها مني فطلبت فيها ثلاثة آلاف دينار وكنت اعرف من نفسي الملل فخشيت ان اشتريتها ان املها فدافعت بذلك ومضت أيام فانصرفت من عندي يوماً وقد كان المقتدر بالله أمر أن يشتري له مغنيات وانا لا اعلم فكانت الجارية حسنة الوجه والغنا فحملت الى المقتدر في جملة جوار فامر بشرائهن كلهن فاشتريت في جملتهن وانفذت من غد أستدعيها من مولاتها فأخبرت بالخبر فقامت على القيامة ودخل على قلبي من الاحزان أمر ما دخل مثله عليّ قط من

نكبة فضلا عن عشق وزاد الامر عليّ حتى انتهى بي الى حد الوسواس وامتنعت عن النظر في امر داري وتشاغلت بالبكاء ولم يكن لي سبيل الى العزاء وكنت اكتب حينئذ لام المنتقي وله وكان حدثاً فتأخرت عنهما اياماً واخللت بأمرهما وانا متوفر تلك الايام على الطواف في الصحاري ولا آكل ولا أشرب ولا اتشاغل باكثر من الهيمان وانكر المنتقي وامه أمري لتأخرى فاستدعاني وخاطبني في شيء من أمري فوجدني لا اعي ما يقوله فسألني عن سبب اختلاطي فصدقته وبكيت بين يديه وسألته ان يسال اباه بيع الجارية علي او هبتها فقال ما اجسر على هذا قال فزاد على الامر وبطلت وبلغ ام المنتقى الخبر وراسلتها بما سألت به ابنها فرقت لي وحملت نفسها ان خاطبت ام المقتدر في امري فقالت لها السيدة ما العجب من الرجل فان الذي في قلبه من العشق اعماه عن وجه الرأي انما العجب منك كيف وقع لك انه يجوز ان تقولي للخليفة انزل عن جاريتك لرجل يعشقها فراسلتني ام المنتقى بما جرى فزاد مابي من القلق وكنت لا القى احداً من رؤساء البلد كالوزير ونصر القشوري وحاشية الخليفة الاّ واقصدهم وابكي بين ايديهم واحدثهم حديثي واسالهم مسئلة الخليفة تسليم الجارية الى ببيع او هبة فمنهم من ينكر عليّ ومنهم من يوبخني ومنهم من يرثي لي فيعذرني ومنهم من يقول ان علم الخليفه هذامنك وانك لتعرض لخدمه فان فيه تلف نفسك ومنهم من يطنزبي وانا ملازم لهم ولابوابهم وقد تركت خدمة صاحبي وبطل امر داري وضيعتي فطال هذا على المنتقى وامه واضاقا من اجل اخلالي بالنظر في امورهما فطلبا كاتباً يصرفانني به و بلغ الخبر اليّ وقد كنت آيست من الجارية فعزلت نفسي وقلت ليس بعد الصرف الاّ الفقر والنكبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت الآن قد ملكتها فلم افقر نفسي واقطع تصرفي واقبلت اعظ نفسي واسليها ليلتها كلها الى ان طاوعتني على الصبر فبكرت الى دار المنتقى وبدأت بالنظر في اموره وراأوا مني خلاف ما تقدم فسروا بذلك وقالوا أنت احب الناس الينا من غيرك ومن الغريب الذي نستانفه فضمنت لهما الملازمة وتمشية الامور واقمت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت الى الشرب وكنت قد هجرته منذ فقدت الجارية الى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصلح لنا مجلساً للشرب وعدا اصحابنا اعني اصدقاء لي كانوا يعاشرونني للرواح اليّ ولاندع غناء فلما قضيت شغلي عدت الى داري واجتمع اصدقائي وصوبوا رايي وجلسنا نشرب ونتحدث ونلعب بالشطرنج فقالوا لو دعوت غناء فقلت اخاف ان اتذكر به امري فجلسوا عندي الى ان صليت العشاء الاخرة وانصرفوا وجلست وحدي اشرب القدح بعد

القدح فلما مضت قطعة من الليل اذا بابي يدق دقاً عنيفاً فقال بوابي من هذا فقال خادم من دار امير المؤمنين فقامت قيامتي ولم اشك ان خبري قد اتصل به فانكره وقال مثل هذا لا يصلح ان يكون كاتباً لامرأة ولا مدبراً لغلام حدث وانه قد انفذ للقبض عليّ ويريد نكبتي فقمت امشي في صحن الدار لاخرج من باب آخر كان لي فاستتر فاذا الخدم قد دخلوا ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع واذا قد نزل من العمارية جاريتان احداهما معشوقتي فبهت وقال احد الخدم وهو كالرئيس لهم مولانا يقرؤك السلام ويقول عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك وقد وهبتها لك مع جميع مالها وتركها الخادم وعدة بغال عليها اثقال من صنوف الثياب والفرش والآلات والقماش وعدة جوار وانصرف الرسول فاخذت بيد عشيقتي وادخلتها المجلس فلما رأته والشرب قالت سلوت عني وشربت بعدي فحلفت لها ما شربت نبيذاً منذ فارقتها الا في هذا اليوم بلا غناء وحادثتها حديثي بطوله وقلت لها ما سبب ما جرى فقالت اعلم ان الخليفة لم يرني منذ يوم عرضني وامر بشرائي الا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة معي بك وذلك انها استدعتني منذ مدة ثم سالتني عن خبري معك وحدثتني ما دار بينك وبين ام المتقي فصدقتها وبكيت ايضاً فقالت كانك تحبينه فسكت وتغامز الجواري عليّ وصار شعار السيدة المزاح معي فيك فلما كانت هذه الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة والجواري فاستدعيت وغنيت للخليفة فقال ان كنت تحسنين الصوت الفلاني تغنيه وكان صوتك عليّ فغنيته وتمثلت لي صورتك وذكرت سري معك فلم املك دموعي حين جرت فقال المقتدر ما هذا فتحيرت وجزعت ونظرت الى السيدة فضحكت وضحك الجواري فقال المقتدر للسيدة ما القصة فدافعته فقال بحياتي لحدثته الحديث فلما استوفاه قال يا جارية الامر هكذا انما بكيت ابن ميمون فسكت فقال ان صدقت وهبتك له فقلت نعم فاقبل على امه وقال ما هو بكثير ان وهبتها لخادم لنا فقالت والله اردت ان اسالك هذا ولكن رايت انك ان تفضلت به ابتداء كان احسن فقال لبعض الخدم القيام خذ هذه وجميع ما في حجرتها فاحمله الى دار ابن ميمون كاتب ابني ابراهيم واقره السلام وعرفه اني وهبتها له فلما نقلت تصايح الجواري قد جاء فرجك وبلغت مناك فقمت في حجرتي وحملت اليك وماتراه معي فحمدت الله عز وجل وجلست معها وما شلت ما في المجلس حتى شربت معها فيه وغنت لي وبت باتم ليله وبكرت نشيطاً الى دار ام التقي لادعوا لهما وقامت الجارية عندي الى ان ماتت * حدثني عبد الله بن محمد الصروي قال حدثني ابي قال كان ببغداد من اولاد النعم فتى ورث من ابيه مالاً عظيماً وكان

يعشق قينة فأنفق عليها شيئاً ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها الى ان افلس فقالت الجارية ياهذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشاً كان الامر اسهل قال وكان الفتى لشدة حبه للجارية واحضاره الاستارات لها ليزيدها في صنعتها قد تعلم الغناء والضرب والحذق فيهما نشاور بعض معارفه فقال ما أعرف لك اصلح من ان تغني الناس وتحمل جاريتك اليهم وتأخذ على هذا الكثير من الاموال ويطيب عيشك فانف من ذلك وعاد اليها فاخبرها بما اشير عليه واعلمها ان الموت اسهل عنده من ذلك فصبرت معه مدة على الشدة ثم قالت له قد رأيت لك رأياً قال قولي قالت تبيعني فانه يحصل لك من ثمني ما اردت ان تتجر به او تقتني ضيعة وتعيش عيشة صالحة وتتخلص من هذه الشدة واحصل انا في نعمة لان مثلي لا يشتريها الا ذو نعمة فحملها الى سوق النخاسين فاول من اعترضها فتى هاشمي من اهل البصرة قد ورد بغداد للعب والتمتع فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عيناً قال الرجل فحين لفظت بالبيع واعطيت المال ندمت واندفعت في بكاء عظيم وحملت الجارية في اقبح من صورتي وجهدت في الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل واخذت الدنانير في الكيس لا أدري الى اين اذهب لان بيتي موحش منها وورد عليّ من اللطم والبكاء ما قد اهوسني فدخلت مسجداً وجلست ابكي نحملتني عيني وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ونمت فما شعرت الا بانسان قد جذبه من تحت رأسي فانتبهت فزعاً فاذا شاب قد اخذ الكيس وهو يعدو فقمت لأعدوا وراءه فاذا رجلي مشدودة بحبل قنب في وتد مضروب في ارض المسجد فما امكنني ان اتخلص من ذلك حتى غاب الرجل عن عيني فبكيت ولطمت ونالني أمر عظيم اشد من الاول وقلت فارقت من احب لأستغني بثمنه عن الصدقة وقد صرت الآن فقيراً مفارقاً فجئت الى دجلة ولففت رأسي ووجهي برداء كان عليّ ولم اكن أحسن السباحة فرميت بنفسي الى الماء فظن الحاضرون ان ذلك لغلط وقع على فطرح قوم نفوسهم خلفي فاخرجوني وسألوني عن امري فاخبرتهم فبعضهم رحمني والبعض استجهلني الى ان - لابي شيخ فاخذ يعظني ويقول يا هذا ذهب مالك فكان ما ذا حتى تتلف نفسك او ما علمت ان فاعل هذا في نار جهنم ولست اول من افتقر بعد غنى واستغنى بعد فقر فلا تفعل وثق بالله عز وجل اين منزلك قم معي اليه فما فارقني حتى حملني الى منزلي فأدخلني اليه وما زال يؤانسني فيه ويعظني الى ان رأى مني السلوان فانصرف فكدت اقتل نفسي لوحشة منزلي عليّ ثم ذكرت النار فخرجت

ولحقت به فبكى لي رقة واعطاني خمسين درهماً وقال خذهذه واخرج الساعة من بغداد واجعلها نفقة لك الى حيث وجدت قلبك يساعدك على قصده وانت من اولاد الكتاب وخطك صالح وأدبك جيد فاقصد بعض العمال واطرح نفسك عليه فاقل مافي الامر ان تصير محرراً بين يديه وتعيش معه ولعل الله ان يخلف عليك نقبات نصيحته وعملت على ذلك وجئت الى الكتبيين وقد قوى في نفسي ان اقصد واسطاً وكان لي بها اقارب فأجعلهم ذريعة الى التصرف مع عاملها فحين جئت الى الكتبيين اذا بزلال مقدم وجراية كثيرة وقماش فاخر كثير ينقل الى الزلال فسالت من يحملني الى واسط فقال احد ملاحي الزلال نحن نحملك الى واسط بدرهمين ولكن هذا الزلال لرجل هاشمي من اهل البصرة ولا يمكننا حملك معه على هذه الصورة ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا كانك واحد منا فحين رأيت الزلال وسمعت انه لرجل هاشمي من اهل البصرة طمعت ان يكون هو مشتري جاريتي فانفرج لسماعها لحد واسط فدفعت الدرهمين الى الملاح وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين وبعت تلك الثياب التي عليّ واضفت ثمنها الى ما معي من النفقة واشتريت خبزاً وادماً وجلست في الزلال فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسهل عليّ ما كان بي وما انا فيه وقلت أراها واسمع من غناها من ههنا لحد البصرة واعتقدت ان جعلت البصرة مقصدي وطمعت في ان اداخل مولاها واصير احد ندمائه وقلت لا تخليني هي من المودة فاني واثق بها ولم يكن بأسرع من ان جاء الفتى الذي اشتراها راكباً ومعه عدة من الغلمان ركبان وركبوا في الزلال وانحدر بهم فلما وصلوا الى كلواذ اخرج الطعام فأكل واكل الباقون على سطح الزلال واطعموا الملاحين ثم اقبل على الجارية فقال الى كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق مولى كان له فعلمت ما عندها من أمري ثم ضرب ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين في سطحه وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته وبنو عمه فاخرجوا الصواني ففرقها عليهم فيها النبيذ وما زالوا يرفقون بالجارية الى ان استدعت بالعود فاصلحته واندفعت تغني من الثقيل الاول باطلاق الوتر الذي في مجرى الوسطى

بان الخليط بمن عرفت فادلجوا عمداً لقتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها جمر الغضا في ساعة يتأجج

ثم غلبها البكاء فقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت انا مغشياً على فظن

الملاحون اني قد صرعت فاذن بعضهم في اذني فافقت بعد ساعة وما زالوا يداروننا ويرفقون بها ويسالونها الغنا الى ان اصلحت العود واندفعت تغني في الثقيل الثاني

فوقفت اسئل بالذين تحملوا وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم اسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت فكادت تتلف وارتفع لها بكاء عظيم وصعقت انا فتبرم بي الملاحون وقالوا كيف حملنا هذا المجنون وقال بعضهم اذا بلغتم بعض هذه القرى فاخرجوه واريحونا منه فجاءني امر عظيم من كل ما اصابني وجاءني في نفسي التصبر والحيلة في أن اعلم الجارية بمكاني بالزلازل لتمنع من اخراجي فأفقت وبلغنا الى قرب المداين فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا الى الشط فطرحوا الى الشط وصعدت الجماعة وكان المساء قريباً وصعد اكثر الملاحين يتغوطون وخلا الحريري وكان الجواري فيمن صعد الى مستراح ضرب لهن فمشيت سارقاً نفسي حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة أخرى ورجعت الى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حاجتهم في الشط ورجعوا والقمر منبسط فقالوا لها هوذا ترين وقتنا فتكافي الغنا ولا تنغصي علينا فاخذت العود فجسته وشهقت وقالت قد والله اصلح هذا العود مولاي على طريقة من الضرب كان بها معجباً وكان يضربها معي ووالله انه معنا في الزلال فقال لها مولاها والله يا هذه لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته فلعله ان يخف بعض ما بك فننتفع بغنائك ولكن هذا بعيد فقالت لا ادري ما تقولون هو والله معنا فقال الرجل للملاحين ويلكم هل حملتم معنا انساناً قالوا لا فاشفقت ان ينقطع السؤال فصحت نعم هوذا انا فقالت كلام مولاي والله وجاء بي الغلمان الى الرجل فلما رآني فقال ويحك ماهذا الذي أصابك وصيرك في مثل هذا الحال فصدقته عن امري وبكيت وعلانحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو واخوته بكاء شديداً رقة لنا ثم قال ياهذا والله ماوطئت هذه الجارية ولا سمعت غناها الا اليوم وانا رجل موسع عليّ ولله الحمد وردت بغداد لسماع الغنا وطلب ارزاق من الخليفة وقد بلغت من الامرين ما اردت ولما عملت على الرجوع الى وطني احببت ان استبيع من غناء بغداد شيئاً فاشتريت هذه الجارية لاضمها الى عدة مغنيات عندي بالبصرة واذا كنتما على هذه الحال فانا والله اغنم المكرمة والثواب فيكما واشهد الله اني اذا صرت الى البصرة اعتقتها وزوجتك منها واجريت عليكما ما يكفيكما ويسعكما على شريطة اذا اجبتني اليها قلت ماهي قال ان تحضرنا كلما اردنا الغناء خلف ستارتنا وتنصرف بانصرافك الى دار افردها لكما وقماش

أعطيكما اياه فقلت ياسيدي وكيف ابخل بهذا على من هو المعطي لي وعلى من رد عليّ حياتي واخذت اقبل يده فمنعني ثم ادخل راسه الى الجارية فقال يرضيك هذا فاخذت تدعوا له وتشكره فاستدعى غلاماً فقال خذ بيد هذا الرجل وغير ثيابه وبخره وقدم اليه ما يا كله وجئنا به فاخذني الغلام ففعل بي ذلك وعدت وتركت بين يدي صينية واندفعت الجارية تغني بنشاط وسرور وانبساط واستدعت النبيذ فشربت وشربنا واخذت اقترح عليها الاصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك اياماً الى ان بلغنا الى نهر معقل ونحن سكارى فشدّ الزلال في الشط واخذتني بولة فصعدت الى ضيعة بنهر معقل لابول فحملني النوم فيها بالسكر ودفع الزلال وانا لا اعلم واصبحوا فلم يجدوني ودخلوا البصرة ولم انتبه الا بحرّ الشمس فجئت الى الشط فلم ارَ لهم عيناً ولا اثراً وقد كنت اجللت الرجل ان اسأله بمن يعرف واين داره من البصرة واحتشمت ان اسأل غلمانه عن ذلك فبقيت على شاطيء نهر معقل كأول يوم بدأت بي المحنة وكأن ما كنت فيه منام واجتازت بي سميرية فركبت فيها ودخلت البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خاناً وبقيت متحيراً لا ادري ما اعمل ولم يتوجه لي معاش الى ان اجتاز بي يوماً انسان عرفته من بغداد فتبعته لا كشف له حالي واستميحه فأنفت من ذلك ودخل الرجل الى منزله فعرفته وجئت الى بقال كان هناك على باب الخان الذي نزلته فاعطيته دانقاً واخذت منه ورقة ودواة وجلست اكتب رقعة الى الرجل فاستحسن البقال خطي ورأى رثاثة ذلي فسألني عن امري فاخبرته انني رجل ممتحن فقير وقد تعذر عليّ التصرف وما بقي معي شيء ولم اشرح له اكثر من ذلك فقال اتعمل معي في كل يوم على نصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط حساب دكاني قلت نعم فقال اصعد فخرقت الرقعة وصعدت فجلست معه ودبرت امره وضبطت دخله وخرجه وكان غلمانه يسرقونه فأديت اليه الامانة فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فحمدني فكنت معه كذلك شهوراً ثم جعل رزقي في كل يوم درهماً ولم يزل حالي يقوى معه الى ان حال عليه الحول وبان له الصلاح في امره فدعاني الى ان اتزوج ابنته ويشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي فلزمت الدكان والحال يقوى الا انني في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما شرب فيجتذبني الى مساعدته فامتنع واظهر ان ذلك حزناً على موتي لي واستمرت بي الحال على هذا سنين فلما كان يوماً رأيت قوماً يجتازون بخون ونبيذاً اجتيازاً متصلاً

فسألت على ذلك فقالوا اليوم الثمانين ويخرج اهل الظرف واللعب بالشراب والطعام والقيان الى الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتني نفسي الى التفرج وقلت لعلي اقف لاصحابي على خبر لان هذا من مظانهم فقلت اريد ان انظر هذا المنظر فقال لي شأنك فاصلح لي طعاماً وشراباً وسلم اليّ غلاماً وسفينة فخرجت واكلت في السفينة وبدأت اشرب حتى وصلت الى الابلة وابصرت الناس وابتدأوا ينصرفون فانصرفت فاذا بالزلال بعينه لقيته في اوساط الناس سائراً في نهر الابلة فتأملته فاذا باصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم املك فرحاً وطرحت اليهم فلما رأوني وعرفوني كبّروا واخذوني اليهم وقالوا ويحك انت حي وعانقوني وفرحوا وسألوني عن قصتي واخبرتهم بها على اتم شرح فقالوا انا لما فقدناك في الحال وقع لنا انك بالسكر وقعت في الماء وغرقت ولم نشك في هذا فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها وبكت ولطمت فما منعناها عن شيء من هذا ووردنا البصرة فقلنا لها ماتختارين ان نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروّة من استخدامك معه في حال فقده والاستمتاع بغنائك فقالت تمكنوني من القوت اليسير ولبس الثياب السود وان اعمل قبراً في بيت من الدار واجلس عنده واتوب من الغنا فمكناها من ذلك فهي جالسة عنده الى الآن واخذوني معهم فحين دخلت الدار رأيتها بتلك الصورة وراتني فشهقت شهقة عظيمة ما شككت في تلفها واعتنقنا فما افترقنا ساعة طويلة ثم قال لي مولاها خذها فقلت بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك ودفع لي ثياباً كثيرة وفرشاً وقماشاً وحمل لي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت ان اجري عليك في كل شهر من منذ اول دخولي البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجارية لك مستأنفة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الغنا من الجارية من وراء ستارة باقٍ وقد وهبت لك الدار الفلانية قال فجئت اليها فاذا بذلك الفرش والقماش الذي اعطانيه فيها والجارية فجئت الى البقال فحدثته حديثي وطلقت ابنته ووفيتها صداقها واقمت مع الجارية على تلك الحالة والهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعدت الى قريب مما كنت عليه وانا اعيش كذلك الى الآن مع جاريتي * حدثني ابو دوق المراني عن الرياشي ان رجلاً من اهل النعيم بالبصرة اشترى صبيّة فاحسن ادبها وتعليمها واحبها كل المحبة وانفق عليها حتى املق ومسها الضر الشديد فقالت له الجارية اني لارثي لك يامولاي مما ارى بك

من سوء الحال فلو بعتني واتسعت بثمني فلعل الله ان يصنع بك واقع انا بحيث يحسن حالي فيكون بذلك اصلح لكل واحد منا قال فحملها الى السوق فعرضت على عمر بن عبيدالله ابن معمر التميمي وهو امير البصرة يومئذٍ فاعجبته فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المولى الثمن واراد الانصراف استعبر كل واحد منهما الى صاحبه باكيًا وانشأت الجارية تقول

هنيئًا لك المال الذي قد اخذته ... ولم يبق في كفي غير التذكر
اقول لنفسي وهي في غشي كربة ... ابكي فقد بان الحبيب واكثري
اذا لم يكن للمرء عندك حيلة ... ولم تجدي شيئًا سوى الصبر فاصبري

فاشتد بكاء المولى ثم انشد يقول

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
اروح بهمّ في الفؤاد مبرّح ... اناجي به قلبًا طويل التفكر
عليك سلام الله لا زيارة بيننا ... ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها ولك المال وانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببًا لفرقة مجتمعين * حدثني ابو الفرج علي بن الحسين المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه قال حدثني الحسين بن يحيى المرقاشي قال حدثنا حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لما دخل الرشيد البصرة حاجًا كنت معه فقال لي جعفر بن يحيى يومًا يا ابا محمد قد وصفت لي جارية مغنية حسناء تباع وذكروا ان مولاها ممتنع من عرضها الا في داره وقد عزمت ان اركب متخفيًا فاعرضها فتساعدني فقلت السمع والطاعة فلما كان في نصف النهار حضر النخاس فاعلم بحضوره فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية وامرني فلبست مثل ذلك وركبنا حمارين قد امرجا لنا بسروج التجار وركب النخاس معنا وتخللنا الطريق حتى اتينا دارًا ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب واذا شاب حسن الوجه عليه اثار ضرّ بادٍ وعليه قميص ففتح وقال انزلوا ياسادة فدخلنا واذا بدهليز شعثٍ ودار قوراء خراب منقوضة واذا في الدهليز بيت كالعامر مغلوق الباب فاخرج لنا الرجل منه قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا فجلسنا عليها وقال له النخاس احضر لنا الجارية فقد حضر المشتري فدخل البيت واذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلى والحلل لحسن وجهها وفي يدها عود فامرها جعفر بالغناء

فجسته وضربت ضرباً حسناً واندفعت تغني

ان يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً و يصبح بيتكم مهجورا
فلقد رآني والجديد الى بلى دهرًا بوصلك راضياً مسرورًا
جذلاً بمالي عندكم لا ابتغي بدلاً بوصلك خلة وعشيرا
كنت المنى واعز من وطىء الحصى عندي وكنت بذاك منك جديرا

قال ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء وسمعنا من البيت نحيب الفتى وقامت الجارية تتعثر في قميصها حتى دخلت البيت فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق ثم خفتا حتى ظننا انهما قد ماتا وهممنا بالانصراف فاذا الفتى قد خرج وعليه ذلك القميص بعينه فقال ايها القوم اعذروني فيما افعله واقوله فقال له جعفر قل فقال اشهد الله واشهدكم ان هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى واسألكم ان تزوجونيها فتحير جعفر أسفاً على الجارية ثم خاطبها فقال اتحبين ان ازوجك من مولاك قالت نعم فقرروا الصداق وخطب زوجها ثم اقبل على الفتى فقال له يا هذا ما حملك علي ما فعلت فقال حديثي طويل ان نشطت له حدثتك فقال لا اقل من ان نسمعه فلعنا نبسط عذرك فقال انا فلان بن فلان وكان ابي من وجوه اهل هذه البلد ومياسره وهو عارف بهذا واشار الى النخاس وانه اسلمني الى الكتاب وكانت لامي صبية وسنها قريب من سني وهي جاريتي هذه وكانت معي في الكتاب تتعلم ما اعلم وتنصرف معي فبلغت ثم عطلت عن المكتب وعلمت الغناء فكنت لمحبتي بها اتعلمه منها وعلق بقلبي منها حباً شديداً وبلغت تخطبني وجوه اهل البصرة لبناتهم فخيرني ابي فأظهرت له الزهد في التزويج ونشأت متوفراً على الادب متقلباً في نعمة ابي غير متعرض لما يتعرض له الاحداث لتعلق قلبي بالصبية ورغبة اهل البلد تزداد فيّ وعندهم ان عفتي لصلاح وما كانت الا لتعلق قلبي بالجارية وان شهوتي لا تتعداها لاحد وبلغت الجارية في الغناء ما قد سمعتموه فعزمت امي على بيعها وهي لا تعلم بما في نفسي منها فاحسست بالموت واضطررت الى ان صدقت امي عن الصورة فحدثت ابي فاجمع رأيهما على ان وهبا الجارية لي وجهزاها كما يجهز اهل البيوتات بناتهن وجليت عليّ وعمل العرس الحسن فتنعمت معها دهراً فمات ابي فلم احسن ان أرب نعمته فأسأت تدبيرها واسرعت في الاكل والشرب والقيان وانامع ذلك اجدد في كل يوم خمسين ديناراً واكثر ولا اتجاوزها في جماع او حب الى ان تلفت النعمة وافضت الحال الى نقض الدار والفقر الى ما ترون فانا على هذا منذ سنين فلما كان هذا

الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره واكثر مملكته بالبصرة فقلت لها يا اختي ان شبابك يبلى وعمرك في الدنيا ينقضي ووالله ما في نفسي رغبة في بيعك فاني اعلم اني تالف متى فارقتك ولكني أوثر تلفها معوصولك الى نعمة ورفاهية فدعيني اعرضك فلعله يشتريك بعض هؤلاء الكتاب فتحصلي معه في رغد من العيش فان مت بعدك فتلك أمنيتي ويكون كل واحد منا قد تخلص من الشقاء وان حكم الله عز وجل عليّ بالبقاء صبرت لفضل الله واضطربت في معاشي بثمنك فبكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت الي هذا النخاس واطلعته على امرى وقد كان يسمع غناها في ايام نعمتي وعرف حالها وحالي وعلمته اني لا اعرضها ابداً الا عندي فانها والله ما تـلقت عتبة هذه الدار قط واردت بذلك ان يراها المشتري وحده ولا تمتهن بسوق ولادخول الى بيوت الناس وانه لم يكن لها ماتلبسه الا قميصي هذا وهومشترك بيننا البسه اذاخرجت لابتياع القوت وتتشح هي بازارها فاذا جئت الى البيت البستها اياه واتشحت انا بالازار فلما جئتها لعرضها خرجت فغنتكم فلحقني من البكاء والقلق أمر عظيم ودخلت الي وقالت لي يا هذا ما اعجب امرك انت مللتني واثرت فراقي وتبكي هذا البكاء عليّ فقلت يا هذه والله لفراق نفسي اسهل عليّ من فراقك وانما اردت ان تتخلصي من هذا الشقاء فقالت والله يامولاي لوتملكت منك ما تملكته مني مابعتك ابداً وأموت جوعاً فيكون الموت هو الذي يفرق بيننا فقلت لا عليك تريدين ان تعلمي صدق قولي قالت نعم قلت هل لك ان اخرج الساعة الى المشتري فاعتقك بين يديه واتزوجك ثم اصير معك على ما نحن عليه الى ان يأتي الله بفرج أو صنع او موت وراحة فقالت ان كنت صادقاً فافعل هذا فما اريد غيرك فخرجت اليكم وكان مني ما قد علمتم فاعذروني فقال جعفر انت معذور ونهض فنهضت والنخاس فلما قدمت الحمير لتركب دنوت منه فقلت يا سبحان الله مثلك في جودك ترى هذه الكرامة ولاتنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على الفتى فقال ويحك وقلبي والله ولكن غيظي من فوت الجارية منعني من التكرم عليه فقلت فاين الرغبة في الثواب فقال صدقت والله ثم التفت الى النخاس فقال له كم كان الخادم سلم اليك عند ركوبنا لثمنها قال ثلاثة آلاف دينار قال فاين هي قال مع غلامي فقال لي وللنخاس خذاها وادفعاها الي الفتى وقولا له يكتسي ويركب ويجيئني لاحسن اليه واستخدمه فرجعت الى الفتى وأنا ابكي فقلت له قد عجل الله عز وجل عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك هو الوزير الامير جعفر بن يحيى البرمكي

وقد امر لك بهذا وهو يقول لك كذا وكذا قال فصعق حتى قلت قد تلف ثم افاق فاقبل يدعو ويشكرني فركبت فالحقت بجعفر فأخبرته فحمد الله عز وجل على ماوفقه له وعاد الى داره وانا معه فلما كان العشاء جئنا الى الرشيد فاخذ يسأل جعفر عن حاله في يومه وهو يخبره بالامور السلطانية ثم فاوضه فيما سوى ذلك الى ان قص عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد فما عملت فاخبره فاستصاب رأيه وقال وقع له برزق سلطاني في رسم ارباب النعم في كل شهر كذا وكذا واعمل بعد ذلك ما شئت فلما كان من الغد جاءني الفتى راكباً بثياب حسنة وهيئة جميلة واذا هو احلى الناس كلاماً واتمهم ادباً فحملته معي الى جعفر وأوصلته الى مجلسه فأمر بتسهيل وصوله اليه وخلطه بحاشيته ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشيء آخر وشاع حديثه بالبصرة وفي اهل العسكر فلم يبق فيهما متغزلاً ولا متظرف الا أهدى اليه شيئاً جليلاً فاخرجنا من البصرة الاوهو رب نعمة صالحة »

ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ماذكره ابن علي بن محمد بن الحسن ابن جهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب السمار والندما فزعم ان الرشيد لما حج كان معه ابراهيم الموصلي واقتص الخبر على قريب مما ذكرناه وان الجارية بدأت فغنت بصوت من صنعة ابراهيم وهو

تمّت علينا زفرة صاعدة ... ومنّي العائد والعائدة
يارب كم فرّجت من كل كربة ... عني فهذه المرة الواحدة

وان الذي حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متنكرين ومعهما ابراهيم الموصلي والنخاس وانهم انصرفوا وقطعوا الثمن على مائتي الف درهم ثم عادوا بالمال معهم فامروا باعاده التقليب فخرجت الجارية فغنت لابراهيم ايضاً

ومن عادة الايام أن صروفها ... اذا سر منها جانب ساء جانب
وما اعرف الايام الا ذميمة ... ولا الدهر الا وهو بالناس طالب

ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا وفي الخبر الاول زيادات ليست في حديث بن جهور* وبلغني خبر لجعفر بن يحيى مع جارية تقارب هذا اخبرني به ابو محمد الحسن ابو عبد الرحمن بن خلاد الوانهرزي خليفة ابي علي القضاء بها قال اخبرنا محمد ابن الصلت الجماني قال حدثني يبلغ وشبر النخاسان قالا ارسل الينا جعفر بن يحيى البرمكي يطلب جارية قوالة ذات ادب وظرف على صفة ذكرها وحدها فبقينا بخيل

الرأي ونخوض في ذكرهن ونتواصف من يعرف منهن والى جانبنا شيخ من أهل الكوفة يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندي بغية الوزير فانهضوا ان شئتم لتنظروا اليها فنهضنا معه حتى اذا وصلنا الى داره وجدناها ظاهرة الاحتلال ولم نرَ فيها الا مسحاً خلقاً وثلاث قصبات عليها مسرجة فارتبنا لقوله لما ظهر من سوء حاله ثم صوت بها فخرجت والله الينا جارية كانها فلقة قمر تنثني كالقضيب فاستقراها فقرأت آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكناً واتبعتها بقصيدة مليحة شوقتنا واطربتنا فقلنا أصناع وأشرنا الى يدها فقالت نعم علمت العود وانا صغيرة فقلنا ائتينا به فقالت سبحان الله وهل يصلح ذلك العود الا لمولي مالك ان دعاني اليه فعلته قال وراح الرسول الى جعفر فاخبره بما شاهده فلم يتمالك جعفر حين سمع بقصة الجارية حتى استنهض الرسول الى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وسأله اخراجها اليه ففعل فلما رآها جعفر اعجب بها قبل ان يستنطقها ثم استنطقها فاخذت بمجامع قلبه فقال لمولاها قل ما تشاء فقال الشيخ لست احدث أمراً حتى استأذنها ولولا الضر الذي نحن فيه ما عرضتها ولكن حالي ما يشاهده الوزير ووراء ذلك دين كثير قد قدحني ومن اجله فارقت وطني وعرضت على البيع ثمرة قلبي فقال جعفر فما مقدار ما في نفسك ان أردت بيعها قال ثلاثون الف دينار قال جعفر فهي لك ان بعتنيها فلما سمعت ذلك استعبرت فلما رأى الشيخ استعبارها اقبل على جعفر ومن حضر معه فقال اشهدكم اني قد اعتقتها وجعلت عتقها صداقها والله لاملكتها احداً ابداً فغضب جعفر واقبل من حضر على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونه ويقولون ضيعت هذا المال الجليل وعجلت وحمقت فقال الشيخ النفس اولى ان يبقى عليها من المال والرزاق الله جل وعز وعاد جعفر الى ابيه فاخبره بما كان من الرجل والجارية فقال ابوه له فما صنعت بهما قال تركتهما وانصرفت قال ويحك ما أنفت ان تنصرف عن متحابين مثلهما فقيرين لاتجبر حالهما أرضيت ان يكون الكوفي اسمح منك ودعا بغلام فحمل معه الى الشيخ ثلاثين الف دينار على بغل فلما وصل المال الى الشيخ اخذه وحمد الله جل وعز وعاد بالجارية والمال الى منزله بالكوفة * وجدت في بعض كتبي ان عمرو بن شيبة قال حدثني ابو غسان قال اخبرني بعض اصحابنا ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما اشترى جارية من مولدات اهل مكة وكان يتعشقها غلام من اهلها فقدم في اثرها المدينة فنزل قريباً من منزل عبد الله بن جعفر ثم جعل يلطف عبد الله بظرائف

مكة حتى عرفه وجعلت الجارية تراسله فادخلته ليلة في اصطبل دواب عبد الله بن جعفر فعبر عليه السايس فاعلم عبد الله بن جعفر فاتى به فقال مالك قبحك الله أبعد تحرمك بنا تتعرض لحرمنا قال لا انك لما ابتعت الجارية كنت لها محباً وكانت تجدني مثل ذلك قال فدعا الجارية فسألها فجاءت بمثل قصة الفتى فقال خذها فهي لك فلما كان بعد ذلك بقريب عشق عبد السلام بن ابي سليمان مولى اسلم جارية لآل طلحة ابن عبد الله بن معمر التميمي يقال لها رواح فطلبها منهم ورجا ان يفعلوا به مثل ما فعل ابن جعفر بالفتى المكي فلم يفعل الطلحيون ذلك فسأل في ثمنها حتى اجتمع له فاشتراها منهم وقال عبدالسلام

وانت فلا تعدل نوال بن جعفر واين لعمري من نوال بن معمري
يطير لذي الجنات هذا لفضله وقد قص هذا في الجحيم المسعر

* وقد كان في عصرنا ما يقارب مثل هذا وهو ما حدثني به ابو الحسن على بن عمر الدارقطني الحافظ قال حدثنا ابو احمد محمد بن احمد الجرجاني الفقيه الذي كنا ندرس عليه مذهب الشافعي قال كنا ندرس على ابي اسحاق المروزي الشافعي وكان يدرس عليه معنا فتى من اهل خراسان له والد هناك يوجه اليه في كل سنة مع الحجاج قدر نفقته للسنة فاشترى جارية فوقعت في نفسه والفته والفها وكانت معه سنين وكان رسمه ان يستدين في كل سنة ديناً بقدر ما يعجز عن نفقته فاذا جاء ما ينفذه اليه ابوه قضى دينه وانفق الباقي مدة ثم عاد الى الدين فلما كان سنة من السنين جاء الحجاج وليس معهم نفقة من ابيه فسألهم عن ذلك فقالوا ان ابالك اعتل علة عظيمة صعبة فاشتغل بنفسه فلم يتمكن من انفاذ شيء معنا قال فقلق الفتى قلقاً شديداً وخاف غرماؤه يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب واخرج الجارية الى النخاسين فعرضها وكان الفتى ينزل بقرب منزلي ويختلف الى مجلس الفقه ولا يكاد يفترق فباع الجارية بألف درهم وكسر لينفق منها على غرمائه قدر ما لهم ويتمرر بالباقي وعند رجوعنا من النخاسين كان قلقاً موجعاً فلما كان الليل لم اشعر الا وبابي يدق ففتحته فاذا بالفتى فقلت مالك فقال قد امتنع عليّ النوم وحشة للجارية وشوقاً اليها قال ووجدته من القلق على أمر عظيم حتى انكرت عقله فقلت ما تشاء قال لا ادري وقد سهل الله عليّ ان ترجع الجارية الى ملكي وابكر غداً فاقر لغرمائي بما لهم واحتبس في حبس الحاكم الى ان يفرج الله جل وعز ويجيئني من خراسان نفقتي في

العام المقبل بعد ان تكون الجارية في ملكي فقلت له انا اكفيك ذلك في غد ان شاء الله واعمل في رجوع الجارية اليك اذا كنت قد وطنت نفسك على هذا قال وبكرنا الى السوق فسألنا من اشترى الجارية فقالوا امرأة من دار ابي بكر بن ابي حامد الخراساني صاحب بيت المال فجئنا الى مجلس الفقه فشرحت لابي اسحق المروزي بعض حديث الفتى وسألته ان يكتب الى ابي بكر بن ابي حامد رقعة يسئله فيها فسخ البيع والاقالة وأخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقمت وأخذت بيد الخراساني صديقي وجئت الى ابي بكر بن ابي حامد فاذا مجلس حاشد فأمهلنا حتى خف فدنوت انا والفتى فعرفني وسألني عن المروزي فقلت هذه رقعته في حاجة له فلما قرأها قال أنت صاحب الجارية قلت لا ولكنه صديقي هذا وأومأت الى الخراساني وقصصت عليه القصة في سبب بيعه الجارية فقال لي والله ما أعلم انني ابتعت جارية ولا ابتيعت لي فقلت ان امرأة جاءت فابتاعتها وذكرت انها من دارك فقال يجوز يا فلان فجاء خادم فقال ادخل الى دور الحرم وسل عن جارية ابتيعت أمس فلم يزل يدخل ويخرج من دار الى أخرى حتى وقع عليها فقال عثرت عليها فقال نعم فقال أحضرها فاحضرت فقال لها من مولاك فأومأت الى الخراساني فقال لها أتحبين ان اردك عليه فقالت والله ليس مثلك من يختار عليه ولكن لمولاي حق التربية فقال هي كيسة عاقلة قال فاخرج الخراساني الكيس وتركه بحضرته فقال للخادم امض الى الحرم فقل لهن ما كنتن وعدتن به هذه الجارية من احسان وبر فعجلنه الساعة فجاء الخادم باشياء لها قدر فدفعها اليها ثم قال للخراساني خذ كيسك فانقض منه دينك ووسع باقيه على نفسك وعلى جاريتك والزم الدرس فقد اجريت لك في كل شهر تفيز دقيقاً ودينارين تستعين بها في دارك فوالله ما انقطعت عن الفتى حتى مات قال مؤلف هذا الكتاب وجدت هذا الخبر مستفيضاً ببغداد واخبرت به على جهات مختلفة الاّ انني اذكر بعض الطرق الاخر التي بلغتني * حدثني احمد بن عبدالله عن شيخ من دار القطن ببغداد قال كان لابي بكر ابن ابي حامد جارية ظريفة وكان ثم رجل يعرف بعبد الرحمن الصيرفي باعها له بثلثمائة دينار وكان يهواها فلما جاء الليل استوحش لها وحشة شديدة ولحقه من القلق والهيام والجنون والاسف على فراقها مامنعه من النوم ولحقه من البكاء والسهر ما كاد يخرج نفسه فلما اصبح خرج الى دكانه ليتشاغل بالنظر في امره فلم يكن الى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية وجاء الى دار ابي بكر بن ابي حامد ودخل

ومجلسه حافل فسلم وجلس في اخريات الناس الى ان انفضوا فلما لم يبق منهم غير ابي بكر بن ابي حامد قال له ان كانت لك حاجة فاذكرها فحصر وجرت دموعه وشهق فرفق به ابن ابي حامد وقال له قل عافاك الله ولا تستحي قال بعت امس جارية كانت لي احبها واشتريت لك اطال الله بقاك وقد احسست بالموت اسفاً على فراقها واخرج الثمن ووضعه بحضرته وقال انا اسألك ان ترد عليّ حياتي بأخذ هذه الدنانير واقالتي البيع قال فتبسم له بن ابي حامد وقال فلما كانت بهذا المحل من قلبك فلم بعتها قال انا رجل صيرفي وكان رأس مالي الف دينار فلما اشتريتها تشاغلت بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت انفق عليها من رأس مالي نفقة لايحتملها مالي فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت فاذا لم يبق معي من رأس مالي الا ثلثه او اقل وصارت تطالبني من النفقة بما ان اطعتها فيه ذهبت هذه البقية فلما منعتها ساءت اخلاقها عليّ وتنغصت عيشتي فقلت ابيعها وارد ثمنها فيما اختل من دكاني ويستقيم عيشي واستريح من اذاها واتصبر على فراقها وينضبط امري بسقوط النفقة عليّ وتوفري على التجارة ولم اعلم انه يلحقني هذا الامر العظيم وقد آثرت الفقر الآن بأن تحصل لي الجارية فان الموت اسهل مما انا فيه فقال ابن ابي حامد يافلان فجاء خادم اسود فقال اخرج الجارية التي اشتريت لنا امس قال فاخرجت الجارية قال يابنيّ ان مثلي لا يطأ قبل الاستبراء والله ماوقعت عيني عليها منذ اشتريت الى الآن وقد وهبتها لك فخذها وخذ دنانيرك بارك لك فيها ورد الدنانير الى دكانك ثم قال للخادم هات الف درهم فجاء بها فقال للجارية قد كنت عملت على ان اكسوك فجاء من امر مولاك ما رأيت وليس من المروءة منعه منك فخذي هذا الدراهم واتسعي بها على نفسك ولا تحملي مولاك مالا يطيق فيفتقر ويحتاج لبيعك واين تجدين من يرغب فيك مثل رغبته فاعرفي له حق هذه المحبة وهذه الالف درهم لك عندنا كل سنة يجيء مولاك ويأخذها لك اذا شكرك ورضي طريقك ثم قال له لا تنفق عليها الا بقدر طاقتك وهذه الالف درهم لها في كل سنة كفاية مع ماتطيقه انت من الانفاق عليها وتوفر على دكانك ومعاشك وليس كل وقت يتفق لك ما اتفق الآن فقام الرجل وقبل يديه ورجليه وجعل يبكي ويدعوا له ورجع الى بيته بماله وجاريته واصلح دكانه ومعيشته وفرج الله عز وجل ما كان من الشدة وكان ما فعله ابو بكر بن ابي حامد سبباً لصلاح حاله * ويشبه هذا الحديث ما وجدته في كتاب اعطانيه ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم المعروف بابن

حاجب النعمان وهو يومئذٍ كاتب الوزير المهلبي على ديوان السواد وذكر انه نسخه من كتاب اعطاه ابو الحسن الخصيبي وكان فيه اصلاحات بخط ابن مايداد اشترى الحسن ابن سهل من القسطاطي التاجر جارية بالف دينار فحملت الى منزل الحسن وكتب للقسطاطي بثمنها فاخذ الكتاب احالة عليه بالمال وانصرف فوجد منزله مفروشاً نظيفاً وفيه ريحان قد عبي تعبية حسنة ونبيذاً قد صفى فقال ماهذا فقيل له جاريتك التي بعثها الساعة اعدت لك هذا لتنصرف اليها فبعثها قبل انصرافك فال فقام القسطاطي فرجع الى الحسن وقال ايها الامير اقلني بيع الجارية اقالك الله في الآخرة فقال ما الى هذا سبيل وما دخلت قط دارنا جارية فخرجت منها قال ايها الامير انه الموت قال وما ذلك فقص عليه القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن ورد الجارية عليه وقال له الالف دينار لا يرجع الى ملكي منها دينار واحد فأخذ القسطاطي الجارية والدنانير وعاد الى منزله وجلس مع جاريته على ما اعدته له * عن حماد بن اسحق عن ابيه قال غدوت يوماً وانا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على ان اطوف الصحراء واتفرج بها فقلت لغلماني ان جاء رسول الخليفة فعرفوه اني بكرت في مهم لي وانكم لا تعرفون اين توجهت ومضيت وطفت مابدالي ثم عدت وقد حمي النهار فوقفت في شارع المخرم في الظل عند جناح رحب في الطريق لاستريح فلم البث ان جاء خادم يقود حماراً فارهاً عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية ورائه ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتناً وشمائل ظريفة فحدست انها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها وعلقها قلبي في الوقت علوقاً شديداً لم استطع معه البراح فلم البث الاّ يسيراً حتى اقبل رجلان شابان جميلان لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستأذنا فأذن لهما فحملني حب الجارية على ان نزلت معهما ودخلت بدخولهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار اني معهما فجلسنا فاتى بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيتها حسناء وتمكن مافي قلبي منها وغنت غناء صالحاً وشربنا وقمت قومة للبول فسأل صاحب المنزل من الفتيين عني فاخبراه انهما لا يعرفانني فقال هذا طفيلي ولكن ظريف فاجملوا عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية في لحن لي

ذكرتك اذ مرّت بنا امّ شادن امام المطايا تستريب وتطمح
من المولعات الرمل ادماء حرّة شعاع الضحى في بيتها يتوضح

فأدته اداء صالحاً ثم غنت اصواتاً فيها من صنعتي

الطلول الدوارس فارقتها الاوانس اوحشت بعد اهلها فهي قفر يابس

فكان اثرها فيه اصلح من الاول ثم غنت اصواتاً من القديم والحدث وغنت في اضعافها من صنعتي في شعري

قل لمن صدّ عاتبا ونأى عنك جانبا قد بلغت الذي ارد ت وان كنت لاعبا

واعترفنا بما ادعيـ ت وان كنت كاذبا

فكان اصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه لها فأقبل عليّ رجل منهم فقال ما رأيت طفيلياً اصفق وجهاً منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلي ويقترح فاطرقت ولم اجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلم يكف ثم قاموا الى الصلاة وتأخرت واخذت العود واشددت طبقته واصلحته اصلاحاً محكماً وعدت الى موضعي فصليت وعادوا واخذ الرجل في عربدته علي وانا صامت ثم اخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من مس عودي فقالوا ما مسه احد قالت بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من صنعته فقلت لها انا اصلحته قالت بالله عليك خذه فاضرب به فأخذته وضربت مبداء عجيباً فيه نقرات محركة فما بقي في المجلس احد الا ووثب فجلس بين يدي وقالوا بالله عليك ياسيدنا اتغني قلت نعم واعرفكم نفسي ايضاً انا اسحق بن ابراهيم الموصلي واني والله لاتيه على الخليفة وأنتم تشتموني اليوم لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لانطقت بحرف ولا جلست معكم او تخرجوا هذا المعاند ونهضت لاخرج فتعلقوا بي فلم ارجع فلحقني الجارية فتعلقت بي فلنت وقلت لا اجلس حتى تخرجوا هذا البغيض فقال له صاحبه من هذا كنت اخاف عليك فاخذ يعتذر فقلت اجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر فاخذوا بيده واخرجوه فبدات اغني بالاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فطرب صاحب البيت طرباً شديداً وقال هل لك في امر اعرضه عليك فقلت وما هو قال تقيم عندي شهراً والجارية والحمار لك مع ما عليه من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فاقمت عنده ثلاثين يوماً لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبني في كل موضع فلم يعرف لي خبراً فلما كان بعد ذلك سلم اليّ الجارية والحمار والخادم وجئت بذلك الى منزلي وهم في اقبح صورة لخبري وتأخري عنهم وركبت الى المامون من وقتي فلما رآني قال لي يا اسحاق ويحك أين انت وأين تكون فاخبرته بخبري فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على

بيته فاحضر فسأله المامون عن القصة فاخبره بها فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعاون عليها فامر له بماية الف درهم وقال لا تعاشر ذاك المعربد السفل فقال معاذ الله يا امير المؤمنين وامر لي بخمسين الف درهم وقال لي احضر الجارية فاحضرته اياها فغنته فقال لي قد جعلت لها نوبة كل يوم ثلاثاء تغنيني من وراء الستارة مع الجواري وامرلها بخمسين الف درهم فربحت والله بتلك الركبة وأربحت * عن نمير بن خلف الهلالي قال كان منا فتى يقال له سيرين بن عبدالله و يعرف بالاشتر كان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت ذات زوج وشاع خبره في حيها فمنع منها وضيق عليه حتى لم يقدر ان يلم بها فجاءني يوماً فقال يا اخي قد بلغ مني الوجد وضاق عليَّ الصبر فهل تساعدني على زيارتها فاجبته فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا قريباً من حيها فكمن في موضع وقال لي اذهب الى القوم فكن ضيفاً فيهم ولا تذكر شيئاً من امرنا حتى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا فتعلمها خبري وتأمرها بأخذ موعد منها فمضيت وفعلت ما امرني به حتى لقيت الراعية فخاطبتها فمضت الى جيداء وعادت وقالت موعدك الليلة عند تلك الشجرة من موضع كذا فمضيت اليه وجلسنا عند الشجرة الي الوقت المعلوم فاذا بجيداء قد اقبلت فوثب الاشتر يقبل عينها فقمت مولياً عنهما فقالا نقسم عليك الا رجعت فوالله ما بيننا ما نستره عليك فرجعت وجلسنا نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك من المصاحبة الليلة فتتعلل بها قالت لا والله الا بأن يعود حالي الى ما تعرف من البلاء والشدة فقال مامن ذلك بدّ ولو وقعت السماء على الارض فقالت هل في صاحبك هذا خير فقلت أي والله فقالت وقد خلعت ثيابها خذها والبسها واعطني ثيابك ففعلت فقالت اذهب فان زوجي سيأتيك بعد العتمة يطلب منك القدح ليحلب فيه الابل فلا تدفعه اليه من يدك فهكذا كنت افعل به ودعه بين يديه فانه سيذهب فيحلب فيه ثم يأتيك به فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تطيل نكدك عليه ثم تأخذه او تدعه حتى يضعه هو ثم لست تراه حتى يصبح فذهبت وفعلت ما أمرتني وجاء بالقدح فلم آخذه وأطلت النكد عليه ثم أهويت لآخذه واهوى ليضعه فاختلفت أيدينا فانكفأ القدح فقال ان هذا الطماح مفرط وضرب يده الى سوط ثم تناول جبتي فضرب ظهري بذلك السوط ثلاثين فجاءت أمه وأخته وانتزعاني من يده بعد ان زال عقلي وهممت أن أوجئه بالسكين فلما خرجوا عني لم ألبث الا يسيراً فاذا بأم جيداء قد دخلت عليَّ تكلمني وتزبرني فلزمت الصمت والبكاء فقالت يا بنتي اتقي الله وأطيعي زوجك

أما الاشتر فلا سبيل لك اليه وانا ابث اليك اختك الليلة ثم مضت وبعثت الي بالجارية فجعلت تكلمني وتدعو على من ضربني وتبكي وانا ساكت ثم اضطجعت الى جنبي فشددت يدي على فمها وقلت يا جارية ان أختك مع الاشتر وقد قطع ظهري بسببها وانت أولى بسترها مني وان تكلمت بكلمة فضحتها وأنا لست أبالي فاهتزت مثل القضيب فزعاً ثم ضحكت وباتت معي اظرف الناس ولم نزل نتحدث حتى برق الفجر ثم خرجت وجئت الى أصحابي فقال جيداء ما الخبر فقلت سلي اختك عنه فلعمري انها عالمة به ودفعت اليها ثيابها وأريتها ظهري فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل الاشتر يبكي وانا احدثه وارتحلنا

* عن بعضهم قال حضرت في دعوة عند صديق لي من البزازين كان مشهوراً فقدم اليه في جملة طعامه داجيراجة فلم يأكلها فامتنعنا من اكلها فقال احب ان تأكلوا وتعفوني من أكلها فلم ندعه حتى اكل فلما غسلنا ايدينا انفرد يغسل يده ووقف غلام يعد عليه حتى قال لقد غسلت يدك اربعين مرة فقطع الغسل فقلنا ما سبب هذا فامتنع فالححنا عليه فقال مات ابي وسني نحو العشرين سنة وخلف عليَّ حالاً ضعيفة واوصاني قبل موته بقضاء ديونه وملازمة السوق وان اكون اول داخل اليها وآخر من يخرج منها فرأيت في ذلك منافع كثيرة وبينما انا جالس ذات يوم ولم يتكامل السوق اذا بامرأة راكبة حماراً على كفله منديل ديبقي وخادم يمسك العنان فنزلت عندي فقمت اليها ولزمتها وسألتها عن حاجتها فطلبت شيئاً من الثياب ذكرته فسمعت منها احسن نغمة ورأيت وجهاً لم ارَ احسن منه قط فذهب عليَّ امري وهمت بها في الحال فقلت تدبري حتى يتكامل السوق وآخذ لك ما تريدين فأجابت واخذت تحادثني وانا كدت ان اموت عشقاً وخرج الناس فاخذت لها ما ارادت فجمعته وركبت ولم تخاطبني في ثمنه بحرف وكان يبلغ الخمسة آلاف درهم فلما غابت عن عيني افقت واحسست بالفقر وقلت محتالة خدعتني بكشف وجهها ورأتني حدثاً ولم اكن سألتها عن منزلها ولا طالبتها بالثمن لدهشتي بها فكتمت خبري لئلاَّ افتضح واتعجل المكروه وعملت على اغلاق دكاني وان ابيع كل مافيه واوفي الناس حقوقهم وأجلس في بيتي مقتصراً على شيء يسير من عقار خلفه ابي فلما كان بعد اسبوع اذا بها قد باكرتني ونزلت عندي فحين رأيتها انسيت ما كنت فيه وقمت اليها اجلالاً فقالت يافتى قد تأخرنا عنك وما شككنا ان قد روعناك وظننت اننا احتلنا عليك فقلت قد رفع الله قدرك عن هذا فاستدعت الميزان ووفتني دنانير بقيمة ما قلت لها انه ثمن المتاع واخذت تذكر متاعاً

آخر فأجلستها بإحدثها وامتع بالنظر اليها الى ان تكاملت السوق فقمت فدفعت الى كل انسان ممن كان له شيء ماله وطلبت منهم ما اردت فاعطوني فجئت به معي فاخذته وانصرفت ولم تخاطبني في ثمنه ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن عيني ندمت وقلت المحنة هذه لانها اعطتني خمسة آلاف درهم واخذت متاعاً ثمنه الف دينار والآن لم اقف لها على خبر فليس الا الفقر وبيع المحكم لمتاع الدكان وما ورثته من ابي وتطاولت غيبتها عني اكثر من شهر واخذ التجار يشدون عليّ المطالبة فعرضت عقاري على البيع واشرفت على الهلاك وانا في ذلك واذا بها قد نزلت عندي فحين رأيتها ورأتني زال عني الفكر وانسيت ما كنت فيه واقبلت عليّ تحادثني وقالت هات الطيار فوزنت لي بقيمة المال فاخذت اطاولها ونشطت لكلامها فباسطتني فكنت فرحاً وخجلاً الى ان قالت لي هل لك زوجة فقلت لا والله باستي ماعرفت امرأة قط وبكيت فقالت مالك قلت خيراً واخذت بيد خادمها واخرجت اليه دنانير كثيرة وسألته التوسط بيني وبينها فضحك وقال انها والله اعشق منك لها وما بها حاجة الى ما اشترته منك وانما تجيئك لمطالبتك فخاطبها بما تريد فانها تقبله وتستغني عني فعدت وقلت لها اني مضيت لانقد الدنانير فضحكت وكانت قد رأتني مع الخادم فقلت باستي الله الله في دمي وخاطبتها بما في نفسي فأعجبها ذلك وقبلت الخطاب احسن قبول ثم قالت الخادم يجيئك برسالتي بما تعمله وقامت ولم تاخذ ثياباً فوفيت الناس اموالهم وحصل لي ربح واسع واغتممت غماً شديداً خوفاً من انقطاعها عني ولم انم ليلتي قلقاً وحزناً فلما كان بعد ايام جاءني الخادم فاكرمته واعطيته دنانير وسألته عنها قال هي والله عليلة شوقاً اليك قلت فاشرح لي امرها قال هذه صبية ربتها السيدة ام المقتدر وهي من اخص جوارها واشتهت رؤية الناس والدخول والخروج فتوصلت الى ان صارت تخلف القهرمانة فتخرج لقضاء بعض الحوائج فترى الناس وقد والله حدثت السيدة بحديثك وسألتها ان تزوجها منك فقالت لا افعل حتى اراه فان كان يستحقك والاّ لم ادعك باختيارك ويحتاج ان تحتال في دخولك الدار بحيلة ان تمت وصلت الى حاجتك وان انكشف ذلك ضرب عنقك فما تقول قلت اصبر على هذا فقال اذا كان الليلة فاعبر المحزم وادخل المسجد الذي بنته السيدة على شاطيء دجلة وعلى الحائط الآخر مما يلي دجلة اسمها مكتوب بالاجر المقطوع ﴿ وهو المسجد الذي سدّ بابه الآن سبكتين الحاجب الكبير مولى معز الدولة المعروف بشاشنكير وادخله الى ميدان داره وجعله مصلى لغلمانه ﴾ فبت فيه تصل لمشتهاك

ففعلت فلما كان السحر اذا بطيار لطيف قد قدم وخدم قد نقلوا صناديق فارغة وجعلوها في المسجد وانصرفوا وبقي منهم واحد فتأملته فاذا هو الواسطة بيني وبينها ثم ظهرت الجارية فاستدعتني فقمت وعانقتها وقبلت يدها وقبلتني قبلاً كثيرة وتحدثنا ساعة ثم اجلستني في واحد من الصناديق كبير واقفلته واقبل الخدم يتراجعون بثياب وماورد وعطر واشياء قد احضروها من مواضع ففرقت في باقي الصناديق واقفلت ثم حملت الصناديق في الطيار وانحدر فلحقني امر عظيم من الندم وقلت قتلت بشهوة لعلها لا تتم ولو تمت ماساوت قتل نفسي واقبلت ابكي وادعوا الله عز وجل واتوب اليه وانذر الى ان حملت الصناديق بجهازها في دار الخليفة وحصل صندوقي خادمان احدهما الواسطة ومشت هي امام الصندوق والصناديق كلها خلف صندوقي فلما اجتازت بطائفة من الخدم الموكلين بابواب الحرم قالوا نريد نفتش الصناديق فكانت تصيح على بعضهم وتشتم بعضهم وتداري بعضهم الى ان انتهينا الى خادم ظننته رئيس القوم فخاطبته بفزع وخضوع وذلة وحقق ان لابدّ من فتح الصناديق فبدأ بصندوقي فانزله فحين حسست بذلك ذهب عقلي وغاب على امري وبلت في الصندوق فزعاً فجرى البول حتى خرج من خلاله فقالت يا استاذ اهلكتني واهلكت التجار ذهب عليّ الامر كله وهلك علينا مافي الصندوق من متاع وثياب وغيره قيمة الجميع عشرة آلاف دينار لان فيه قارورة من ماء زمزم وقد انقلبت وجرت على الثياب والآن تستحيل الوانها فقال لها خذي صندوقك الى لعنة الله انت وهو ومري فحمل الخادم صندوقي بعد ان اشتد عليه وتلاحقت الصناديق فيما بعد وما راعني بعدها الاّ حين سمعتها تقول ويلاه الخليفة قمت رعباً وجاءني مالم احتسبه فقال لها الخليفة ويحك اي شيء في صناديقك قالت يامولاي ثياب للسيدة فقال افتحي حتى اراها قالت يامولاي الساعة افتحها بين يديك وتراها قال مري هوذا ساجيء اليك فقالت للخدم اسرعوا فاسرعوا ودخلت حجرة وفتحت صندوقي وقالت اصعد تلك الدرجة ففعلت واخذت مما في بعض تلك الصناديق وجعلته في صندوقي وجاء المقتدر ففتحت الصناديق بين يديه ثم اغلقت الحجرة ومضت ومعها الصناديق بحيث تجلس ثم عادت اليّ وطيبت نفسي واحضرتني طعاماً وشراباً وما احتاج اليه واقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتني فصعدت اليّ وقالت السيدة تجيء الساعة لتراك فانظر كيف تكون فما كان بأسرع من ان جاءت السيدة فجلست على كرسي وفرقت جواريها ولم يبق معها واحدة منهن ثم انزلتني الجارية فحين

رأتني السيدة قبلت الارض وقمت ودعوت لها فقالت لجاريتها ما بئس ما اخذت هو كيس ونهضت فجاءتني صاحبتي بعد ساعة وقالت ابشر فقد وعدتني والله ان تزوجني بك وما بين ايدينا الآن الا عقبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى فلما كان من غد حملتني في الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش ايسر وتركت في المسجد فرجعت وتصدقت ووفيت بنذري فلما كان بعد ايام جاءني الخادم برقعة بخطها الذي اعرفه وكيس فيه ثلاثة آلاف دينار عيناً وتقول في الرقعة امرتني السيدة بايصال هذا اليك من مالها وقالت اشتر ثياباً ومركوباً ومملوكاً يسعى بين يديك واصلح به ظاهرك وتجمل بكل ما تقدر عليه واحضر يوم الموكب الى باب العامة وقف حتى تطلب فتدخل على الخليفة فتزوج بحضرته فاجبت على الرقعة واخذت المال واشتريت منه ماقالوه باحسن ما يكون واحتفظت الباقي وركبت دابتي يوم الموكب الى باب العامة ووقفت الى ان جاءني من استدعاني فادخلت على المقتدر وهو على السرير والقضاة والهاشميون والجيش قيام فداخلني هيبة عظيمة وخطب بعض القضاة وزوجني فلما صرت في بعض الممرات عدل بي الى دار عظيمة مفروشة بانواع الفرش الفاخر والآلات والخدم فاجلست وتركت وحدي وانصرف من ادخلني فلبثت يومي لا ادري من اعرف الا خدم يدخلون ويخرجون وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة تزف فلانة اسم زوجتي الى فلان البزاز فلما جاء الليل اثر الجوع بي واقفلت الابواب وآيست من الجارية فقمت اطوف في الدار فوقعت على المطبخ واذا قوم طباخون جلوس فاستطعمتهم فلم يعرفوني فقدموا اليّ داجيراجة فاكلتها ومسحت يدي باشنان كان في المطبخ وانا مستعجل لئلا يفطن بي وظننت اني نقيت من ريحها وعدت الى مكاني فلما انتصف الليل اذا بطبول وزمور والابواب تفتح وصاحبتي قد اهديت اليّ وجاؤا بها يحملونها وانا اقدر ان ذلك في النوم ولا اصدق فرحاً به وقد كادت مرارتي تنشق سروراً ثم خلوت بها وانصرف الناس فحين تقدمت اليها وقبلتها رفستني فرمت بي عن المنضدة وقالت انكرت ان تفلح يا عامي وقامت لتخرج فتعلقت بها وقبلت الارض بين يديها وقلت عرفيني ذنبي واعملي بعده ماشئت فوقفت وقالت هات حديثك عن يومك كله فقصصت عليها القصة كلها فلما وقفت عليها قالت قل على وعلى وحلفتني بايمان غليظة لا أكلت داجيراجة الا غسلت يدي أربعين مرة فاستحييت وتبسمت وقلت فرجعت الى المنضدة وصاحت يا جواري فجاءت عدة وصائف فقالت

هاتن ما تأكل فقدمت الينا مائدة حسنة والوان فاخرة من موائد الخلفاء والوانهم فاكلت واكلت معها واستدعت شراباً فشربت انا وهي وغنى لنا اولئك الوصائف وقمنا الى الفراش فدخلت معها وافتضضتها وبت بليلة من ليالي الجنة ولم نفترق اسبوعاً ليلاً ونهاراً الى ان انقضت وليمة الاسبوع وكانت عظيمة فاخرة فلما كان من الغد قالت لي ان دار الخلافة لا تحتمل المقام فيها اكثر من هذا وما تمّ لاحد ان يدخل فيها بعروس غيرك وكل ذلك بعناية السيدة وقد اعطتني خمسين الف دينار من عين وورق وجوهر وقماش ولي خارج القصر اموال وذخائر وكلها لك فاخرج وخذمعك مالاً واشتر لنا داراً عظيمة حسنة واسعة الصحن فيها بستان كبير كثيرة الحجر ولا تضيق على نفسك كما تضيق نفوس النجار فاني ما تعودت السكن الا في الصحون الواسعة واحذر ان تبتاع شيئاً ضيقاً فلا اسكنه واذا تم البيع فاصلحها ونظفها وعرفني لانقل اليك مالي وانتقل ففعلت كما تأمرين فسلمت لي عشرة آلاف دينار فاخذتها وخرجت وآتيت داري فانهال الناس عليّ واعترضت الدور حتى ابتعت ما وافق اختيارها وكتبت اليها بالخبر فنقلت اليّ تلك النعمة بأسرها وعندي مالم اظن اني أراه فضلاً عن ان املكه واقامت عندي كذا وكذا سنة اعيش معها بعيش الخلفاء واتجر في خلال ذلك لان نفسي لم تسمح بترك الصنعة وابطال المعيشة فتزايد مالي وجاهي وولدت لي هؤلاء الشبان وأوى الى اولاده وماتت رحمها الله وبقي علي مضرة الداجيراجة اني لا آكلها الا غسلت يدي اربعين مرة * وجدت في بعض الكتب ان عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حباً شديداً فقال لها انت طالق ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت قد طلقني وباتت بليلة عظيمة فلما اصبح غدا على المنصور واخبره الخبر وقال له يا امير المؤمنين ان تم على طلاقها تلفت نفسي عنها وكان الموت احب اليّ من الحياة واظهر للمنصور جزعاً شديداً فاحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلاً واحداً من اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه فانه سكت فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فلا شيء يا أمير المؤمنين أحسن من الانسان فقال المنصور لعيسى بن موسى قد فرج الله عز وجل عنك والامر على ما قال هذا فاقم على زوجتك وراسلها ان طليقي زوجك فما طلقك * عن محمد بن بن يونس قال لما سلمت

عمل دمشق الى ابي المغيث الرافعي سألني ان اكتب له عليه ففعلت فلما تآنست انا وهو حدثني أول خبره في تقلده الناحية فقال لي كنت قصدت عيسى بن موسى وهو يتقلد حمص فصرفني وقلده ابن عملي فانصرفت عنه الى الرافقة وكان لابنة عم لي جارية نفيسة قد ربتها وعلمتها الغناء وكنت ادعوها فالفتها ووقعت في قلبي موقعاً عظيماً واشتد حبي لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها وناظرت مولاتها في ذلك فحلفت انها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار فنظرت فاذا انا افتقر ولا تفي حالي كلها بثمنها فقامت قيامتي واشتد وجدي وانحدرت الى سر من رأي اطلب تصرفاً اوما به شراها وكان محمد بن اسحق الطاهري وابوه يوهبان لي فقصدت محمداً ومعي دواب وبقية من حالي فأقمت عليه مدة لم يسنح لي فيها تصرف فأبدت لي رقة الحال فانحدرت الى بغداد اقصد اسحق بن ابراهيم الطاهري فوردت في زورق وفكرت في أمري وعلى من انزل فلم اثق بغير محمد بن الفضل الحوحوائي لمودة كانت بيني وبينه فقصدته ونزلت عليه ووقع ذلك منه اجل موقع وفاتشني عن امري وسألني عن حالي فذكرت له قصتي مع الجارية فقال والله لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها وأمر خادمه فأحضر كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار وسلمت اليّ وتأيبت عليه فحلف ايماناً مؤكدة ان اقبله وقال ان اتسعت لقضائه واحتجت اليه لم امتنع من اخذه منك فأخذت الكيس وشكرته وتشاغلنا بالشرب فلما كان من الغد أتي رسول اسحاق بن ابراهيم الطاهري يطلبني فصرت اليه فأحفى بي واكرمني وقال ما ظننت انك توافي بلداً احله فتنزل غير داري فقلت والله ما وافيت الا قاصداً الى الامير ولكن دوابي تأخرت فتوقعت ورودها لاصير الى باب الامير عليها فدعا بكتب وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب من امير المؤمنين المعتصم بولايتي دمشق وأراني كتاباً يعلمه فيه ما خبأ علي بن اسحاق من قتل رجاء بن الضحاك بدمشق وان امير المؤمنين رأى تقليدك وطلبت بسر من رأى فذكر له انك انحدرت الى اسحاق بن ابراهيم فأمر بتسليم كتبك اليّ ودفع مائة الف دينار لك معونة على خروجك واحضر المال ووكل بي من يستحثني على البدار فورد علي من السرور ما أدهشني وودعته وخرجت الى محمد بن الفضل فعرفته ما جرى وودعته ايضاً وأخرجت دنانيره فرددتها عليه فحلف بايمان غليظة عظيمة لا عادت الى ملكه ابداً وقال ان جلست في عملك واتسعت لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا فشخصت ومررت بالرقة وابتعت الجارية وبلغت مناي بملكها واجترت

بحمص بابن عمي وانا اجل منه عملاً ودخلت عملي فصنع الله سبحانه ووسع *ووجدت في كتاب السمير للمدايني ان رجلاً من بني أسد علق امرأة من همدان بالكوفة وشاع أمرهما فوضع قوم المرأة عليه عيوناً حتى أخبروا انه قد اتاها في منزلها فأتوا دارها واحتاطوا بها فلما رأت ذلك ولم تجد للرجل مهرباً وكانت المرأة بادية فقالت له ما أرى لك موضعاً أستر من ان أدخلك خلف ظهري وتلزمني فأدخلته بينها وبين القميص ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى لم يتركوا موضعاً الا فتشوه فلما لم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم وأغلظت المرأة عليهم وعنفتهم فخرجوا وأنشأ الرجل يقول

حبك اشهاني وحبك قادني ... لهمدان حتى امسكوا بالمخنق
فجاشت الى النفس أول مرة ... فقلت لها ماتفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عما تنجلي ... عماية هذا العارض المتعلق

*ذكر الهيثم بن عدي ان جماعة من عذرة حدثوه ان جميل بثينة حضر ذات ليلة عند خباء حتى اذا صادف منها خلوة تنكر ودنا منها وكانت الليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح فحذف بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت ما حذفني في هذه الليلة الا الجن فقطنت بثينة ان جميلاً فعل ذلك فقالت لربتها الا فانصرفي يا أخية الى منزلك حتى تنامي فانصرفت وبقت مع بثينة ام الحسين ويروى أم اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت الى جميل فادخلته الخباء معها وتحدثوا جميعاً ثم اضطجعوا وذهب بهم النوم حتى اصبحوا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به اليها فرآها نائمة ونظر جميلاً فمضى لوجهه حتى خبر سيده وكانت ليلى رأت الغلام والصبوح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كانها تسأله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها وقالت حذري جميلاً وبثينة فجاءت الجارية ونبهتهما فلما تبينت بثينة ان الصبح قد اضاء والناس قد انتشروا ارتاعت لذلك وقالت يا جميل نفسك قد جاء غلام بعلي بصبوح من اللبن فرآنا نائمين فقال جميل وهو غير مكترث

لعمرك ما خوفتني من مخافة ... عليّ ولا حذرتني موضع الحذر
وأقسم ما يلقى لي اليوم عزّة ... وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه ان يلقي نفسه تحت النضد وقالت انما اسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ونامت واضجعت أم الحسين الى جانبها فجاء زوجها

الى اخيها وابيها فعرفهما الخبر وجاؤا بأجمعهم الى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فرأوا أم الحسين الى جانبها نائمة فحجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لابيها وأخيها قبحكما الله في كل يوم تفضحان المرأة في فاتكما ويلكما هذا لا يجوز فقالا انما فعل ذلك زوجها فقالت قبحه الله واياكما فجعلا يسبان زوجها وانصرفوا وأقام جميل تحت المنضد الى الليل ثم ودعها وانصرف * عن ابي القاسم علي بن أحمد الكاتب المعروف بابن كردويه قال كان لي صديق من اهل واذان عظيم النعمة والضيعة فحدثني قال تزوجت في شبابي امرأة من آل وهب ضخمة النعمة حسنة الخلقة والادب كثيرة المروءة ذات جوار مغنيات فعشقتها عشقاً مبرحاً وتمكن لها من قلبي أمر عظيم ومكث عيشي بها طيباً مدة طويلة ثم جرى بيني وبينها بعض مايجري بين الناس فغضبت عليّ وهجرتني واغلقت باب حجرتها من الدار دوني ومنعتني الدخول اليها وراسلتني بأن اطلقها فترضيتها بكل ما يمكنني فلم ترض ووسطت بيننا اهلها من النساء فلم ينجع فلحقني الكرب والغم والقلق والجزع حتى كاد يذهب بعقلي وهي مقيمة على حالها فجئت الى باب حجرتها وجلست عنده منترشاً التراب ووضعت خدي على العتبة أبكي وانتحب واتلافاها واسألها الرضا وأقول كلما يجوز ان يقال في مثل هذا وهي لاتكلمني ولا تفتح الباب ولا تراسلني ثم جاء الليل فتوسدت العتبة الى ان اصبحت واقمت على ذلك ثلاثة ايام بلياليها وهي مقيمة على الهجران فآيست منها وعزلت تنسي ووبختها ورضيتها على الصبر وقمت من باب حجرتها عاملاً على التشاغل عنها ومضيت الى حمام في داري فأمطت عن جسدي الوسخ الذي كان لحقه وجلست لاغير ثيابي وأتبخر فاذا بزوجتي قد خرجت الي وجواريها المغنيات حواليها بآلاتهن يغنين ومع بعضهن طبق فيه اوساط وسنوسج وماء ورد وما اشبه ذلك فحين رأيتها استطرت فرحاً وقمت اليها واكببت على يديها ورجليها وقلت ما هذا ياستي فقالت تعال حتى نأكل ونشرب ودع السؤال وجلست وقدم الطبق فأكلنا جميعاً ثم جيء بالشراب واندفع الجواري بالغناء واخذنا في الشراب وقد كاد عقلي يزول سروراً فلما توسطنا امرنا قلت لها ياستي انت هجرتيني بغير ذنب كبير اوجب مابلغته من الهجران وترضيتك بكل ما في المقدرة فما رضيت ثم تفضلت اسداء بالرجوع الى وصالي بما لم تبلغه اماني فعرفيني ماسبب هذا قالت كان الامر في سبب الهجر ضعيفاً كما قلت ولكن تداخلني في التجني مايتداخل المحبوب ثم استمر بي اللجاج وأراني الشيطان الصواب فيما فعلته فاقمت على ما رايته فلما كان الساعة اخذت دفتراً كان بين يدي

وتصفحته فوقعت عيني منه على قول الشاعر :

الدهر اقصر مدة من ان يضيع في الحساب فيعني ساعاته فمرورها مر السحاب

قالت فعلمت انها عظة لي وان سبيلي ان لا اتخط الله عز وجل باتخاط زوجي ولا استعمل اللجاج فاسوءك واسوء نفسي بمجيئك لارضاك وارضيك فانكببت على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا * عن عبد الملك بن عمر قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفي فارسل الي عشرة من اصحابه واذا احدهم من وجوه اهل الكوفة فسهرنا عنده ثم قال ليحدثني كل رجل منكم احدوثه وابدأ انت فقلت اصلح الله الامير احديث الحق ام حديث الباطل قال بل حديث الحق قلت ان امرىء القيس بن حجر الكندي حلف ان لا يتزوج امراة حتى يسالها عن ثمانية واربعه واثنين وجعل يخطب النساء واذا سالهن عن هذا قلن اربعة عشر فبينما هو يسير في الليل اذا برجل يحمل بنتاً له صغيرة كأنها البدر لتمه فاعجبته فقال يا جارية ماثمانية واربعة واثنان قالت اما الثمانية فاطباء الكلبة واما الاربعة فاخلاق الناقة واما الاثنان فثديا المراة فخطبها الى ابيها فزوجه اياها وشرطت عليه ان تسأله ليلة بنائها عن ثلاثة خصال فجعل لها ذلك على ان يسوق لها مائة من الابل وعشرة عبيد وعشرة وصائف وثلاث افراس ففعل ثم انه بعث عبداً له الى المراة واهدى اليها نحياً من سمن ونحياً من عسل وحلة من عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بشجرة فانشقت وفتح النحيين واطعم اهل الماء منهما ثم قدم على حي المرأة وهم خلوف فسألها عن ابيها وامها واخيها ودفع اليها هديتها فقالت اعلم مولاك ان ابي ذهب يقرب بعيداً و يبعد قريباً وان امي ذهبت تشق النفس نفسين وان اخي يراعي الشمس وان سمنكم قد انشقت وان وعاكما قد نضبا فقدم الغلام على مولاه فاخبره فقال ما اقوى قولها انها تعني بقولها ان اباها ذهب يقرب بعيداً و يبعد قريباً ان اباها ذهب يحالف قوماً على قوم وقولها ذهبت امي تشق النفس نفسين فان امها ذهبت تقبل امرأة نفساء واما قولها اخي يراعي الشمس فان اخاها في سرح له يرعاه فينتظر وجوب الشمس ليروح به واما قولها ان سمنكم قد انشقت فان البرد الذي بعثت به انشق واما قولها ان وعاكما قد نضبا فان النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني قال يامولاي اني نزلت بماء لبني تميم فسألوني عن نسبي فاخبرتهم اني اعمك ونشرت الحلة فلبستها فتعلقت بشجرة وانشقت ثم فتحت النحيين واطعمت منهما اهل الماء فقال اولى لك ثم ساق الابل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلاً فقام

الغلام يستقي فاعانه امرىء القيس فرمى به الغلام في البئر وخرج حتى اتى المرأة بالابل واخبر اباها انه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما ادري اهو زوجي اولا ولكن انحروا له جزوراً واطعموه من كرشها ففعلوا فاكل ما اطعموه فقالت اسقوه لبناً خازراً وهو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام فلما اصبح ارسلت اليه اني اريد ان اسألك فقال سلي ماشئتِ فقالت مَّ تختلج شفتاك فقال لتقبيلي اياكِ فقالت مَّ يختلج كشحاك فقال لالتزامي اياكِ فقالت مَّ يختلج نخذاك فقال لتوركي اياكِ قالت عليكم بالعبد فشدوا ايديكم به ففعلوا قال ومرَّ قوم فاستخرجوا امرىء القيس من البئر فرجع الى حيه واستاق من الابل واقبل الى امرأته فقالت والله لا ادري اهو زوجي اولا ولكن انحروا له جزوراً واطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما اتوه بذلك قال اين الكبد والسنام والملحاء وابى ان ياكل فقالت اسقوه لبناً خازراً فأبى ان يشربه وقال اين الضريب والرايب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فابى ان ينام وقال افرشوا لي عند التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خبا ثم ارسلت اليه هل شرطي عليك في المسائل الثلاث قال فارسل اليها ان سلي عما شئت قالت مَّ تختلج شفتاك قال لشرب المشعشعات قالت فمَّ يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فمَّ يختلج نخذاك قال لركضي المطهمات قالت هذا زوجي فعليكم به واقتلوا العبد فقتلوه ودخل امرىء القيس بالجارية قال ابن هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديثك يا ابا عمرو ولن تأتينا باعجب منه فقمنا وانصرفنا وامر لي بجائزة سنية * وجدت في كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج المعروف بالاصبهاني الذي اجاز لي روايته في جملة ما اجازه لي اخبار قيس بن دريج الكناني قال في صدرها اخبرني بخبر قيس بن دريج ولبني امرأته جماعة من مشائخنا في قصص متصلة ومنقطعة واخبار منثورة ومنظومة فألفت جميع ذلك ليتسق حديثه الاَّ ماجاء منفرداً وحسن اخراجه عن جملة النظم فذكرته على حدة فممن اخبرنا بخبره احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه الى غيره وابراهيم ابن ايوب عن ابي شبة والحسن بن علي عن محمد بن موسى عن حماد البريدي عن احمد بن يوسف عن جرير بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن ابي السري عن هشام بن محمد الكلبي وعلى روايته اكثر المعوّل ونسخت ايضاً من اخباره المنظومة اشياء ذكرها عن رجاله وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه وخالد بن حمل ونتفاً حكاها التوسعي صاحب

الرسائل عن ابيه عن احمد بن حماد جميل عن ابن ابي جناح الكعبي وحكيت كل متفق فيه متصلاً وكل مختلف في معانيه منسوباً اليّ قالوا جميعاً كان ينزل قيس برصة في ظاهر المدينة وكان هو وابوه من حاضرة المدينة فمر قيس لبعض حوائجه بخباء من بني كعب من خزاعة والحي جلوس فوقف على خيمة لبني بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت به اليه وكانت امرأة شديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء فقالت له انتزل عندنا قال نعم فنزل بهم وجاء ابوها فنحر له واكرمه فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حر لا يطفى فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وروى ثم اتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها فسلم وظهرت له وردت عليه سلامه وتحفت به فشكا اليها مايجد بها وما لقي من حبها فشكت مثل ذلك فاطالت وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه فانصرف الى ابيه فاعلمه حاله وسأله ان يزوجه اياها فأبى عليه وقال يابني عليك باحدى بنات عمك فهنّ احق بك وكان دريج كثير المال فاحب ان لا يخرج ابنه عن يده فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به ابوه فاتى امه وشكا ذلك اليها واستعان بها على ابيه فلم يجد عندها مايحب فاتى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وروى ابو الفرج قبل هذا في اخبار قيس باسناد مفرد لم اذكره ههنا خوف الاطالة انه كان رضيع الحسين عليه السلام واتى الى ابن ابي عتيق وكان صديقه فشكا اليهما مابه وما رد عليه ابوه فقال له الحسين عليه السلام انا اكفيك فمشى معه الى ابي لبني فلما بصر به اعظمه ووثب اليه وقال يا ابن رسول الله ما جاء بك الا بعثت اليّ فآتيك فقال ان الذي جئت له يوجب قصدك وقد جئتك خاطباً لبني لقيس بن دريج فقال يا ابن رسول الله الا بعثت اليّ وما كنا لنعصى لك امراً وما بنا عن الفتى رغبة ولكن احب امرين اليها ان يخطبها ابوه دريج وان يكون ذلك عن امره فانا نخاف ان سمع ابوه بعد هذا يكون عاراً وسبة علينا فاتى الحسين رضي الله عنه دريجاً وقومه مجتمعون عليه فقاموا اليه اعظاماً وقالوا له مثل قولهم الخزاعيين فقال يادريج اقسمت عليك الا خطبت لبني لابنك قيس قال السمع والطاعة لامرك فخرج معه في وجوه قومه حتى اتى حي لبني فخطبها دريج على ابنه لابيها فزوجه اياها وزفت اليه فاقام معها مدة لا ينكر احدهما من صاحبه شيئاً وكان ابر الناس بامه فالهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت امه في نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري ولم ترَ للكلام موضعاً حتى

مرض قيس مرضاً شديداً فلما برأ قالت امه لابيه لقد خشيت ان يموت قيس ولم يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المراة وانت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة فزوجة بغيرها لعل الله ان يرزقه ولداً والحمت عليه في ذلك فامهلها حتى اجتمع قومه ثم قال ياقيس انك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ولالي سواك وهذه المراة ليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله تعالى ان يهب لك ولداً تقر به اعيننا وعينك فقال قيس لست متزوجاً غيرها ابداً فقال ابوه ان في مالي سعة فتسرى بالاماء فقال ولا اسؤها بشيء ابداً فقال ابوه اني اقسم عليك الا طلقتها فابى وقال الموت والله اسهل عليَّ من ذلك ولكن اخبرك خصلة من خصال قال وما هي قال تتزوج انت فلعل الله ان يرزقك بولد غيري قال ما بي فضل لذلك قال فدعني ارحل عنك باهلي قال ما كنت لاصنع قال فدع لبني عندك وارتحل انا عنك لعلي اسلوها فآتي ما تحب بعد ان تكون نفسي طيبة بانها في حبالي قال لا ارضى او تطلقها ثم حلف انه لا يكنه سقف بيت ابداً حتى تطلق لبنى وكان يخرج فيقعد في حر الشمس ويجيء قيس فيقف الى جانبه و يظله بردائه و يصلي وهو بحر الشمس حتى يفيء الفيء وينصرف الى لبنى فيعانقها و يبكي وتبكي معه وتقول ياقيس لا تطع اباك تهلك وتهلكني معك فيقول ما كنت لاطيع احداً فيك ابداً فيقال انه مكث على ذلك سنة وقال خالد بن كلثوم ذكر ابن عائشة انه اقام كذلك اربعين يوماً ثم طلقها وحكى ليث بن عمرو انه سمع قيس بن دريج يقول ليزيد بن سليمان هجرني ابواي في لبنى عشر سنين استأذن عليهما فيردانني حتى اطلقها قال ابن جريج فاخبرت ان عبد الله بن صفوان الطويل لقي دريجاً ابا قيس فقال له ماحملك ان فرقت بينهما او ما علمت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما ابالي فرقت بينهما او مشيت اليهما بالسيف وروى هذا الخبر من طريق آخر ان الحسين بن علي رضي الله عنهما قال لدريح ابي قيس أحل لك ان فرقت بين قيس ولبنى اما اني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما ابالي افرقت بين الرجل وامراته او مشيت اليهما بالسيف قالوا فلما بانت لبنى منه بطلاقه اياها وفزع من الكلام لم يصمت حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وجعل يبكي و يتشنج احر تشنج و بلغها الخبر فارسلت الى ابيها ليحملها وقيل بل اقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل اليها فاقبل ابوها بهودج على ناقة و بإبل يحمل اثاثها فلما راى ذلك قيس اقبل على جاريتها وقال و يحك مادهاني فيكم قالت لاتسئلني وسل لبنى فذهب ليلم

بخبائها فمنعه قومها واقبلت اليه امراة من قومه فقالت مالك تسئل ويحك كانك جاهل او متجاهل هذه لبنى ترحل الليلة او غداً فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم افاق وهو يقول

واني لمن دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي ... بكفي الا انّ من خان خائن

قال ابو الفرج من هذه الابيات غناء ولها اخبار قد ذكرت في اخبار المجنون يعني قيس بن الملوح مجنون بني عامر ثم ذكر ابو الفرج بعد هذا عدة قطع من شعر قيس بن دريح ثم قالوا فلما ارتحل بها قومها اتبعها ملياً ثم علم ان اباها سيمنعه من المسير معها فوقف ينظر اليها ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعاً ونظر الى خف بعيرها فاكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها واثر قدميها فلام على ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال

وما احببت ارضكم ولكن ... اقبل اثر من وطيء الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى ... بلاء ما اسيغ له شرابا

ثم ذكر ابو الفرج قطعة من شعر قيس واخباراً من اخباره في لبني مشهورة بأسانيد مفردة عن الاسناد الذي رأيته عنه هاهنا ثم رجع الى موضع من الحديث الذي جمع فيه اسانيده وأتى بسياقة تطول عن ان اذكرها في كتابي هذا جملتها عظيم مالحق قيساً من التململ والسهو والكمد والاسف والبكاء العظيم والجزع المفرط والصاق خده بالارض على أثارها وخروجه في أثرها يشم روائحها وعتابه نفسه في طاعة أبيه على طلاقها وعلة اعتلها اشرف منها على الموت وجمع أبيه له فتيات الحي يعللنه ويحدثنه طمعاً في ان يسلوا عن لبني ويعلق واحدة منهن فيزوجها منه وقصة له مع طبيب حضره وقطع شعر كثيرة له في خلال ذلك وذكر في جملة اخبار كثيرة بأسانيد متفرقة وبالاسناد الذي ذكره ان ابا لبني شكا قيساً الى معاوية بن ابي سفيان وذكر تعرضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها فكتب مروان بذلك الى صاحب الماء وان أباها زوجها فبلغ ذلك قيساً فاشتد جزعه وجعل يتشنج أحرّ تشنج ويبكي اشد بكاء وأتى محلة قومها فنزل عن راحلته وجعل يبكي في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي احر بكاء ثم قال قصيدة أتى بها ابو الفرج وبأخبارها اولها

الى الله اشكوا فقد لبني كما شكا الى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها اخباراً له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة ووجدها به وبكاها وانكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلة أخرى لحقت قيساً واشهارها وافتضاحها وما لحق قيساً ولبني من الخبل واختلال العقل وقطع شعر كثيرة أخر لقيس في خلال ذلك وان قيساً مضى الى يزيد بن معاوية فمدحه وشكى اليه مابه فرق عليه وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض عليه احد وأزال ما كان كتب به في هدر دمه وقطع شعر كثيرة لقيس في خلال ذلك واخبار مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من امر قيس ولبني وذكر كلاماً كثيراً في ذلك والجمع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك كله وذكر الفخذمي وابن عائشة وخالد ابن حمل ان أبي عتيق صار الى الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رحمهما الله وجماعة من قريش فقال لهم ان لي حاجة اخشى ان تردوني فيها واني استعين بجاهكم وأموالكم عليها قالوا ذلك مبذول لك منا فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فمضى بهم الى زوج لبني فلما رآهم أعظم مصيرهم اليه واكبره فقالوا قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق فقال مقضية كائنة ما كانت قال ابن ابي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من اهل او مال قال نعم قال فهب لي اليوم لبني زوجتك وتطلقها قال فاني اشهدكم انها طالق ثلاثاً فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا انها هذه ما سألناك اياها قال بن عائشة فعوضه الحسن عليه السلام في ذلك بماية الف درهم وحملها ابن ابي عتيق اليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدتها فأتى القوم اباها فزوجها قيساً ولم تزل معه الى ان ماتا فقال قيس بن دريح يمدح بن أبي عتيق

جزى الرحمن افضل ما يجازي على الاحسان خيراً من صديق
فقد جربت اخواني جميعاً فما الفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع ورأي حرت فيه عن طريق
واطفا لوعة كانت بقلبي أغصتني حرارتها بريق

قال فقال له بن أبي عتيق ياحبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه احد الا ظنني قواداً * اخبرني ابو الفرج المعروف بالاصبهاني قال اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن سعد قال حدثني عبد الله ابن نصر المروزي قال حدثنا محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال قدم عليّ بنيسابور

ابراهيم بن سبابة يعني الشاعر البصري الذي كان جده حجاماً فاعتقه بعض بني هاشم فصار مولى لهم فأنزلته علي فجاءني ليلة من الليالي وهو مكروب وقدهام فجعل يصيح بي يا أبا ايوب فخشيت ان يكون قد غشيته بلية فقلت له ما تشاء فقال (أعياني الشاذن الريب) فقلت له ما ذا تقول فقال (اشكو اليه فلا يجيب) فقلت داره وداوه فقال

من أين ابغي شفاء مابي وانما دائي الطبيب

فقلت فلا اذاً الا ان يفرج الله تعالى فقال (يارب فرج اذن وعجل) (فانك السامع المجيب) * ثم انصرف * اخبرني ابو الفرج المعروف بالاصبهاني قال حدثني محمد بن مزيد أبي الازهر قال حدثنا حماد بن اسحق قال حدثني ابي قال سرت الى سر من رأى بعد قدومي من الحج فدخلت الى الواثق فقال بأي شيء اطرفتني من الاحاديث التي استفدتها من العرب في اشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جلس الي فتى من الاعراب في بعض المنازل يحدثني فرأيت منه احلى من رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وظرفاً وأدباً فاستنشدته فانشدني

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكتنفان مؤتلفان
اذا أمنا التفا بجيدي مواصل وطرفاهما للريب مسترقان
اردتهما حتـلا فلم استطعهما ورميـا ففاتاني وقد قتلان

ثم تنفس تنفساً ظننت انه قد قطع حياذيمه فقلت مالك بأبي انت وامي فقال لي ورأ هذا الجبلين شجى لي وقد حال قومه بيني وبين المرور بهذه البلاد وهدروا دمي فانا اتمتع بالنظر الى الجبلين تعللاً به اذا قدم الحـاج ثم يحال بيني وبين ذلك فقلت له زدني مما قلت فانشدني

اذا ما وردت الماء في بعض اهله حضور فعرض بي كانك مادح
فان سألت عني حضوراً فقل لها به غير من دائه وهو صـالح

فأمرني الواثق فكتبت الشعرين فلما كان بعد ايام دعاني فقال قد صنع بعض عجايز دارنا في احد الشعرين لحنا فاسمعه فان ارتضيته أظهرناه وان رأيت فيه موضع اصلاح اصلحته فغنى لنا فيه من وراء الستارة فكان في نهاية الجودة وكذا كان يفعل اذا صنع شيئاً فقلت له احسن والله صانعه يا امير المؤمنين ماشاء فقال بحياتي فقلت وحياتك وحلفت له بما وثق به فأمر لي برطل فشربته ثم اخذ العود فغناه ثلاث مرات فلما كان بعد ايام دعاني وقال لي قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر الآخر لحنا وأمر

فغنى به وكانت حالي به كالحالة الاولى في الشعر الاول لما استحسنته وحلفت له على جودته وسقاني ثلاثة ارطال وامر لى بثلاثة الف درهم ثم قال قد قضيت حق هديتك قلت نعم يا امير المؤمنين اطال الله بقاك وأتم نعمته عليك ولا افقدنيها منك ربك فقال ولكنك لم تقض حق جليسك الاعرابي ولا سألتنى معونة على امره وقد سبقت منه مسئلتك ثم قال ولكني كتبت بخبره الى صاحب الحجاز وامرته باحضاره وخطبة المرأة له وحمل صداقها الى قومها من مالى ففعل فقبلت يده وقلت السبق الى المكارم لك وانت اولى بها من عبدك ومن سائر الناس قال ابو الفرج وصنعة الواثق في الشعرين جميعاً من الرمل * وجدت في بعض كتبى قال ابو عبيد الله محمد بن علي بن حمزة كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه فعشقها فعلمت زوجتي بذلك فحجبتها عنى واشتد مابي من الوجد عليها وتنغصت على حياتي وقاسيت شدة شديدة فبينما انا ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتي الى جانبى اذ رأيت في النوم كان الجارية حيالي وانا ابكي وقد لاح انسان انشدني

وقفت حبالك اذري الدموع ... واخلط بالدمع منى دما
واشكو الذي بي الى عاذلي ... ولا خير في الحب ان يكتما
رضيت بما ليس فيه رضاً ... بتسليم طرفك ان سلما
فتهت علي واقضيتنى ... واعزز علي بأن ارغما

قال فانتبهت جزعاً ودعوت بدواة وبياض وجلست في فراشي فكتبت الشعر فقالت زوجتي مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت هذا كله من حب فلانه قد وهبتها لك * اخبرني ابو الفرج القرشي المعروف بالاصبهاني قال نسخت من كتاب محمد بن موسى بن حماد ذكر الرياشي قال حماد الراوية اتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن ابي ربيعة المخزومي فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن ابي ربيعة كان لى صديق من بنى عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان احد بني سلامان وكان يلقى من الصبابة بالنساء على انه كان لاعاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في كل سنة اذا جاء وقته وترجمت عنه الاخبار وتوكفت له الاسفار فعمى ذات سنة ابطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فأتيت القوم انشد صاحبي واذا غلام قد تنفس الصعدا ثم قال عن ابي المسهر تسأل قلت نعم عنه اسأل واياه اردت قال هيهات هيهات اصبح ابو المسهر لامايوس منه فيهمل ولا مرجو فيعلل والله كما يقول الشاعر

لعمرك ماحبي لاسماء تاركي اعيش ولا اقضي به فأموت

فقلت وما الذي به قال مثل الذي بك من الهيمان فى نهوككما في الضلال وجركما اذيال الخسار كانكما لم تسمعا بجنة ولا نار قلت ومن انت منه يا ابن اخي قال اخوه قلت فما يمنعك ان تسلك مسلك اخيك من الادب وان تركب منه مركبه واخوك كالبرد والبحار لاترفعه ولا يرفعك ثم صرفت وجه ناقتي وانا اقول

ارائحه حجاج عذرة وجهه ولما يرح في القوم جعدبن مهجع
خليلان نشكو مانلاقى من الهوي متى اقل يسمع وان قال اسمع
الا ليت شعري اي شيء اصابه بلى زفرات هجن من بين اضلع
فلا يبعدنك الله خلاً فانني سألقي كما لاقيت في الحب مصرعى

ثم انطلقت حتى وقفت موقفي من عرفات فبينما انا كذلك اذا بانسان قد تغير لونه وساءت هيأته فادنى ناقته من ناقتي ثم خالف بين اعناقها وعانقني وبكا حتى اشتد بكاؤه فقلت ما وراءك فقال نوح العذل وطول المطل ثم انشأ يقول

لئن كانت غدية ذات لب لقد علمت بان الحب داء
ولا تنظر الى تغيير جسمي واني لا يفارقني البكاء
فاني لو تكلفني كلاماً لعف الكلم وانكشف الغطاء
وان معاشري ورجال قومي حتوفهم الصبابة واللقاء
اذا العذري مات حليف قوم فذاك العبد تبكيه الرشاء

فقلت يا ابا المسهر انها ساعة يضرب اليها اكباد الابل من شرق الارض وغربها فلو دعوت كنت تتمنى ان تظفر بحاجتك قال فتركني واقبل على الدعاء فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا منه سمعته يتكلم بشيء فاصغيت اليه فاذا هو يقول يارب كل غدوة وروحة من محرم يشكوا الضنا ولوحة

انت حسيب الخطب يوم الدوحة

فقلت وما يوم الدوحة فقال والله لاخبرنك ولو لم تسالنى وتيممنا نحو مزدلفة فاقبل علي وقال اني رجل ذو مال من نعم وشاء وذو المال لا يعذره القل ولا يرويه الثمار واني خشيت عام الاول على مالي التلف ونصر الغيث ارض كلب فانتجعت اخوالي منهم فاوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني حمة الماء وكنت معهم في خير احوال ثم انى عزمت على مرافقة ابلي بماء لهم يقال له الحردان فركبت فرسي وسمطت خلفي شراباً

كان اهداه اليّ بعضهم ثم مضيت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى الغنم وقعت لي دوحة عظيمة فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من اغصانها وجلست في ظلها فبينما انا كذلك اذ سطع غبار من ناحية الحي ثم وقعت الى شخوص ثلاثة ثم تبينت فاذا بفارس يطرد مسحلاً واتاناً فتأملته فاذا عليه درع اصفر وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تضرب خصريه فقلت غلام حديث عهد بعرس اعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جاز عليّ الاّ يسيراً حتى طعن المسحل وثنى طعنة للاتان فاصرعها واقبل راجعاً نحوي فقلت انك تعبت واتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله فنزل وشد فرسه بغصن من اغصان الشجرة والقى رمحه واقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول ابي ذؤيب

وان حديثاً منك لو تبذلينه جني النحل في البان عوذ مطافل

ثم حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش فقلت سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك واحسن صنيعتك فقال لي مما ذاك قلت مما راعني من جمالك وبهرني من نورك قال وما الذي يروعك من جنس التراب واكيل الدواب ثم لا يدري بعد ذلك اينعم ام يبأس قلت لا يصنع الله بك الاّ خيراً ثم تحدثنا ساعة فاقبل عليّ فقال ماهذا الذي سمطت في سرجك فقلت شراب اهداه لي بعض اهلك فهل لك فيه من ارب قال انت وذاك فاتيته به فشرب منه وجعل والله ينكث بالسوط احياناً على ثناياه وجعل والله يتبين لي اثر السوط فيهنّ فقلت مهلاً فاني خائف ان تكسرهن قال ولم قلت لانهنّ رقاق عذاب فرفع عقيرته يتغنى وانشد

اذا قبّل الانسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم وكان له اجرا
فان زاد زاد في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

قال ثم قام الى فرسه فاصلح امره ثم رجع قال فبرقت لي بارقة من تحت الدرع فاذا الذي كأنه حق عاج فقلت نشدتك الله امرأة انت قالت نعم والله الا انها تكره الغارة وتحب الغزل ثم اجلستها فجعلت تشرب معي ما افقد من انسها شيئاً حتى نظرت الى عينيها كانها مهاة مذعورة فوالله ما راعني الاّ ميلها على الدوحة سكرى فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ثم ان الله عز وجل عصمني منه فجلست منها حجرة حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها براسها وجالت في متن فرسها وقالت جزاك الله عن الصحبة خيراً قلت الا تزوديني منك زاداً فناولتني يدها فقبلتها فشممت منها والله رائحة

الشباب المطلول وذكرت قول الشاعر

كانها اذ تقضى النوم وانتبهت سيّابة مابها عين ولا اثر

فقلت لها واين الوعد قالت ان لي اخوة شوساً واباً غيوراً ووالله لئن امرك احب اليّ من ان اضرك وانصرفت فجعلت اتبعها بصري حتى غابت فهي والله يا ابن ابي ربيعة احلتني هذا المحل وابلغتني هذا الموضع فقلت يا ابا المسهر ان الغدر بك مع ما تذكر لمليح فبكى واشتد بكاؤه فقلت لاتبك فما قلت ماقلت لك الا مازحاً ولو لم ابلغ حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى اقدر عليه فقال لي خيراً فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامي فشد على بعيره وحملت عليه قبة حمرا من ادم كانت لابي ربيعة المخزومي وحملت معي الف دينار ومطرف خز وانطلقنا حتى اتينا بلاد كلب فنشدنا عن ابي الجارية فوجدناه في نادي قومه واذا هو سيد الحي واذا الناس حوله فوقفت على القوم وسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال من الرجل قلت عمرو بن عبدالله ابن ابي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال المعروف غير المنكر فما الذي جابك قلت خاطباً قال الكفو والرغبة قلت اني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ولكني اتيت في حاجة ابن اخيكم هذا العذري فقال والله انه لكفي الحسب رفيع البيت غير ان بناتي لم يتفقن الا في هذا الحي من قريش فوجمت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال اما اني صانع بك مالم اصنع بغيرك قلت مثلي من شكر فما ذلك قال اخيرها فهي وما اختارت قلت ما انصفتني اذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك فاشار اليّ العذري ان دعه يخيرها فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فارسلت اليه ما كنت لاستبد براي دون القرشي والخيار في قوله وحكمه فقال لي انها قد وكلتك فاقض ما انت قاض فحمدت الله تعالى واثنيت عليه بما هو اهله وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وقلت اشهدوا اني قد زوجتها من الجعد بن مهجع واصدقتها هذه الالف دينار وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسالته ان يبني عليها من ليلته فارسل الى امها فابت وقالت اتخرج ابنتي كما تخرج الامة فقال الشيخ فعجلي في جهازها فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحريم واهديت اليه ليلاً وبت انا عند الشيخ فلما اصبحت اتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج اليّ وقد اثر السرور فيه فقلت كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك فقال لي ابدت لي والله كثيراً مما كانت تخفيه عني يوم لقيتها فسالتها عن ذلك فانشات تقول هذه الابيات

كتمت الهوى لما رايتك جازعاً وقلت فتى بعد الصديق يريد
وان تطرحني او تقول فتية يضر بها برح الهوى فيعود
فواريت ما القى وفي داخل الحشا من الوجد جرح فاعلمنّ شديد

فقلت اقم على اهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت فقال العذري

اذا ما ابا الخطاب خلا مكانه فانت لدنيا ليس من اهلها عمر
فلا حي فتيان الحجازين بعده ولاسقيت ارض الحجازين بالمطر

* اخبرني ابو الفرج الاصبهاني اجازة قال اخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن سعيد قال حدثنا محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي ابن يقطين قال كنت منقطعاً الى البرامكة فبينا انا ذات يوم في منزلي اذا بابي يدق فخرج غلامي ثم رجع اليّ فقال على الباب فتى ظاهر المروءة يستاذن عليك فاذنت له فدخل عليّ شاب فما رايت احسن وجهاً ولا انظف ثوباً ولا اجمل زياً منه عليه اثر السقم ظاهر فقال لي اني احاول لقاك منذ مدة فلا اجد اليه سبيلاً ولي حاجة قلت ما هي فاخرج ثلاثمائة دينار ووضعها بين يدي ثم قال اسالك ان تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به فقلت له هاتهما فانشدني

بالله ياطرفي الجاني على بدني لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
او لا بوحن حتى يحجبوا سكني فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت له فيهما لحناً من الثقيل الاول مطلق في مجرى الوسطى ثم غنيته اياه فاغمى عليه حتى ظننته قد مات ثم افاق فقال اعد فديتك فقلت اخشى ان تموت فقال هيهات انا اشقى من ذلك وما زال يخضع ويتضرع حتى اعدته عليه فصعق صعقة اشد من الاولى حتى ظننت نفسه قد فاضت فلما افاق رددت عليه الدنانير وقلت خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك وبلغت وطراً مما اردته ولست اشرك في دمك فقال لا حاجة لي في الدنانير وهذه مثلها ثم اخرج ثلثمائة دينار اخرى وقال اعد عليّ الصوت مرة اخرى وخذها فقلت تقوم عندي وتحزم وتشرب اقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن ما بك وتحدثني بقضيتك فقال افعل فاخذت الدنانير ودعوت بطعام فاصاب منه اصابة معذرة وبالنبيذ فشرب اقداحاً وغنيته بشعر غيره وهو يشرب ويبكي ثم قال اعزك الله اعد عليّ صوتي فغنيته صوته فجعل يبكي أحر بكاء ويتنحب فلما رأيته قد خف عما كان يلحقه والنبيذ قد شد من قلبه كررت عليه صوته مراراً

ثم قلت له حدثني حديثك فقال انا رجل من المدينة خرجت متنزهاً في ظاهرها وقد سال العقيق في فئة من اقاربي فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن بفتاة كانها قضيب قد طله الندى تنظر بعين ما ارتد طرفها الا بنفس ملاحظها فاطلن واطلنا حتى تفرق الناس وقد ابقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله فعدت الى منزلي وانا وقيد وخرجت من غد الى العقيق وليس فيها احد فلم أر لها أثراً ثم جعلت اتبعها في طرق المدينة واسواقها وكان الارض قد ابتلعتها فقمت حتى آيس مني اهلي ودخلت بيت ظئر لي فسألتني عن حالي فاخبرتها بقصتي فقالت لا بأس عليك هذه ايام الربيع وهي سنة خصب وليس يبعد المطر فيمد العقيق والنسوة سيجئن فاذا رأيتها اتبعها حتى اعرف خبرها وموضعها واسعى لك في تزويجها فكان نفسي اطمأنت وتراجعت وجاء المطر فسال العقيق فخرجت مع اخواني اليها فما جلسنا مجلسنا الاول كما كنا الا والنسوة اتين كفرسي رهان فاومأت الى ظئري فجلست حجرة قريبة منا ومنهن فاقبلت على اخواني فقلت لهم احسن القائل

رمتني بسهم يقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً بها وندوبا

فأقبلت هي على صواحبها فقالت احسن والله القائل واحسن من اجابه حيث يقول

بنا مثل ما تشكوا فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب خوفاً من ان يظهر مني مايفضحني واياها وانصرفنا وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها وصارت اليّ فاخذت بيدي ومضينا اليها فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة حتى ظهر ما بيني وبينها فحجبها اهلها وتشدد عليها ابوها فلم اقدر عليها فشكوت الى ابي ما نالني وشدة ما ألقى وسألته خطبتها لي فمضى ابي وشيخة اهلي الى ابيها وخطبوها فقال لو كان بدأ بهذا قبل ان يشهرها لاسعفته بحاجته وبما التمس ولكنه قد فضحها فلم اكن لاحقق قول الناس فيها بتزويجها اياه فانصرفنا على يأس منها ومن نفسي قال سعيد فسألته اين تنزل فخبرني فصارت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى يوماً للشرب فاتيته فكان اول بيت غنيته به شعر الفتى وصوتي الذي صنعته فيه فطرب منه طرباً شديداً وقال ويحك لمن هذا فقلت ان للصوت حديثاً فقال ما هو فحدثته فامر باحضار الفتى فاحضر من وقته واستعاده الحديث فاعاده عليه فقال هي في ذمتي حتى ازوجكها فطابت نفسي ونفس الفتى فاقمنا ليلتنا حتى اصبح

وغدا جعفر الى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وامر باحضارنا جميعاً وامر بان اغنيه الصوت فغنيته فشرب عليه وسمع حديث الفتى وامر من وقته بالكتاب الى عامل الحجاز باشخاص الرجل وابنته وسائر اهله الى حضرته فلم يمض الا مسافة الطريق حتى حضروا فامر الرشيد بايصاله اليه فاوصله وخطب اليه الجارية للفتى فاجابه وزوجه اياها وحمل الرشيد اليه الف دينار لمهرها والف دينار لجهازها والف دينار لنفقة الطريق وأمر للفتى بالفي دينار وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر * اخبرنا ابو الحسين محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك في رسالة في فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات العرب وردة شرحبيل التنوخي وعابد الطائي وهي التي كان داود التيمي عاشقاً لها فاستقبل النعمان بن المنذر في يوم بؤسه وقدخرج يريدها وهو لا يعلم بيوم النعمان فقال ما حملك على استقبالي في يوم بؤسي قال شدة الوجد وقلة الصبر فقال ألست القائل

وددت وكانت الحسنات اني ... اقارع نجم وردة بالفداح
على قتلي ببيض مشرفيّ ... وكوني ليلة حتى الصباح
فان تكن القداح عليّ تلقى ... ذبحت على القداح بلا جناح
وان كانت عليه بيمن خدي ... لهوت بكاعب خود رزاح

قال نعم قال فاني مخيرك احدى اثنتين فاختر لنفسك قال ما هما ابيت اللعن قال اخلي سبيلك او امتعك سبعة ايام ثم اقتلك قال بم تمتعني قال بوردة قال قبلت الثاني فساق النعمان مهرها الى عمها وجمع بينهما فلما انقضت الايام اقبل على النعمان وهو يقول

اليك ابن ماء المزن اقبلت بعد ما ... مضت لي سبع من دخولي على اهلي
مجيء مقر لاصطناعك شاكر ... منت عليه بالكريم من الفعل
لتقضي فيه ما أردت قضاؤه ... من العفو اهل العفو او عاجل القتل
فان يك عفواً كنت افضل منعم ... وان تكن الاخرى فمن حكم عدل

فأحسن جائزته وخلى سبيله وانشد النعمان يقول

اذ حوى من كان يهوي ... ونجى من كل بوس
وكذاك الطير يجري ... بسعود ونحوس

قال مؤلف الكتاب ووجدت كتاباً لاحمد بن ابي طاهر سماه كتاب فضائل الورد على النرجس اكثر قدراً واغزر فائدة من رسالة بن لنكك فوجدته وقد ذكر فيه

الخبر قال وممن سمى بنته وردة شرحبيل بن مسعود الشرجي وهو صاحب العين على مسيرة يوم وليلة من مسخ وبها التقى سليمان بن مبرّد امير الجيش الذين يقال لهم البوابون للطالب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيل عبيد الله بن زياد وسمى عائذ الطائي بنته وردة وهي التي كان داود بن موسى التميمي ثم السعدي عاشقاً لها وساق الخبر كما ذكره بن لنكك والله تعالى اعلم

الباب الرابع عشر

* ما اختير من ملح الاشعار *

* في اكثر معاني ما تقدم من الامثال والاخبار *

قال لقيط بن زرارة التميمي

قد عشت في الناس اطواراً على طرق ... شتى وقاسيت فيها اللين والقطعا
كلاً لبست فلا النعمان ينظرني ... ولا تجرعت من لاوائها جزعا
لا يملأ الارض صدري قبل موقعه ... ولا أضيق به ذرعاً اذا وقعا
ما سدّ مطلع ضاقت ثنيته ... الا وجدت وراء الضيق متسعا

وقال ابو ايوب الهذلي

فاني صبرت النفس بعد ابن عنبس ... وقد لج من ماء المشوق لجوج
لاحسب جلداً او ليبقى شامت ... وللشر بعد القارعات فروج

ويروى لامير المؤمنين علي رضي الله عنه

اني اقول لنفسي وهي ضيقة ... قد اناخ عليها الدهر بالعجب
صبراً على شدة الايام ان لها ... عقبى وما الصبر الا عند ذي الحسب

وروي لعثمان بن عفان رضي الله عنه

خليلي لا والله لا من ملمة ... تدوم على حيّ وان هي حلت
وان نزلت يوماً فلا تخضعن لها ... ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلي بنوائب ... فصابرها حتى مضت واضمحلت

فكانت على الايام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت

وأنشد معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه

ولا تيأس واستعون الله انه اذا الله يسر عقد شيء تيسرا

لابي ذخيل من قصيدة له

عست كربة امسيت فيها مقيمة يكون لنا منها رخاء ومخرج
واني لمحجوب غداة ازورها وكنت اذا فاديتها لا أعرّج
فيكبت اعداء ويعذل الف له كبد من لوعة الحب تنضج

لجارية بن بدر الغدائي

قل للفؤاد اذا نزا بك نزوة من الهم افرغ اكثر الروع باطله

لنوبة بن حمير العقيلي

وقد تذهب الحاجات يطلبها الفتى شعاعاً وتخشى للنفس مالا يضرها

لجرير

يعافي الله بعد بلاه جهداً وينهض بعد ما يبلي السقيم

لزياد بن عمرو من بني الحرث بن كعب وقيل لزيادة بن زيد العذري من ابيات

اذا مذهب سدت عليك فروجه فانك لاق لا محالة مذهبا
ولا تجعلن كرب الخطوب اذا عرت عليك وتاجاً لا يزال مضببا
وكن رجلاً جلداً اذا ما تقلبت به شرقيات الهموم تقلبا

ذكر ابو تمام الطائي في كتاب الحماسة لجابر بن تغلب

كأن الفتى لم يعر يوماً اذا اكتسى ولم يك صعلوكاً اذا ما تموّلا
ولم يك في بؤس اذا بات ليلة يناغي غزالاً ساجي الطرف اكحلا

وقريب منه ما انشدني ابي عن ابي دريد عن عبد الرحمن بن اخ الاصمعي عن عمه الاصمعي رحمهم الله

كأن قوماً اذا مابدلوا نعما بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا

ومثله ايضاً

ان البطون اذا جاعت متى شبعت كأنما لم يقاسِ الجوعَ طاويها

لسعيد بن رمضان الاسدي

فما نوب الحوادث باقيات ولا بؤس يدوم ولا نعيم

كما يمسي مسرورك وهو جم كذاك ما يسوءك لا يدوم
فلا تهلك على مافات وجداً ولا تغررك بالاسف الهموم

وقريب منه لكثير في ابن الحنفية رضي الله عنه لما حبسه ابن الزبير رضي الله عنه من ابيات

تحدث من لاقيت انك عائد بل العائد المظلوم في سجن غارم
وما ورق الدنيا يباق لاهلها وما شدة الدنيا لضربة لازم

فزاد فيه بعض اخواننا

لهذا وهذا مدة سوف تنقضي ويصبح مالاقيته حلم حالم

لاعرابي

فلا تحسبن سجف اليمامة دائماً كما لم يدم عيش بسفح ابان

مغرس الاسدي

ولا تيأسن من صالح ان ماله وان كان قدماً بين ايد تبادره

حوط بن ريان الاسدي

تعلمني بالعيش عرسي كأنها تعلمني الشيء الذي انا جاهله
يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغنى وكل كأن لم يلق حين يسائله

وقريب منه

يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغنى وكل كأن لم يلقه حين يذهب
كأنك لم تقدم من الدهر لذة اذا انت ادركت الذي كنت تطلب

لاضبط الفريعي من جملة ابيات

لكل ضيق من الامور سعه والمسا والصباح لافلاح معه
لا تحقرن الوضيع علك ان تلقاه يوماً والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

قال مؤلف هذا الكتاب في المعنى

اصبر فليس الزمان مصطبراً وكل احدوثة فمنقشعه
كم من فقير غناه في شبع قد نال خفضاً في عيشه ودعه
وكم جليل حلت مصائبه ثم تلافاه بعد ما وضعه
فعاد بالعز آمناً جنده وعاد اعداؤه له خضعه

انشد ابو العباس ثعلب

رب ريح لاناس عصفت ثم ما ان لبثت ان ركدت
وكذاك الدهر في افعاله قدم زلت واخرى ثبتت
وكذا الايام من عاداتها انهـا مفسدة ما اصلحت
ثم يأتيك مقادير بهـا فترى مُصلحة ما افسدت

للحسين بن مطير الاسدي

اذا يسر الله الامـور تيسرت ولانت قواها واستقاد عسيرها
فكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها اتاه يسيرها
وكم خائف صار المخوف ومقتر تموّل والاحداث يحلو مريرها

لمكين الدارمي

واني لارجو الله حتى كأنـني ارى بجميل الظن ما الله صانع

انشدني محمد الحسين قال انشدني ثعلب

الى الله اشكو الامر في الخلق كله وليس الى المخلوق شيء من الامر
اذا انا لم اجزع من الدهر كلما تكرهت منه طال عتبي على الدهر
ووسع صدري للاذى كثرة الاذى وان كان احيانًا يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس واثقًا بحسن صنيع الله من حيث لا ادري
تعودت مس الضر حتى الفته واسلمني حسن العزاء الى الصبر

غيره

اذا ضاق صدري بالامور تفرجت لعلمي بأن الامر ليس الى الخلق

غيره

يضيق صدري بغم عند حادثة وانما خير لي من الغم احيانا
ورب يوم بكون الغم اوله وعند آخره روح وريحانا
ماضقت ذرعًا بغم عند نائبة الا ولي فرج قد حل اوحانا

للزبير رضي الله عنه

لا احسب الشر جارًا لا يفارقني ولا اجز على مافاتـني الودجا
ولا لقيت من المكروه نازلة ولا وثقت بان القى لها فرجا
ولا تراني لمـا قد فات مكتئبًا ولا تراني بما قد نلت مبتهجا

لاعرابي

وكل وجه يضيق الا ودونه مطلب فسيح
من روّح الله عنه هبت من كل وجه اليه ريح

لسليمان بن مهاجر البجلي من جملة ابيات

ان المسا قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا

عن المارستاني قال انشدني ابراهيم بن العباس الصولي وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الامـ ـر لهـا فرجة كحل العقال

ففكت بقلمه ثم قال

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

لابي العتاهية

وربما استيأست ممـا اقول لان الذي ضمن النجاح كريم

انشدني احمد بن عبدالله الوراق قال انشدنا دعبل قصيدته مدارس آيات

فذكر القصيدة الى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قولة

فلولا الذي ارجوه في اليوم او غد لقطّع قلبي اثرهم حسرات
فيانفس طيبي ثم يانفس ابشري فغير بعيد كلما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور انني كاني بها قد اذنت بباتي
عسى الله ان يرتاح للخلق انه الى كل حي دائم اللحظات

لعلي بن الجهم من ضمن قصيدة له

غبر الليالي باديات عودوا والمال عارية يباد وينفد
ولكل حال معقب ولربمـا اجلى لك المكروه عما يجحد
لا يؤيسك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طبيبه والعوّد

لغيره في مثله

قد يصح المريض بعد اياس كان منه ويهلك العواد
ويصاد القطا فينجوا سليماً بعد هلك ويهلك الصياد

لعبد الله بن المعتز

وكم نعمة لله في صرف نقمة ومكروه امر قد حلا بعد امرار
وما كلما تهوى النفوس بنافع وما كلما تهوى النفوس بضرار

لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب من ابيات

لا تعجلن فربما عجل الفتى فيما يضره فالعيش احلاه يعو د على حلاوته ممره
ولربما كره الفتى امر عواقبه تسره

لاعرابي

كم مرة حفت بك المكاره خار لك الله وانت كاره

آخر و يروى لامير المؤمنين رضي الله عنه

لا تكره المكروه عند نزوله ان المكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في جنب المكاره كامنه

غيره

رب امر تزهق النفس له جاءها من خلل اليأس فرج
لاتكن من وجه وروح الله آيسا ربما قد فرجت تلك الفرج
بينما المرء كئيب موجع جاءه الله بروح فبهج
رب امر قد تضايقت له فأتاك الله منه بالفرج

غيره

البؤس يعقبه النعيم وربما لاقيت ما ترجوه مما ترهب

غيره

اتى من حيث لا ترجوه صنع ويأبى ان تهم به الظنون
فحيث تراك تيأس فارج خيرا فان الغيث محتجب مصون
وكن ارجى لامر لست ترجو من المرجوّ اقرب ما يكون

لعيد بن عبد الله بن طاهر

اراها تمتخض بالمنفضلات الا ياليت شعري ما الزبده
الا ان زبدتها فرجه تحل العقال من العقده

لابي اسحاق اسماعيل بن القاسم الملقب بابي العتاهيه

انما الدنيا هبات وعوار مسترده شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

وله ايضاً

الناس في الدين والدنيا ذوو درج والمال ما بين موقوف وتختلج
من ضاق عنك فارض الله واسعة في كل ضيق وهم وجه مفترج
قد يدرك الهادي الناحي برقدته وقد يخيب اخاء الراح والدلج
خير المذاهب والحاجات انجحها واضيق الامر ادناه الى الفرج

غيره

ياصاحب الهم ان الهم منقطع ابشر بذاك كأن قد فرج الله
الياس يقطع احيانًا بصاحبه لا تيأسن فان الكافي الله
الله حسبك مما عذت منه به واين امنع ممن حسبه الله
من البلايا ولكن حسبك الله والله حسبك في كل لك الله
هون عليك فان القادر الله والخير اجمع فيما يصنع الله
فرب مستعصب قد سهل الله ورب شر كثير قد كفى الله
اذا بليت فثق بالله وارض به ان الذي يكشف البلوى هو الله
الحمد لله شكرًا لا شريك له ما اسرع اليسر جدًا ان يشا الله

لمحمد بن حازم الباهلي

طوبى لمن يتولى الله خالقه ومن الى الله يلجا يكفه الله
ورب خائف امر يستكين له ينجو وخيرته ما قدر الله

ليحيى بن خالد بن برمك من ابيات

الا اعلم انما الدنيا غرور وليس يدوم لها نعيم
سينقطع التلذذ عن اناس ادامق وتنقطع الهموم

انشدني ابي رحمه الله من قصيدة لسليمان بن عمرو الخامر

اذا اذن الله في حاجة اتاك النجاح على رسله
فلا تسل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله

ووجدت مكتوبًا بخط عمي القاضي ابي جعفر احمد بن محمد بن ابي الجهم التنوخي لشدة نزلت به

اذا اذا اذن الله في حاجة اتاك النجاح بها يركض
فان عاق من دونها عائق اتى دونها عارض يعرض

انشدني عبيد الله بن محمد الحسن العتبي المعرف بالبصري لنفسه

اذا اذن الله في حاجة اتاك النجاح بغير احتباس
فيأتيك من حيث لاتدره مرادك للنجح بعد الاياس

لمحمد بن حازم الباهلي

وارحل اذا اجدبت بلاد منها الى الخصب والربيع
لعل دهراً غدا بنحس بكر بالسعد في الرجوع

لابي تمام الطائي

وما من شدة الا سيأتي لها من بعد شدتها رخاء

وانشدني الامير ابو الفضل جعفر المكتفي بالله قال انشدني بعض اصحابنا منسوباً

وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعد شدتها رخاء
فان الضغط يحوي وعاء ويتركه اذا فرغ الوعاء
وما ملىء الاناء وشد الا ليخرج منه ما امتلأ الاناء

انشدت

متى تصفو لك الدنيا بخير اذا لم ترض منها بالمزاج
ألم ترجوهر الدنيا المصفى ومخرجه من البحر الاجاج
ورب مخيفة فجاءت بقوم جرت بمسرة لك وابتهاج
ورب سلامة بعد امتناع ورب مثقف بعد اعوجاج

غيره

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي نوائب هذا الدهر ام كيف يحذر
يرى الشيء ما يتقي فيخافه وما لا يرى مما يقي الله اكبر
وما عسر رمى الفتى بشماله بل الدهر الا ما وقى الله اعسر

لمحمد بن عبد المهلبي

اني لرحال اذا الهم برك رحب اللسان عند ضيق المعترك
عمري على نفسي ويسري مشترك لا تهلك النفس على شيء هلك
فليس في الهم اذا فات درك ولم يدم شيء على دور الفلك
رب زمان ذله أرفق لك لا عار ان ضاقك دهر اوملك

آخر غيره

لكل غم فرج عاجل يأتيك في المصبح والممسا

لا تتهم ربك فيما قضى وهون الامر وطب نفسا

لعبد الله بن المعتز

سواء على الايام حفظ واعقال وتارك سعي واحتيال ومحتال
ولا هم الا سوف يفتح قفله ولا حال الا بعدها للفتى حال

آخر غيره

جزعت كذا ذو الهم يجزع قلبه الارب يأس جاء من بعدها فرجا
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه وذو الهم من بين المضايق قد خرجا

عن ابي بكر بن ابي الدنيا قال انشدني رجل من قريش

الم تر ان ربك ليس تحصي اياديه الحديثة والقديمه
تسل عن الهموم فليس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا اليك بنظرة منه رحيمه

آخر غيره

بيني وبين الدهر فيك عتاب سيطول ان لم تحمه الاعتاب
يا غائباً بمزاره وكتابه هل يرتجى من غيبتيك اياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفسي عليك شعارها الاوصاب
لا يأس من روح الاله فربما يصل القطوع ويعدم الغياب

آخر غيره

فلا تيأس وان أعسرت يوماً فقد ايسرت في الدهر الطويل

آخر غيره

فلا تيأس وان صحت عزيمتهم على الدلج فان الى غداة غد سيأتي الله بالفرج
فتصبح عيسهم عرجا وقد كانت بلا عرج

آخر غيره

ربما يطلع التفرج للكربه كالبدر من خلل السحاب
وتزول الهموم في قدر المده تعزى عن عروة الجلباب

آخر غيره

رميت بالهم لما ان رميت به ولم اقم عرضاً للخطب يرميني
ولست آيساً من روح ومن فرج ومن لطائف صنع سوف تكفيني

وقل ما كان من دهري الى سوى ما سلم الله من احداث ديني

آخر غيره

وكم من ضيقة كدت بغم وكان عقيبها فرج مفاجي
فاضيق ما يكون الامر ادنى واقرب مايكون الى انفراج

للعكوك

عسى فرج يكون عسى نفعاً بعسا فلا تقنط وان لاقيت هماً يغيظ النفسا
فاقرب ما يكون المر ء من فرج اذا آيسا

لبعضهم

لعمرك ما المحبوب من يتقي ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
واكثر خوف النفس ليس بكائن فما درك الهم الذي ليس ينفع

أنشدني أبو يوسف السهلي عن المنجع الشاعر

لا البؤس ولا النعيم ولا حلقة ضيقة ستنفرج الحلقه
صبراً على الدهر في نجوره كما فتح الصبر مرة علقه

غيره

جديدهم سيبليه الجديدان فاستعسر الصبر ان الدهر يومان
يوماً يسوء فيسليه ويذهبه يوم يسر وكل زائل فان

مفرد

لا تعجل هماً بما لست تدري ان تراخى يكون او لا يكون

غيره

عادني الهم فاعتاج كل الى هم الى فرج

آخر غيره

الغم فضل والقضاء مغالب وصروف ايام الفتى تتقلب
لا تيأسن وان تضايق مذهب فيما يحاول او تعذر مطلب
وانظر الى عقب الامور فعندها لله عادة فرجة تتقرب

لسعيد بن حميد

يوم عليك مبارك * ما شئت من فرج وطيب عاد الحبيب لوصله * وحجبت عن عين الرقيب
فاشرب شرابا انقله * تقبيل سالفة الحبيب ودع الهموم فانها * تنأى عن الصدر الرحيب

لابد من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب

من انشاد ابن هانىء المغني على الطنبور

علل همومك بالمنى * ترجع الى فرج قريب لابد من صنع قريب * يأتيك بالعجب العجيب
لاتيأسن وان أا * ح الدهر من فرج قريب روّح فؤادك بالرضا * ترجع الى روح وطيب

غيره

ليس لي صبر ولا جلد * قد برانى الهم والسهد من ملمات تورقني * ما لها من كثرة عدد
ولعل الله يكشفها فيزول الحزن والكمد

انشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان لنفسه

ها كها صرفاً تلالا * لم يدنسها المزاج واترك الهم اشانيك * فللهم انفراج
يا أبا وهب صديقي * كل ضيق الى انفراج اسقني صهبا صرفاً * لم تدنس بمزاج

آخر غيره

رضيت بالله ان يعطني شكرت وان يمنع قنعت وكان الصبر من عددي
ان كان عندك رزق اليوم فاطرحن عنك الهموم فعند الله رزق غد

آخر غيره

سهل على نفسك الامورا وكن على مرها وقوراً
فان المت صروف دهر فلا تكن عندها ضجوراً
فكم قد رأينا اخا هموم اعقب من بعدها سرورا
ورب عسر اتى بيسر فسار معسوره يسيرا

آخر غيره

تعزّ ولا تأس عليّ وتيأس فجدي محظوظ وأمري مقبل
لعل الليالي ان تعود كعهدنا ويجمعنا حال يسر ويخذل
ويعقب هذا البؤس نعمى وهنا سروراً وبلوانا سراح معجل

أنشدني سعيد بن محمد الازدي البصري لنفسه

ان الزمان غرور * له صروف تدور فاصبر فرب اغتمام * يأتيك منه سرور

قال مؤلف الكتاب وفي محنة لحقتني فكشفها الله تعالى فقلت

هون علي قلبك الهموم فكم قاسيت هماً ادنى الى فرج
ما الشر من حيث يتقيه ولا كل مخوف يفضي الى فرج

ولآخر من قصيدة أولها

هل مشتكى لغريب الدار ممتحن او راحم له لم يبق الاسر مرتهن

يقول فيها

كان جلدي سجن فوق اعظمه والروح محبوسة للهم في بدني
فالحمد لله حمد الصابرين على ما ساءني في قضاياه وأفجعني
لعل دهري بعد اليأس يسعفني بما أحب وما ارجو ويعرفني
وأن انال المني يوماً وان طويت من فوق جثماني الايام من كفني

ولآخر غيره

وما زال هذا الدهر يأتي باضرب تسر وتبكي كلها تتقلب
فلا حزن يبقى على ذي كآبة ولا فرح يحظى به من يؤمل

ولآخر غيره

في ذمة الله من سارت بسيرهم مسرتي وأقام الخوف والحرق
لئن اشطهم دهر قضى شططا وأزهق النفس هم حكمه الزهق
لقد اناب بعيني بعد غيبتهم نجب عوايقها وامتدت العاق

ولاخر غيره

يا قارع الباب رب مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يلج
ورب مستورد يوماً على مهل لم يشق في قرعه ولم يهج
علام يشقى الحريص في طلب الـ رزق لطول الرواح والدلج
وهو وان قد كف عنه طالبه الرزق وان عاج عنه لم يعج
فاطو على الهم كشح مصطبر فآخر الهم اول الفرج

غيره

اصحب الدنيا مياومة * وادفع الايام تندفع واذا ماضيقة عرضت * فالقها بالصبر تتسع

غيره

ادرج الايام تندرج * ويبوت الهم لاتلج رب امر عز مطلبه * هونته ساعة الفرج

غيره

كما لم يكن عصر العصارة باقيا كذلك عصر البؤس ليس بثابت

وأنشدني ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحجاج الكاتب البغدادي لنفسه

تسل عن الهموم مصطبرا وكن لما كان غير منزعج
فكل ضيق يتلوه متسع وكل هم يفضي الى فرج

ولآخر

اذا ضيقت أمراً ضاق جداً وان هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لما قد فات غما فكم شيء تعصب ثم لانا

ولآخر غيره

لا يؤيسنك من محباة قوم تغلطه وان جرحا
عسر النسا الى مياسرة فالصعب يمكن بعد ما جمحا

ولآخر غيره

عرّضن للذي يحب بحب ثم دعه يروضه ابليس
فلعل الزمان يدنيك منه ان هذا الهوى نعيم وبؤس

ولآخر غيره

تحبب فان الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبين فان حديث اخا هوىً نجا سالماً فارج النجاة من الكرب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضىً فاين حلاوات الرسائل والكتب

للعباس بن الاحنف

أما تحسبيني أرى العاشقين بلى ثم لست أرى لي نظيرا
لعل الذي بيديه الامور سيجعل في الكرة خيراً كثيرا
تعزّ وهون عليك الامور عساك ترى بعد همّ سرورا

ولآخر غيره

قربت لي املاً فاصبح حسرة ووعدتني وعداً فصار وعيدا
فلاصبرن على شقائي في الهوى فلربما عاد الشقي سعيدا

ولآخر غيره

ايا سروة البستان طال تشوقي فهل لي الى ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضي خروجه وليس لمن يهوى اليه وصول
عسى ان يرتاح في كرته لنا فيلتقي اغتباطاً خلة وخليل

ولآخر غيره

لعل التلاقي في ليال * وايام من الدنيا تقينا حبيباً نازحاً امسيت منه * على يأس وكنت به فتينا

ولآخر غيره

لئن درست اسباب ماكان بيننا من الوصل ماشوقى اليك بدارس
وما أنا من ان يجمع الله بيننا كاحسن ماكنا عليه بأيس

ولآخر غيره

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

غيره

وما انا من بعد ذاك بأيس بان يأذن الله لي في اجتماع
فاتعس حد النوى باللقا وأرغم بالقرب أنف الزماع

أنشدني سعد بن محمد البصري الوجيه الشاعر

كانت على رغم الندى أيامنا مجموعة النشوات والاطراب
ولقد عتبت على الزمان لبنيهم ولعله سيمن بالاعتاب
ومن الليالي ان علمت احبة وهي التي تأتيك بالاحباب

وله ايضاً

ان راعني عنك الصدود * فلعل ايامي تعود اذلاتنا ولنا يد * النعماء الا ما نريد
ولعل عمرك بالوا * يخبوا فقد تخبوا النهود والغصن يبس مرة * وتراه مخضراً يميد
اني لارجو عطفة * يبكي لها الواشي الحسود فرحاً تقر به العيون * وتنجلي عنه السعود

مما انشده علي بن مقلة في نكبته عقيب الوزارة الاولى

اذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمأنت وراست في اماكنها الخطوب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات اذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

ولغيره

الحمد لله على ماقضى * في المال لما حفظ المهجه ولم يكن من ضيقة هكذا * الا وكانت بعدها فرجه

للحسين بن عبد الرحمن

لعمر بنيني اللذين أراهما جزوعين ان الشيخ غير جزوع

اذا ما الليالي اقبلت باساءة رجونا بأن تنأى بحسن صنيع

عن ابن أبي الدنيا

جلبنا الدهر اشطره ومرّت بنا عقب الشدائد والرخاء فلا تأسف على دنيا تولت ولا تفزع الى غير الدعاء هي الايام تكلمنا وتأسوا وتأتي بالسعادة والشقاء

توكلنا على رب السماء وسلمنا الاسباب القضاء

ولغيره

عسى فرج من حيث تأتي مكارهي يجيء به من جاءني بالمكاره
سير تاح لي مما أعاني بفرجة فينتاشني منه بحسن اقتداره
عسى منقذ موسى بحسن جواره وقد طرحته أمه بالمكاره

لمحمود الوراق

اذا من بالسراء عم سرورها وان مس بالضراء اعقبه الاجر
وما منهما الا له فيه منة تضيق بها الاوهام والبر والبحر

للعباس بن الاحنف

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا ونحن نأمل صنع الله مولانا
والناس يأتمرون الرأي بينهم والله في كل يوم محدث شانا

قال مؤلف هذا الكتاب

لئن عداني الدهر عنك يا أملي وسل جسمي بالاسقام والعلل
وشت شمل تصافينا والفتنا والدهر ذو غير والدهر ذو دول
الحمد لله حمد الشاكرين على ماشاء من حادث يوهي قوى الامل
قد اشتكت لصروف الدهر والتحقت على فيك غواشي الحزن والوجل
واعتضت منك بسقم شانه خلل ومن وصالك بالهجران والملل
وبعد أمني من عذر ومثنية عذراً يسرح بالالفاظ والرسل
ومن لقائك لقى الطب ارحمهم فظ وأرفعهم يدني الى الاجل
فلست آيساً من رجع الوصال ولا عود العوافي ولا آمن من السبل

وله في محنة لحقته من قصيدة

اما للدهر من حكم رضيّ يدال به الشريف من الدني
ويستعلي الروس من الذنابي وينتصف الذكي من الغبي

ومن عاصاه دمع في بلاه فليس بكاء عيني بالعصي
وما ابكي لوفر لم يفده زمان خان عهد فتىً وفي
ولا آسا على زمنٍ تولى بعيش ناضر غضّ ندي
ومن حدث تفوتني المعالي على عهد بها حدث في
وان يدي لتقصر عن هلاك ال عدو وعن مكافأة الولي
وما تغني الحوادث ان المت سوى قلب عن الدنيا سخي
وصبر ليس تنزحه الليالي كنزح الدلو صافية الركي
وليس يأيس من كان يخشى ويرجوا الله من صنع قوي

وله عند صرفه من نقلده القضاء بالاهواز وقبض ضيعة من ضياعه وحضوره الى بغداد

لئن اشمت الاعداء صرفي ورحلتي فما صرفوا فضلي ولا انصرف المجد
مقام وترحال وقبض وبسطة كذا عادة الدنيا واخلاقها النكد
وما زلت جلداً في المهمات قبلها ولا غرو في الاحيان ان يغلب الجلد
فكم ليث غابٍ شردته يدٌ لها وكم من حسام فله غيلة غمد
وكم جيفة تعلوا وترسب درة منجسة تقوى اذا ضعف السعد
الم ترَ ان الغيث يجري على الربا ويخفى به ان جاد صيبه الوهد
وكم فرج والخطب يعتاد نيله يجيء على يأس اذا ساعد الجد
لقد اقرض الدهر السرور فان يكن اساء اقتضاه فالقروض لها رد
وكم فرحة تأتي على اثر ترحة ومن راحة تطوى اذا اتصل الكد
وكم منحة من محنة تستفيدها ومكروه امر فيه للمرتجي وفد
على انني ارجو لكشف الذي غدا مليكاً له في كل نائبة وفد
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر وتمسي عيون الدهر عنا هي الرمد
ونعتاض بالقيا من البين اعصراً مضاعفة تبقى ويستهلك البعد

انشدني سعد بن محمد الشاعر الوجيه رحمه الله

يا نفس كوني لروح الله ناظرة فانه الاماني طيّب الارج
كم لحظة لك مخلوس تقبّلها كانت تردد بين الياس والفرج

ولآخر غيره

اتيأس ان يساعدك النجاح فأين الله والقدر المتاح

هي الايام والنعما ستجزى يجيء بها غدو او رواح

ولآخر غيره

اذا ما اشتد عسر فارج يسرًا فان قضا الله ان يتبع العسر يسر
عسى ماترى الا يدوم وان ترى له فرجًا يومًا يجيء به العسر
عسى فرج ياتي به الله انه له كل يوم في خليقته امر
فكن عند ما ياتي به الدهر حازمًا صبورًا فان الصبر مفتاحه الصبر
فكم من هموم بعد طول تكشفت وآخر معسور الامور له يسر

ولغيره

واكثر ما تلقى الاماني كواذبًا فان صدقت حادت بصاحبها العذرا
وآخر احسان الليالي اساءة على انها قد تتبع العسر باليسرا

ولغيره

لا تجزعنّ فان العسر يتبعه يسر ولا بؤس الا بعده ريف
وللمقادير وقت لا تجاوزه وكل امر على الاقدار موقوف
ورب من كان معزولاً فيعزل من ولى عليه وللاحوال تصريف

ولغيره

من ذا رأيت الزمان ايسره فلم يشب يسره يرمًا بتعسير
ام هل ترى عسرة تمت على احد دامت فلم تنكشف الا بتيسير

ولغيره

المرء لا يبقى على حالة والعسر قد يتبعه يسر

ولغيره

صبرًا قليلاً فان الدهر ذو غير مادام عسر على حال ولا يسر
قد يرحم المرء من يغلظ بحنته وليس يعلم ما يخبيء له القدر
والدهر حلو ومرّ في تصرفه خير وشر وفيه العسر واليسر

ولغيره

كل الامور الى من يتم الامور وافزع اليه اذا لم يجرك عجزًا تجير
فكل صعب عسير عليه سهل يسير

ولغيره

ايها الانسان صبرا * ان بعد العسر يسرا اشرب الصبر وان * كان من الصبر امرّا

ولغيره

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا وابشر بطول سلامة * تسليك عما قد مضى

ولغيره

صبرًا وامهالاً فكل ملمة سيكشفها الصبر الجميل فامهل

ولغيره

فقد يامل الانسان مالا يناله وياتيه رزق الله من حيث ييأس

ولغيره

اذا استصعبت من دنياك حالاً فتفكر في صروف كنت فيها
واحدث شكر من نجاك منها وابدلها بنعمى ترتضيها

ولآخر غيره

الدهر اعراض واقبال وكل حال بعدها حال
ما احسن الصبر ولا سيما بالحرّ ان حالت به الحال
فصاحب الايام في غفلةٍ وليس للايام اغفال

انشدني نصير بن محمد الازدي مولى الازد

اني رأيت وفي الايام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
فاصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرّواح الى الحاجات والبكر
لا يعجزنك ولا يضجرك مطلبها فالنجح يتلف بين العجز والضجر
وقلّ من جد في امر يحاوله واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

لغيره

قد فرّج الله من الهجر ونلت ما امل بالصبر
في ساعة الياس اتاني المنى كذاك تاتي دول الدهر

لغيره

فصبرًا ابا جعفر انه مع الصبر نصر من الصانع
فلا تيأس ان تنال الذي يؤمك من فضله الواسع

ولغيره

اذا ضاق زمانًا بامرء كان فيه بعد ضيق متسع

ولغيره

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

محمود الوراق

صابر الصبر على كرّ النوائب من كنوز البر كتمان المصائب
واليس الدهر على علاته تجد الدهر مليًا بالعجائب

انشدني الوجيه لنفسه

عليك رجاء الله ذي الطول واللطف بجملة ما يبدي من الامر او يخفي
فقد خلق الايام دائرة بنا تقلبنا من كل صرف الى صرف
وكم فرج لله ياتي مرفرفًا على تلف الاحشا في تلف شف
فلا تمكنن من قلبك الياس والامي لعل الذي ترجوه في مرجع الطرف
وصبرًا جميلاً ان للدهر عادة مجربة اتباعه العسف بالعطف

لابن بسّام

الا رب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتذلل عزّت
ينزل ارزاق البرية كلها على ما رآه لاعلى ما استحقّت
وكم ماجد في القيد والباب دونه ترقّت به احواله وتعلّت
يشوب القذا بالصفو والصفو بالقذى فلو احسنت في كل حال لمّت
ساصدق نفسي ان في الصدق راحة وارضى بدنيائي وان هي قلّت
وان طرقتني الحادثات بنكبة تذكرت ما عوفيت منه فقلت

ولآخر غيره

كأنك بالايام قد زال بؤسها واعطتك منها كما كنت تطلب
فترجع عنها راضيًا غير ساخط وتحمدها من بعد ما كنت تعتب

حدثني الحسن بن صافي قال رأيت على حائط مسجد مكتوبًا بالفحم

ليس من شدة تصيبك الا سوف تمضي ويكشف الضر كشفا
لا يضق ذرعك الرجيب فان النار يعلوا لهيبها ثم يطفى
قد راينا من كان اشفى على الهلـك فجاءت نجاته حين اشفا

ولآخر غيره

الدهر خدن مصاف ذو خداعة لا يستقيم على حال لانسان

حلو ومرّ وذو منّ وذو قرف يخالط السوء منه فرط احسان

ولغيره

لئن قدمت قبلي رجال لطالما مشيت على رسلي فكنت المقدّما
ولكنّ هذا الدّهر يعقب صرفه فيبرم منقوضاً وينقض مبرما

وانشدني ابو الفرج البغا لنفسه

كم كربة ضاق وسعي عن تحملها فملت عن جلدي فيها الى جزعي
ثم استكنّت فادّتني الى فرج لم يجر بالظن في يأسي ولا طمعي

انشدني سيدوك الواسطي من قصيدة

ابى الله الاّ ان يعيظ عباده بجلسته تحت الشراع المطنّب
الى ان يموت المرء يرجى ويبتغى ولا يعلم الانسان مافي المغيب

ولآخر غيره

ما احسن الصبر في مواطنه والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر مالها ثمن

وقال غيره

ان ضقت من خطب المّ فعنده فرج يرجّى عنده ويخاف
فاصبر على قحب النوائب مثل ما صبرت لها آباؤك الاشراف

انشدت لعمرو بن معدي كرب الهندي

وكانت على الايام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلّت
وكم غمرة دافعتها بعد غمرة تجرّعتها بالصبر عنها فولت

لابي العتاهيه

الدهر لا يبقى على حاله لابد ما يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر

لعلي بن الجهم

هي النفس ما ان حملتها تحمل وللدهر ايام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميله واجمل اخلاق الرجال التحمل

ولآخر غيره

لا تعتبن على النوائب فالدهر يرغم كل عاتب

واصبر على حدثانه ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى ولكل خالصة شوائب

ولآخر غيره

فاصبر على حلو القضاء ومره فان اعتياد الصبر ادّى الى البر
خير الامور خيارهن عواقباً وكم قد اتاك النفع من جانب الضر

وقال غيره

واني لارجو الله يكشف كربتي ويسمع للمظلوم دعوة مضطر
لقد عجمتني العاجمات مثقفاً اذا ضاق امر تناهى الى الصبر
وما حزني ان كرّ دهر بصرفه عليّ ولكن ان يفوت به وتري
فان فاتني وتري فايسر فائت اذا انا عوضت الثواب من الوفر
ولطف كفايات الاله مبشّر بنيل الذي امّلت لايد صفر
فان يهلل الامر امرءاً فهو آمل بلوغ الغنى فيما يهول من البحر
ورب مضيق بالقضاء ووارط رأى مخرجاً بين المثقفة السمر

آخر غيره

ليس لما ليست له حيله * موجودة خير من الصبر والصبر مرّ ليس يقوى به * غير رحيب الباع والصدر

ولآخر غيره

وما التحف الصبر بالصبر الا وكفت عنه ايدي النائبات
وذو الصبر الجميل يفيد عزاً ويكرم في الحياة وفي الممات

ولآخر غيره

الصبر مفتاح ما يرجّي * وكل خير به يكون فاصبر فان طالت الليالي * فربما طاوع الحرون
وربما نيل باصطبار ماقيل هيهات لا يكون

لابي الحسن الاطروش المصري من ابيات

مازلت ادفع شدتي بتصبري حتى استرحت من الايادي والمنن
فاصبر على نوب الزمان تكرماً فكأنما قد كان منه مالم يكن

ومما وجد على حجر قبر مكتوب

اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور فرج وحزن تارة لا الحزن دام ولا السرور

ولآخر غيره

اصبر على الدهر ان اصبحت منغما فالضيق في لجج تهوى الى لجج
فان تضايق امر عنك مرتج فاطلب لنفسك بابًا غير مرتبج
لا تيأسنّ اذا ماضقت من فرج يأتي به الله في الروحات والدلج
فما تجرع كاس الصبر معتصم بالله الاّ اتاه الله بالفرج

ولآخر غيره

وألزمت نفسي الصبر في كل نحنة فعادت باحسان وغير عواقبه
ولم ينط الصبر والرفق قلبه يكن عرضًا اودت بليل جوانبه

ولغيره

واني لاغضي مقلتي على القذى والبس ثوب الصبر ابلج ابيضا

غيره

واني لادعوا الله والامر ضيق عليّ فما ينفعك ان يتفرجا
وكم من فتى سدت عليه وجوهه اصاب لها في دعوة الله مخرجا

محمد بن بشير

ان الامور اذا اشتدت مسالكها والصبر يفتح منها كلما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

لمدرك بن محمد الشيباني

مستعمل الصبر مقرون به الفرج بلى ويصبر والاشياء ترتج
حتى اذا بلغت مكنون غايتها جاءتك تزهر في ظلمائها السرج
فاصبر ودم واقرع الباب الذي طلعت منه المطالع فالمغرى به يلج
بقدرة الله فارج الله وارض به فعن ارادته الغماء تنفرج

ولآخر غيره

ثبوت الخطب اوله غليل وآخره شفاء من عليل
فكم من علة كانت الى ما يجيش عتابه اهدى سبيل
ورب منيحة بفناء قوم من الاحداث فهي الى رحيل
كلا نجمي صروف الدهر خيرًا وشرًّا لابسٌ ثوب الافول

ولغيره

قل لمن سرّه رضي الدهر الاّ ساء بسخطه مما لا يطاق

وكذا عادة الزمان شتات والتئام والفة وافتراق

لابي احمد يحيى بن علي المنجم الى ابي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان لما ولي الوزارة من ابيات

لقد كذبت فيك العدو ظنونه وقد صدقت فيك الصديق المواعد
وقد يحسن الايام بعد اساءة وان كان في الامرين منها تباعد

ولغيره

يد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما الق من الهم
كرب بقلبي ليس يكشفه الا مليك عادل الحكم

ولغيره

ألفة الحبيب كم افتراق اظلّ وكان داعيها اجتماع
وليست فرجة الاّ وتأتي لموقوف على نزح الوداع

ولغيره

ولله لطف يرتجى ولعله سيعقبنا من كسر ايدي الندا جبرا

ولغيره

رب امرء مرتج بابه عليه ان يفتح اقفال ضاقت بذي الحيلة في فتحه حيلته والمرء محتال
ثم تلقته مفاتيحه من حيث لا يخطره البال

لعبد الله بن طاهر من ابيات جواباً

دعوت مجيباً يا ابا الفضل سامعاً ويارب مدعوّ وليس بسامع
فاوقعت شكواي الزمان وصرفه اليه بحق في احق المواقع
فصبرًا قليلاً كل هذا سينجلي ويدفع عنه السوء اقدر دافع
فما ضاق امر قط الا وجدته يؤل الى امر من الخير واسع

لمحمد بن حازم الباهلي

اذا نابني خطب فزعت لكشفه الى خالقي من دون كل حميم
وان من استغنى وان كان معسرًا على ثقة بالله غير ملوم
الا رب عسر قد اتى اليسر بعده وغمرة كرب فرجت لكظيم

وله ايضاً رحمه الله

لاربّ امر قد اضاق وحاجة لها بين احشاء الضلوع عويل

فلم تلبث الايام ان عاد عسيرها بيسر ونجح والامور تحول

ولغيره

كن لمن لا يرجو امن الامر راجي منك يوماً لما له أنت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا من شعاع يلوح والليل داج
فاثني راجعاً وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الامر حين يشتد بالامر يؤدي الى سرعة الانفراج

ولغيره

اصبر على مضض الزما ن وان رمى بك في اللجج
فلعل طرفك لا يعو د اليك الا بالفرج

ولغيره

فياصاحبي رحلي على ان أراكما كما كنتما ان الزمان ينوب
ولا تيأسن من فرحة بعد ترحة فللدهر لغز حادث وخطوب
سيرحمنا مولى شعيب وصالح وارحامنا تدلى بنا فتجيب

ولغيره

خاف من فقر تعجله والغنى أولى لمنظره ليس منكوراً ولا عجباً ان يعود الماء في نهره

ولغيره

ألا أيها الشاكي الذي قال مفصحاً لقد كاد فرط اليأس ان يتلف المهج
رويدك لا تيأس من الله واصطبر عسى ان يوافينا على غفلة فرج

ولغيره

من صاحب القدر اقتدر أولى بفوز من صبر

ولغيره

ان سئل الزمان سرّ الصبر عنوان الظفر

ولغيره

اني وان عصفت بالعيش نائبة سبط التبخير بين اليأس والطمع
لا أستذمّ الى صبر بهجرته ولا اسوء زمان السوء بالجزع
كم نكبة في حشاها نعمة ويد لله يأملها من هول مطلع
وكم فرغت من الايام ثم أتت تمد ايديها نحوي من الفزع

اذا بدت نكبة فالحظ أوفرها تنظر الى فرج للكرب ممتنع

ولغيره

يا هارباً من زمن جائر يجني الملمات على الحر
اصبر فما استمتعت في مطلب بشافع خير من الصبر
وابشر فان اليسر يأتي الفتى اقنط ما كان من اليسر

أنشدني سعيد بن محمد الازدي لنفسه

لا يوحشنك من جميل تصبر خطب فان الصبر فيه أجزم
العسر اكرمه ليسر بعده ولاجل عين الف عين تكرم
لم يشك مني عسرة يوماً ولا جواراً ولا قلنا على ما يحكم
المرء يكره بؤسه ولعله يأتيه فيه سعادة لا تعلم

ولغيره

كانت اليك من الحوادث ذلة فاصبر لها فلعلها تستغفر
انا لننهض الخطوب بصبرنا والخطب ممتهن لمن لا يصبر
ولرب ليل بت فيه بكربة وغدا بفرجتها الصباح المسفر

ولغيره

ادبتني طوارق الحدثان فتجافيت عن ذنوب زماني
كنت اشكو من الزمان خطوبا أظهرت لي جواهر الاخوان
فتبينت منهم الخير والشر وأهل الوفاء والخلان
وتوكلت في أموري على الله اللطيف المهيمن المنان
وتيقنت انه سوف يكفيني ضرب الدهور والازمان
ثم يمحوا بالعسر يسراً وبالـ ـنعمة ضرّا كما أتى القرآن
ان تصبرت وانتظرت غياث الله وافى كالمسح في الاحيان
هو عوني في كل خطب ملم عدمت فيه نصرة السلطان

ولغيره

ان اكن خبث اذا سألت فما ذاك على مطلب الكريم بمار
يحرم الليث صيده وهو منه بين حد الاظفار والاظفار
ويزول السهم السديد عن الـ ـقصد ومما تلك ذلة الاشوار

ليس كل الاقطار يروي من الغيـ ـث وان عمهـا بصوت القطار
ان يجني رشـاء دلوي فقد احكمت اكرامه بعقد مغـار
او يعد فارغاً اليَّ فمـا القيت الا الى المياه القرار
ان أساء الزمان فقد احسـ ـنت صبراً وما أشاء اختياري
وعسى فرجة تفتح نحوي ناصر النصر بعد طول انتظار
ما لقيت الاعسار بالصبر الا بشرتني وجوهه باليسـار

ولغيره

صبراً فكيف تحقق الآمال وتحول عمـا تكره الاحوال
ان كان قد ظفر الصدود بوصلنا فلسوف يظفر بالصدود وصال

ولغيره

فالامر في معناها واحد لذاك شكر ولذاك صبر
حتى رأى الاقدار قد فرجت وكل عسر فله يسر

ولغيره

ان يأذن الله فما بت آمله أتى النجاح حثيثاً غير ممطول
ما لي سوى الله مأمول لنائبة والله اكرم مسئول ومأمول

ولغيره

حزنت وذو الاحزان يخرج صدره الا رب حزن جاء من بعده فرج
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه وباليسر من بين المضايق قد خرج

لابن الرومي رحمه الله

لعل الليالي بعد سخط من النوى ستجمعنا في ظل تلك المآلف
الا ان للايام بعد انصرافهـا عواطف من احسانها المتضاعف

وله أيضاً

ورب جلباب هم له من الصنع جيب وكل خير وشر دون العوقب غيب

ولغيره

أقول قول حكيم فاعرف بفهمك شرحه كم فرجة أرضيق وفرحة بعد ترحة
والعسر يعقب يسرا والهم يعقب فرحه والعيش فاعلم ثلاث غنىً وأمن وصحه

لمؤلف الكتاب

قل لمن أودى به الترح كل هم بعده فرح لا تضق ذرعاً بنازلة وارمها بالصبر تنفسح
غالط الاحداث مجتهداً كل ما قد حل منتزح وأزح بالراح طارقها فجلاء الكربة القدح
الق بالمزج المريح أذى حدها ان شئت تسترح

ولغيره

وكاين يرى من ذي هموم تفرجت وذي غربة عن داره مسعود

ولغيره

لا يرعك الشر ان ظهرت بتهاويل مخائله رب أمر سر آخره بعد ما ساءت أوائله

ولغيره

فلا تجزع وان اعسرت يوماً فقد ايسرت في زمن طويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

ولغيره

هل الهم الا فرجة تنفرج لها معقب تحدي اليه وتنزعج
أبى لي اغضاء الجفون على القذا يقين بأن لا عسر الا مفرّج
أخطط في ظهر الحصير كانني أسير يخاف القتل والهم يفرج
ويا ربما ضاق الفضا بأهله وأمكن من بين الاسنة مخرج

ولغيره

اجارتنا ان التعفف بالباس فقير على استدرار دنيا بأساس
جدير بان لا يؤذنا بمذلة كريماً فان لا يحوجاه الى الناس
ولي مقلة تنفي القذا عن جفونها وتأخذ من ايحاش دهر وايناس
اجارتنا ان القداح كواذب واكثر اسباب النجاح مع الياس

ولغيره

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

ولغيره

الا لا تموتن اغتماماً وحسرة وهما اذا ما سارح الهم اجذبا
وصبراً اذا ما الجذب ليس بدائم كما لم يدم عشب لمن كان اعشبا

ولغيره

استقدر الله خيرًا وارضينّ به فبينما العسر اذ وارت مياسير

ولغيره

اما علمت بان العسر يتبعه يسر كما الصبر مقرون به الفرج

ولغيره

اذا ما البين احوجني فليس على النوى حرج دعي لومي على صلتي سيقطع بيننا حجج
سار كب هول مظلمة افرجها فتنفرج

ولغيره

غدا البين موعدنا فان الى غد فرج دني التهجر والدلج قصدي للمنى يلج
ولي هم يؤرقني على بحر له لجج اطاف بحالكه وضح عليه من البلا بهج
اقول لنفس مكتئب عليه من الردى ثبج رضي مادمت سالمة فان العيش مندعج
ولا تستحفين بها فوجه الحق منبلج وزور الحق ممتحن اذا دارت به اللجج
وقائلة تعاتبني وجنح الفجر منبلج فقلت رويدك معتبتي لكل مملة فرج
ذريني خلف قاصية تضايق بي وتنفرج اسرك ان اكون رفعت حيث الامر والمهج
واني بت يصهرني بحر جهنم وهج فأدرك ماقصدت له ويبقى العار والحرج
اذا اكدت حائلة فلي في الارض منعرج

ولغيره

عسى مشرب يصفوا فيروي ظمية اطال صدها المنهل المتكدر
عسى بالجنوب الغاديات سنلتقي وبالمستلذ المستظام سيفسر
عسى جابر العظم الكسير بلطف سيرتاح للغصن الكسير فيجبر
عسى صور امسي لها الجود انها سيبعثها عدل يجيء ويظهر
عسى الله لا تيأس من الله انه يهون عليه ما يعز ويكبر

ولغيره

نحاول اذلال العزيز لانه رمانا بظلم واستمرت مرائره

ولغيره

كفاك بهذا ايها المتجبر وان قال فيك القائلون واكثروا

ولغيره

ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه الا اتاني وشيكا بعده الفرج

ولغيره

اني رأيت مغبّة الصبر تفضي بصاحبها الى اليسر
لابد من عسر ومن يسر بها يدور دوائر الدهر
وكأنما يلذ اليسر صاحبه فكذاك فليصبر على اليسر

ولغيره

غنا النفس يكفي النفس حتى يكفها وان اعسرت حتى يضر بها الفقر
فما عسرة فاصبر لها ان لقيتها بدائمة حتى يجيء لها يسر

ولغيره

وما الدهر الا ما تراه فموسر يصير الى عسر وذو فاقة يثري

ولغيره

لعمرك ما كل التعطل صائر ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق في القرب والنوى عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى الا رب ضيق في عواقبه سعه

ولغيره

يقولون صبرًا والتصبر شيمتي الم يعلموا ان الكريم صبور
هل الدهر الا نكبة وسلامة والا فبؤس مرة وحبور

ولغيره

وكل كرب وان طالت بليته يومًا يفرج غماه فينكشف

ولغيره

مفتاح ابواب الفرج الصبر * وكل عسر بعده يسر والدهر لا يبقى على حالة * فكل امر بعده امر
والكره تفنيه الليالي التي * ياتي عليها الخير والشر وكيف يبقى حال من حاله * يسرع فيه النفع والضر

ولغيره

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيامن خائف ويفك عان ويا تي اهله النائي الغريب

ولغيره

فيا ليت الرياح مسخرات لحاجتنا تصبّح او تنوب فتخبرنا الشمال اذا اتينا ويخبر اهلها عنا الجنوب

ولغيره

الحمد لله حمدًا لا شريك له ... ان الزمان لذو جمع وتفريق
قد ينقل المرء من ضيق الى سعة ... و يساس الامر يومًا بعد تعويق
والدهر ياتى على كل باجمعه ... وليس من سعة تبقى ولا ضيق

ولغيره

الا فاصبرن مادام في النفس مسكه ... عسى فرج ياتى به الله في غد
وان امرء رب السماء وكيله ... حريّ بحسن الظن غير مبعّد

ولغيره

خلقان لا ارضى فعالهما ... تيه الغنى ومذلة الفقر
واذا غنيت فلا تكن بطرًا ... وان افتقرت فته على الدهر
واصبر فلست بواجد خلقًا ... ادنى الى فرج من الصبر

غيره

النسل من واحد والشكل مختلف ... والدهر فيه بنو الدنيا على درج
اذا تضايق امر فانتظر فرجًا ... فاضيق الامر ادناه الى الفرج

تم

فهرست الجزء الاوّل

صحيفة

ترجمة المؤلف ٢
فاتحة الكتاب ٤
الباب الاول فيما انبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان ٧
الباب الثاني ماجاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللاواء وما يتوصل به الى كشف الشدة والبلاء ٢٦
الباب الثالث فيمن بشر بفرج من نطق قال ونجا من محنته بقول او دعاء او ابتهال ٤٤
الباب الرابع فيمن استعطف غضب سلطان بصادق لفظ او استوقف مكروهه بموقظ بيان او وعظ ٦٦
الباب الخامس فيمن خرج من حبس اواسر او اعتقال الى سراح وسلامة وصلاح حال ٨٨
الباب السادس فيمن فارق شدة الى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب صدق تأويله كذب الاحلام ١٤٧

فهرست الجزء الثاني

الباب السابع فيمن استنقذ من كرب او ضيق خناق باحدى حالتي عمد او اتفاق ٢
الباب الثامن فيمن اشفى على ان يقتل فكان الخلاص اليه من القتل اعجل ٤٤
الباب التاسع فيمن شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه ٧٣
الباب العاشر فيمن اشتد بلاه بمرض ناله فعافاه الله بايسر سبب واقاله ٩٤
الباب الحادي عشر فيمن امتحن من لصوص بسرق او قطع فعوض من الارتجاع والخلف باجمل صنع ١٠٤
الباب الثاني عشر فيمن الجأه الخوف الى هرب واستتار فابدل بأمن ونعم ومسار ١١٨
الباب الثالث عشر فيمن نالته شدة في هواه فكشفها الله عنه وملكه من يهواه ١٤٨
الباب الرابع عشر ما اختير من ملح الاشعار في اكثر ما تقدم من الامثال والاخبار ١٩٠

تم

ونرجو ممن يعثر على تحريف مغير للمعنى في اي باب او مخل بالاشعار ان يتفضل بتعريفنا عنه للاحتياط فيه عند اعادة الطبع ان شاء الله تعالى

J.B. LIBRARY

DATE DUE

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00512593